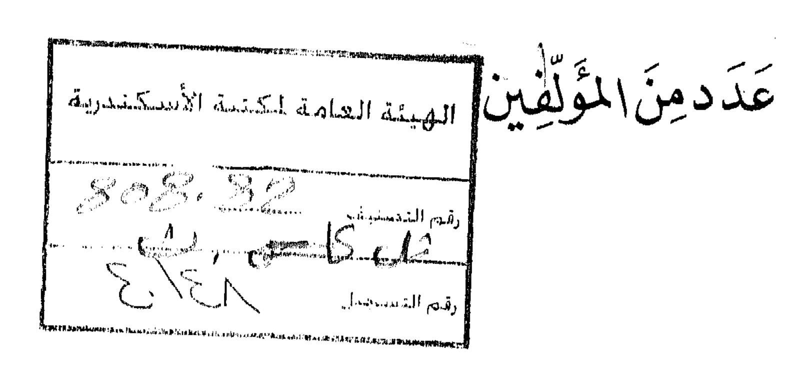
عَدَدٌ مِنَ المؤلِّفين

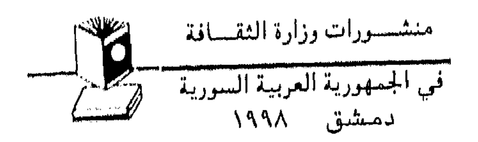


«١٣» مسرحيّة عالميّة

الجزءُ الأوَّلُ

ترجمة

عبُّود كاسوحة



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

العنوان الأصلي للكتاب :

Treize Pièces de Théâtre:

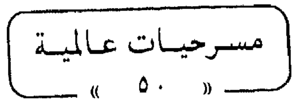
Sartre, Anouilh, Cocteau et autres.

١٣ مسرحية عالمية = Treize Pièces de théâtre
/ عدد من المؤلفين؛ ترجمة عبود كاسوحة . - دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٨ . - ٢ج؛ ٢٠سم . - (مسرحيات عالمية؛ ٥٠).

١- ٨٠٨ر٨٢ ك ا س ت ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- كاسوحة ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٦٧٤ / ٤ / ١٩٩٨



العنوان الأصلي للمسرحية :

Douze hommes en colère

ريجينالد روز

المسرحية الأولى

اثنا عشر رجلاً في حالة غضب

مسرحية ذات فصل واحد

ريجينالد روز

كاتب أميركي . ولد في نيويورك عام ١٩٢٠ .
كان أثناء الحرب العالميّة الثانية ضابطاً في الجيش الأميركي برتبة ملازم أوّل ، وخدم في اليابان والفيلبين . اشتغل في عدّة مؤسّسات للاعلان . وكتب مسرحيات للتلفزيون . وسيناريو لعدد من الأفلام السينمائية . . .

الشخصيات :

المحلّف الأول ، رئيس لجنة المحلّفين . مدرّب فريق لكرة القدم . عاطفي .

المحلّف الثاني ، موظف مصرف شاب . لايجرؤ على الاشتراك في النقاش .

المحلّف الثالث ، رجل أعمال . يهاجم المتّهم بعنف .

المحلّف الرابع ، دلاّل . بارد ، منطقي ، يجمّع الوقائع .

المحلّف الخامس ، بلا مهنة محدّدة . مولود في نفس حي المتّهم .

المحلّف السادس ، عامل بناء . يسعى لفهم الدوافع التي حرّكت المتهم .

المحلّف السابع ، بائع جوّال . هاوٍ للعبة البيسبول ؛ لايفكّر إلاّ في الانصراف الى المباراة .

المحلّف الثامن ، مهندس . مرهف الحس ، شهم ، منطقي .

المحلّف التاسع ، رجل مُسّنّ ، نشيط ، ذكي ، ثاقب الفكر .

المحلّف العاشر، صاحب مركب، عنيف، فظّ. يفتقر لكلّ حسّ موضوعي.

المحلّف الحادي عشر، ألماني هارب من النازية. حسّاس، إنساني.

المحلّف الثاني عشر، ناشر. سطحي. لايستوعب أبداً خطورة مسؤوليته.

قاعة المحلّفين في محكمة الجنايات التابعة للمنطقة في احدى مدن شرق الولايات المتحدة. إنها قاعة فارغة، مظهرها باهت، فيها طاولة مؤتمرات طويلة وقُرابة دزّينة من الكراسي. الجدران فارغة كالقاعة، وبحاجة لتجديد طلائها. تنفتح في الجدار، بصدر القاعة، نافذتان تطلاّن على الحي المالي في المدينة. في أعلى الجدار الأيمن عُلّقت ساعة جدارية. وفي أعلى الجدار الأيسر، صيوان مكبّرٍ للصوت. باب على اليسار يمكن أن نقرأ عليه حين ينفتح كلمات: «قاعة لجنة المحلّفين». باب على اليمين يؤدّي الى مغسلة صغيرة، ذات حوض، ومناشف. ومرآة مثبتة في الجدار. وفي الزاوية اليسرى مُوَزِّع ماء صالح للشرب.

الساعة تقارب الرابعة بعد الظهر. الطقس حار جداً. إحدى النوافذ مفتوحة. عند رفع الستار نشاهد حارساً بلباسه الرسميّ يتولّى تنسيق الكراسي الاثني عشر حول الطاولة التي صفّت عليها أكداس من الورق الابيض والاقلام ونفّاضات السجائر.

في هذه الأثناء، يُسمع من مكبّر الصوت لفظ صادر عن قاعة غاصّة، ثم بضع طرقات على طاولة للمطالبة بالتزام الصمت، ويعلو أخيراً وسط الهمهمة التي بدأت تهدأ تدريجياً صوت القاضي، هادئاً موزونا:

صوت القاضي: صمتاً أرجوكم. . . (الصمت تام في مكبّر الصوت. أمّا الحارس، وكأنّه يخشى أن يعكّره، فينجز مهمّته بتأنٍّ فيمشي على رؤوس أصابعه ويحرّك الكراسي من غير ضجّة. ويؤدّي ذلك إلى مايشبه التمثيل الايمائي، فيأتي صوت القاضي مهيمنا بكل وضوح) أيّها السادة المحلّفون، لقد شهدتهم طيلة خمسة أيّام سير أحداثِ قضيةٍ طويلةٍ وعويصة. إنّها حادثة قتل من الدرجة الأولى، مع سبق الإصرار، وهذا الشكل من الاتّهام، هو أخطر ما يمكن أن تشهده محكمة الجنايات. إستمتعتم لأقوال الشهود ثم قُرِئَت عليكم، وفُسّرت، مواد القانون التي تنطبق على هذه الحال. وعليكم الآن واجب تكوين رأي، عن طريق محاولة الفصل ما بين الوقائع والفرضيات. إنَّ رجلاً قد مات. وماتزال حياة رجل آخر معلّقة. أدعوكم للتباحث فيما بينكم بكلّ نزاهة واستقامة.

وإذا ماساور أفكاركم من شكّ في جرميّة المتّهم -وكان الشك مشروعاً- فعليكم عندئذ إصدار حكمٍ غيرِ مذنب. وإذا، على عكس ذلك، لم يساوركم أيّ شك مشروع، فعليكم عندها أن تعلنوا، بكلّ صراحة، إنّ المتهم مذنب. وعليّ أن أُحيطكم علماً، بأنّ المحكمة في هذه الحال، لن تأخذ بأيّ طلب استرحام وأنّ الحكم بالإعدام سيطبّق تلقائيّاً... ومهما يكن قراركم، فإنّ حكمكم ينبغي أن يكون إجماعيّاً. وإذا لم تحصلوا على هذا الإجماع توجّب عليكم أن تتنحّوْا لِيُصار الى استدعاء هيئة محلّفين أخرى. أمامكم مسؤوليّة شاقّة تجابهونها... أمّا أنا فأشكركم.

(وقت قصير. يُسْتأنَف اللفظ في مكبّر الصوت).

صوت كاتب المحكمة: هيئة المحلّفين ستجتمع للتداول.

(إرتفاع اللغط. يتوجّه الحارس فيغلق مكبّر الصوت ويفتح الباب الأيسر ويخطو خطوة في الممر مع إبقاء الباب مفتوحاً. فترة من الوقت. يتقدم المحلّفون الاثنا عشر بتمهّل،

فيظهرون على المسرح واحداً في إثر واحد. يقوم الحارس بتعدادهم تدريجياً. أربعة منهم أو خمسة يشعلون سجائر. رقم٥ يشعل غليوناً ويظلّ يدخّن طول المسرحية. رقم ٢ ورقم١٢ يتوجّهان الى موزّع الماء. رقم ٩ يدخل الى المغسلة. عدة محلّفين يجلسون الى الطاولة وآخرون ينظرون من النوافذ. يظهر التبرّم على الجميع. رقم ٧ يقف قرب نافذة فيخرج من جيبه رزمة علكة ويعرض على المجموع. فلا يمدّ أحد إليها يدا).

رقم٨: كلا، شكرا.

(يتوجّه الى النافذة).

رقم٧: ولكن أية حرارة هذه! إننّا نوشك أن نختنق في هذه القاعة. (يدسّ قطعة علكة في فمه) قبل قدومي الى هنا، هذا الصباح، هتفتُ الى مصلحة الأرصاد الجويّة: يبدو أنّ الحرارة اليوم قد سجّلت رقماً قياسيّاً لهذه السنة. (يفتح نافذة).

الحارس، لدى الباب: سأدَعُكم، أيّها السادة. فكلّ شيء، كما يبدو لي، على مايرام. أمّا إذا احتجتم لشيء ما، فدقّوا الباب. أنا وراؤه مباشرة.

(ينظرون إليه كلّهم وهو خارج. ثم يُسْمَعُ صريرُ المفتاح وهو يديره في القفل)

رقم٥: إنّهم يقفلون علينا بالمفتاح؟

رقم١٠ وهو ينفـّ: بالتأكيد. أما كنت تعرف ذلك؟

رقم٥: كلا.

رقم١٠: إنّه القانون.

رقم٥: حقّاً؟

(بعض المحلفين يخلعون ستراتهم. رئيس الهيئة يجلس عند رأس الطاولة. وهو يقصّ قطعة ورق مربّعاتٍ صغيرة).

رقم١٠: ماذا تخترع؟

رئيس الهيئة: آه. إنّها بطاقات للتصويت.

رقم١٠: صحيح أننا سنصوّت. وقد ينتهي المطاف بالولد الى عضوية مجلس الشيوخ، فمن يدري؟

(يضحك وحده).

رقم٣ إلى رقم٢: ألا قل؟ كيف وجدت كل هذا؟

رقم٢، بوَجَلْ: ولكنّه... شيء مثير للاهتمام جداً.

رقم٣، ضاحكاً: هكذا ترى؟ فأنا أوشكت على أن أنام.

رقم٢: ذلك أني لم أشارك في هيئة محلّفين البتّة.

رقم٣: هذه هي المرة الثالثة بالنسبة لي. وأنا لم أعد أستسيغ تلك الكميّة من الخُطَب التي يقدّمونها إلينا لنلتهمها.

لاسيّما حين تكون القضيّة صبيانية على هذا النحو.
فهل يتخيّل أحد إلقاء كل هذا الكلام عبثاً؟

رقم٢ : أنا أفترض أنّ لديهم الحق . . .

رقم٣ : في الكلام؟ هذا أمر مسلّم به. فلكل امرئ الحق في محاكمة عادلة، بكل تأكيد. وهذا هو النظام المعمول به في هذه البلاد. لكنّني سأضيف شيئاً: ينبغي الضرب بيد من حديد على هؤلاء الصبية القساة، من قبل أن تتاح لهم فرصة التسبّب بالأذى. فمن شأن ذلك أن يوفّر علينا الوقت والمال. (للآخرين) طيّب. ماذا قلتم؟ هل نبدأ؟

رقم٧ : أجل، هلّموا نبدأ. فليس لدينا عمل آخر نؤدّيه.

رئيس الهيئة : حسبت أنّ بوسعنا أخذ فترة استراحة . . . لاسيّما أنّ أحدهم عند المغسلة.

رقم٥، متردداً: هل نقعد حسب الترتيب؟

رئيس الهيئة: ماذا؟ . . . لاأدري . . . بلاشك.

رقم١٢ إلى ٨ : مارأيك بالقضية؟ مثيرة للاهتمام، أليس كذلك؟ أُديرت بمهارة من غير وقت ضائع. أترى ما قصدتُ أن أقوله؟ . . . لقد شاء حسن خطّنا أن نقع على جريمة قتل. كنت أخشى الحضور الى هنا من أجل

سرقة أو اعتداء أو شيء من هذا القبيل. ألا كم سيكون ذلك مقيتاً!... (مغيراً لهجته) لكن قُل لي، أليس المبنى هنالك هو السنترال بلدينغ؟

رقم٣ : بلى.

رقم١٢ : يا للغرابة، لقد ولدت فيه ثم لم أدخله قط من بعد.

رقم٧ إلى ١٠ : مارأيك بكل تلك الحكاية بشأن المِدْيَة؟ هل كان الغلام يتخيّل أنّنا سننخدع بها؟

رقم١٠ : محتمل. حسب المرء أن يرى شكله ليدرك على الفور...

(يعطس ثم ينفّ).

رقم٧ : مزكوم؟

رقم١٠ : لو تدري! نوبات الربّو هذه قاتلة. (ينفّ مجدّداً ويرتدّ برأسه إلى الخلف). لم أعد أجرؤ على لمس أنفي. أنت ترى ما قصدتُ أن أقوله؟

رقم٧ : نعم، نعم، أعرف هذا... (الى رئيس الهيئة) والآن، أيها الرئيس، هل نبدأ؟

رقم٣ إلى رقم٤ الذي يطوي جريدة: هل من شيء فيها؟ إذ لم أجد الوقت حتى لفتح جريدة؟

رقم٤ : إنّها نظرة سريعة فقط على أسعار الإغلاق.

رقم٣ : هل تعمل في البورصة؟

رقم٤ : وسيطاً.

رقم٣ : ممتع، أما أنا فأعمل في النقليّات. قد تعرف ذلك؟ مصلحتي تُدْعَى «رَهْن إشارتكم»، وهو اقتراح زوجتي. لديّ سبعة وثلاثون مستخدماً. ولقد بدأتُ من الصفر.

رئيس الهيئة : هيّا، أيّها السادة، هيّا. تفضّلوا فخذوا أماكنكم.

رقم٧ : ليس باكراً جداً. لديّ بطاقتان لمباراة البيسبول هذا المساء، يانكس ضد كليفلاند. يبدو أنّ لديهم لاعباً جديداً. . . اسمه مود جيلفسكي أو شيء من هذا القبيل. يقولون إنّه ثور حقيقي. (للرئيس) على أيّ نحوٍ نجلس؟

رئيس الهيئة : أعتقد، في الواقع، بموجب تسلسل الأرقام لكلّ واحد. (يشير الى الكراسي). اثنان، ثلاثة، أربعة وهكذا دواليك.

رقم١٠ : وما أهميّة ذلك؟

رقم ٤ : ليس من أهميّة، إنّما المسألة أكثر يسراً.

رقم١٠ : حسن جداً.

رقم ١٢ إلى رقم١١ : ماهو انطباعك عن النائب العام؟

رقم١١ ، بلكنة جرمانية : أرجو منك المعذرة؟

رقم١٢ : أما أنا فقد وجدته من الطراز الأول . لاسيّما طريقته في طرح معطياته، المنسّقة واحدة في إثر أخرى . . .
لابدّ من دماغ هائل لبلوغ ذلك . لقد أثّر الأمر في نفسي كثيراً .

رقم١١ : أجل، كان بارعاً جداً .

رقم١٢ : إذ ينبغي توجيه كل شيء، ألا ترى؟ توجيه القضية توجيهاً حقيقياً .

رقم٧ : طيّب . هل نبدأ العرض؟

رئيس الهيئة إلى رقم٨ الذي كان مايزال عند النافذة : ولكن، أيهّا السيد ، أنت هناك هلاّ تفضّلت فجلست؟ (رقم٨ لم يسمع) السيّد القُرْبَ النافذة؟ (رقم٨ ينتفض ويستدير) هل تتفضل بالجلوس؟

رقم٨ : أوّاه ، عفوك ، اعذرني . . .
(يحتل كرسيّا) .

رقم١٠ إلى رقم٤ : ليس سهلاً على كل حال أن تتخيّل صبياً يقتل أباه . . . (يؤدي الحركة) بينغ! هكذا!

رقم١٢ : لو لا تفكّرت في الظروف . . .

رقم١٠، يقاطعه: ترّهات! الحقيقة أنّهم يفسحون المجال أمام هؤلاء الصِّبْيَة ليصيروا متوحّشين، انت ترى ماقصدت أن أقوله؟

رقم٦: مشيراً ناحية المغسلة: مايزال الرجل العجوز هناك.

رئيس الهيئة: اطرق إذاً على الباب.

(رقم٦ ينهض ويمضي نحو المغسلة).

رقم٧ إلى رقم٥: ولكن قل لي، هل أنت من أنصار اليانكس؟

رقم٥: كلا، بل بالتيمور.

رقم٧: بالتيمور؟ آه، يا الهي! كمن يضرب برأسه الجدار. أتعرف، يا صاح، أفضل ميالدي بالتيمور؟...

رقم٦ الى رقم٩ الذي خرج من المغاسل: جئت لاستدعائك.

رقم٩: أعذروني.

رقم٧ إلى رقم٥: قل، ماذا لديهم باستثناء حارس ضخم الجثّة كالدابة.

رئيس الهيئة: بودنا أن نبدأ.

رقم٩: ما حسبت أنّكم تنتظرونني.

رئيس الهيئة، بعصبيّة: حسن، حسن جداً... طبعاً أيها السادة. بوسعكم أن توجّهوا النقاش الوجهة التي تريدونها، فأنا... لاأفرض أيّة قاعدة. فإمّا أن نبدأ

بالمداولة أولاً لنصوّت من بعد أو نبدأ على العكس بالتصويت فنكوّن فكرة عن الوضع بمجمله . . . والخيار لكم .

(فترة قصيرة) .

رقم٤ : جرت العادة كما اعتقد أن يكون البدء بالتصويت .

رقم٧ : بلى ، فلنصوّت أولاً . فربما يتيح لنا هذا أن نعود جميعاً إلى بيوتنا .

رئيس الهيئة : إنّما الأمر متعلّق بكم . لكن تذكّروا فقط أنّها تهمة قتل من الدرجة الأولى . وإذا ما صوّتنا مذنباً ، فمعنى هذا : الكرسي الكهربائي .

رقم٤ : نعم ، نعم . نعرف ذلك .

رقم٣ : حسبنا هذا ، فلنبدأ .

رئيس الهيئة : ليس من يعارض التصويت؟ (يجيل النظر فيمن حول الطاولة) . حسن جداً . . . اثنا عشر مقابل لاشي . أذكّركم بذلك . فهذا ما يفرضه القانون؟ هل نحن على استعداد؟ . . . فليرفع الذي يصوتون مذنباً يدهم .

(سبع أيدٍ أو ثماني ترتفع على الفور ، واثنتان أو ثلاث بشيء من التباطؤ ، ترتفع يَدُ رقم٩ في الأخير . الأيدي كلّها مرفوعة ما عدا رقم٨) .

رئيس الهيئة : . . . تسعة . . . عشرة . . . أحد عشر . أحد عشر صوتاً لصالح مذنب . طيّب . وغير مذنب؟

(يرفع رقم٨ يده متمهّلاً) .

رقم١٠ ، بمرارة : نفس الحكاية دوماً . لابدّ من وجود واحد .

رقم٧ : طيّب ، ماذا نفعل الآن؟

رقم٨ : أقدّر أنّ علينا أن نتكلّم .

رقم١٠ : نتكلّم! نتكلّم أيضاً!

رقم٣ إلى رقم٨ : أتعتقد بكلّ صدق أنّه غير مذنب؟

رثم٨ : لاأدري .

رقم٣ مبتسماً : إذاً . . . إلاّ أنّك كنتَ قاعداً في القاعة معنا ، وسمعت الأشياء التي سمعناها نفسها . وتعرف حقّ المعرفة أنّ هذا الرجل قاتل .

رقم١٠ : وخَطِر!

رقم٨ : ليس إلاّ في التاسعة عشرة من العمر .

رقم١٠ : وماذا بعد؟ كان كبيراً الى حد قيامه بطعن والده . ثمانية سنتمرات من الفولاذ في صميم الصدر ، يا الهي!

رقم٦ إلى رقم٨ : لايوجد ظلّ من شكل . انا اقتنعت على الفور ، ومنذ اليوم الأول .

رقم٣ : وأنا مثلك . (إلى رقم٨) إنّها حقيقة مسلّم بها . ناهيك بأنّهم برهنوا عليها باثني عشر دليلاً على الأقل . هل أذكّرك بها؟

رقم٨ : كلا .

رقم١٠ ، بالطريقة الهوجاء نفسها دائماً : فما الذي تريده إذاً؟

رقم٨ : لاشيء . التداول معكم في المسألة .

رقم٧ : الكلام في أي شيء؟ أحد عشر رجلاً هنا موافقون : ليس من عودة على ذلك .

رقم١٠ إلى رقم٨ : يبقى سؤال بسيط . هل تصدّق حكاية هذا الصبيّ؟

رقم٨ : ربّما

رقم١٠ : كيف ربّما؟

رقم٨ : لاأدري بعد إنْ كنتُ أصدّقها . ربما لا .

رقم٧ : لكنّك صوّتّ صراحة غير مذنب!

رقم٨ : كان أحد عشر لصالح مذنب . . . فلم يسهل عليّ أن أرفع يدي لابعث بهذا الصبي الى الموت من غير كلمة واحدة .

رقم٧ : ومن قال لك إنّ المسألة سهلة؟

رقم٨ : لاأحد .

رقم٧ : السبب اذاً، وبكل بساطة، أنني صوتُّ . . . بسرعة؟ أنا أعتقد أنّ الصبيّ مذنب . ولو تكلّمتم مئة عام، ما تراجعتُ عن رأيي .

رقم٨ : لست أسعى لأن أجعلك تغيّر رأيك . بودّي فقط أن نتكلّم هنا على حياة فردٍ ما . وهذا على كلّ حال شيء لايمكن الجزم بشأنه في أقلّ من خمس دقائق . تخيّل لو أنّنا أخطأنا .

رقم٧ : كيف لو انّنا أخطأنا! كأنْ نتخيّل لو سقط سقف هذا المبني فوق رؤوسنا . ليس لك أن تتخيّل شيئاً .

رقم٨ : هذا حق .

رقم٧ : وبعد فما علاقة الوقت بالقضيّة؟ فنحن جميعاً نعتقد، بكل استقامة أنّه مذنب . ماذا يقدّم إذاً أو يؤخّر، أن ننتهي منها في خمس دقائق؟

رقم٨ : أطلب منك ساعة . فمباراتك لاتبدأ إلا في الساعة الثامنة، أليس كذلك؟

(رقم٧ يرمقه بنظرة ساخطة ثم يبدأ يتبسّم وكأنّ لسان حاله يقول : «لن تجعلني أخرج عن طوري») .

رئيس الهيئة ، متردداً : هل لدى أحدٍ منكم مايقوله؟

(ينظر الى رقم٢ الذي يَنْهزُ بكتفيه).

رقم٢: ليس أنا.

(يجيل رئيس الهيئة نظره فيمن يحيطون بالطاولة. بعضهم ينهزون بأكتافهم. فَيَصِلُ الى رقم٩)

رقم٩: أنا موافق على البقاء ساعة.

رقم١٠، ساخطاً: أحسنت! (فترة. باستفزاز) لقد سردوا على مسامعي، مساء أمس، قصّة جميلة...

رقم٨، مقاطعاً: لسنا هنا لسماع القصص.

رقم١٠، ساخطاً: ولِمَ نحن هنا؟

رقم٨: للحديث على صبيّ قَسَتْ عليه الحياة. أتعرفون ماذا تعني حياته في كوخ قذر، من بعد أن فقد أمّه منذ الطفولة؟... وأن يوضع منذ التاسعة في ميتم، بينما يمضي أبوه المزوّر عقوبة عامين في السجن؟... أتكون تلك انطلاقة حسنة؟... يقولون لي إنّه غلام عنيد شَكِس. هذا صحيح. لكن أوَتَدْرون لِمَ صار هكذا؟ لأنّه في كلّ يوم، أجل، في كلّ يوم من حياته كان يتعرّض للضرب. تسعة عشر عاماً من الجَلْد. إنّي لأجد ذلك رهيباً جداً، وأقول إنه يستحقّ منّا بعض الكلام...

رقم١٠ : لاشيء أبداً! إنّه لايستحق منّا شيئاً على الاطلاق، وأنا لاأخشى من قول ذلك. لقد حظي بمحاكمة نزيهة، أليس كذلك؟ كم تخمّنون كلفة هذه المحاكمة؟ لقد كان محظوظاً بحصوله على مثل هذه المحاكمة. (الى رقم١١) أنت ترى ما أقصد أن أقوله؟ (إلى الأرقام٣، ٤، ٥) أصغوا إليّ. نحن كلّنا بالغون. وقد استمعنا لكافة وقائع هذه القضية. والمسألة انتهت. (الى رقم٨). لن تقول لي إنّك تصدّق هذا الصبي مع معرفتك بحقيقته؟ فأنا أعرفه كما تعلم. ولقد أمضيت حياتي كلّها بين صبية من أمثاله. فلايسع أحداً أن يصدّق كلمة واحدة مما يقولون. (للجميع) لقد وُلِدوا كلّهم كاذبين.

رقم٩ : يا لَهُ من هذر!

رقم١٠ : ماذا؟

رقم٩ : أتعتقد أنّك الوحيد في معرفتك الحقيقة. (للجميع) أقدّر أنّ هناك أشياء لايقوى هذا السيّد على استيعابها.

رئيس الهيئة : هاتِها. فنحن هنا من أجل ذلك.

رقم١٢ الى ١١ يعرض عليه ورقة خطّط عليها بالقلم: هذا لأحد أصناف الرز. «حفنةٌ واحدة من الرزّ، فَتطرَبُ المائدة وتهتزّ». مارأيك؟

رقم١١، متبسّماً رغماً عنه: أجل، أجل، هذا يستهويك.

رئيس الهيئة، متبرّماً: هيّا بنا، أيّها السادة، ما هذا.

رقم١٢: اعذرني. إنّني متعوّد على التخطيط. وهذا يوضّح أفكاري.

رئيس الهيئة: حسن جداً، حسن جداً. لنتابع... (فترة) قد يكون في وسع السيّد غير الموافق أن يعلمنا بالسبب... وأن نحاول من جانبنا أن نثبت له خطأه؟

رقم١٢: جاءتني فكرة... طبعاً، أنا أقول ما يخطر ببالي... مادام علينا إقناع هذا السيد، فلنتكلّم أحدنا بعد الآخر. ولن يستغرق ذلك منا أكثر من دقيقة أو دقيقتين لكل واحد... آه! إنّها فكرة عابرة...

رئيس الهيئة الى رقم٧: طيّب!... إذن فلنبدأ.

رقم١٢: ولِمَ لانعتمد الترتيب المتسلسل؟

رئيس الهيئة: صحيح تماماً. حسب ترتيب الطاولة ولكل واحد دقيقتان. (الى رقم٢) أنت الأول.

رقم٢ : طيّب! . . . (يتـوقّف) يصـعب القـول. أنا. . . أنا أعتقد أنّه مذنب. أنا. . . كنت أحسب أنّ. . . ذلك حتمي. أقصد أن أقول ما من أحدٍ قد أثبت العكس.

رقم٨، بهـدوء: ليس على أحـد أن يثبت العكس. فـمـهـمّة الإثبـات تقع على عـاتق الادّعـاء. ويلزم أن يتـمكّن المتّهم من عدم التفوّه بشيء.

رقم٢ : أعلم ذلك. . . إنّمـا أقـصـد قـوله. . . طيب. هذا الرجل مذنب. أقصد أن أحدهم رآه يقوم. . .

(يتوقّف)

رقم٣: حسن جداً. . . أنا أعتقد أنّه ليس علينا أن نظهر مشاعرنا الشخصيّة حيال القضيّة. فأنا لاأتقيّد إلاّ بالوقائع. لَنتحدث أولاً على الرجل العجوز الذي يقطن الطابق الثاني، تحت الحجرة التي حصلت فيها جريمة القتل بالضبط. لقد سمع ليلة الجريمة ضجّة تنبعث من الشقّة العليا بعد منتصف الليل بعشر دقائق. قال إنّ ذلك كان شبيها بعراك. ثم سمع الصبي يصرخ قائلاً: «سأقتلك» وبعدها بثانية سمع سقوط الجسم فهرع الى باب شقّته. وفتح الباب فرأي الصبيّ يدلف الدرج راكضاً ويغادر المبني. عندئذ استدعى الشرطة. فوجدوا الأب والمديّة في صدره.

تلك هي الوقائع. ولايمكن دحضها. فهذا الصبي مذنب. ولامجال للشكّ. أنا إنسانيّ مثل أيّ رجل آخر. وأعرف أنّ الصبيّ لمّا يتجاوز التاسعة عشرة. لكنّه ملزم بدفع ثمن فعلته.

رقم٧ : أنا متّفق معك كل الاتّفاق.

رئيس الهيئة : طيب. ننتقلُ الى من يليه.

رقم٤ : إنّ مايثير استغرابي أنا، أنّ الرواية التي يسردها الصبي تبدو غير متماسكة. قال إنّه كان في السينما ساعة وقوع الجريمة. ولكن حين سألوه بعدها بساعة، عجز عن تذكّر الأفلام التي رآها أو الذين مثّلوا فيها.

رقم٣ للجميع : أتسمعون هذا؟ (الى رقم٤) صحيح تماماً.

رقم٤ : وما من أحد قد رآه يدخل الى السينما أو يخرج منها.

رقم١٠ الى رقم٨ : وقل لي أيضاً، ماذا بشأن المرأة التي تقيم في الجانب الآخر من الشارع؟ إن كانت شهادتها لاتبرهن على شيء فلَمْ يتبقّ من دليل غلى الاطلاق.

رقم١٢ : هذا صحيح. فقد شاهدت الجريمة!

رئس الهيئة : هيّا، هيّا، بالترتيب.

(يقف رقم ١٠ ومنديله بيده)

رقم١٠ : دونكم امرأة صالحة، مستلقية فوق سريرها ولاتقوى على النوم. . . (يبدأ بالمشي حول الطاولة وهو يتكلم وينف) إنّها تختنق من شدّة الحرّ ونافذتها مفتوحة، أنتم ترون ماقصدت أن أقوله؟ أمّا وهي تنتظر النوم فتنتظر من النافذة. وبغتة ترى مواجه بيتها تماماً، في الجانب المقابل من الشارع، كيف قام الصبي بطعن والده. أما الساعة فهي الثانية عشرة وعشر دقائق من الليل. وهي تعرف الصبي من قديم، ونافذتها تواجه نافذة الصبي من الطرف الآخر لخط الميترو المعلّق. فماذا تريدون أكثر؟ ناهيك بأنّها حلَفَتْ على أنّها رأت الجريمة.

رقم٨ : عبر نوافذ القطار وهو يمر.

رقم١٠ ، وأنفه في منديله: أجل، لكنّ ذلك القطار كان خالياً من الركّاب. فلا تنسَ أنّه كان في أوبته الأخيرة، وأنّ كل الأنوار في القطار كانت مطفأة. . . لقد برهن لنا الخبير على أنّ المرء يستطيع أن يرى تماماً، من خلال نوافذ قطار غير مضاء، ما يجري في الجانب الآخر. فهذا قد تمّ إثباته.

رقم٨ الى رقم١٠ : هل يسعني أن أسألك عن شيء؟ أنت لاتصدّق الصبي، الذي يعيش، على نحو ما قُلْتَ،

في حيّ موبوء يعجّ بالمتسوّلين والقتلة المأجورين.
طيّب، لكن والمرأة أيضاً. فلماذا تصدّقها؟
رقم١٠ يمشي صوب رقم٨: أنت تحسب نفسك ذكياً...
رئيس الهيئة، واقفاً: هيّا، أيّها السادة، إلزموا الهدوء.
رقم٣ يوقف رقم١٠: تعال، اقعد.
رقم١٠: ولكن من يحسب نفسه... هذا الـ...
رئيس الهيئة: الزموا الصمت. لاأريد عراكاً. (رقم١٠ يقعد).
لمن الدور الآن؟
رقم١٢، يدلّ بإصبعه على رقم٥: خمسة.
رئيس الهيئة: طيّب. (الى رقم٥) أمامك دقيقتان.
رقم٥، وهو يتمتم: طيّب! أنا... أنا...
رقم١٠ بصوت هادر: إرفع صوتك.
رقم٥: أنا... أنا استنكف.
رئيس الهيئة: هذا حقّك. الى التالي.
رقم٦: أنا... لست أدري بالضبط... كنتُ، الى حد ما، مقتنعاً... منذ البداية الأولى لهذه القضية. بحثت عن الدافع. فهو من الأهميّة بمكان. إن لم يكن من دافع، كما ترون، فأين هي القضيّة؟.. على كل حال، تلك الشهادة التي أدلى بها الناس...

أتدرون؟ من الطرف الاخر للطريق، تبدو لي غاية في . . . القوة. لقد قالوا شيئاً بشأن نزاع بين الأب والابن في حدود الساعة السابعة قد أكون مخطئاً . . .

رقم١١ : أجل، ليس في الساعة السابعة: الساعة الثامنة.

رقم٨ : الساعة الثامنة، هذا صحيح. الواقع أنّهم سمعوا حقاً نزاعاً، لكنهّم لم يستطيعوا معرفة سببه. ثم سمعوا الأب يضرب الابن مرتين، وأخيراً شاهدوا الصبيّ يخرج من المنزل ساخطاً. فماذا يثبت ذلك؟

رقم٦ : من المؤكّد أنّ ذلك لايثبت شيئاً، إنه جانب من اللوحة لا أكثر. فأنا لم أقل إنّه دليل.

رقم٨ : كلا، لكنّك قلت إنّ ذلك قد يبيّن الدافع على القتل. والمدّعي العام قالها من قبلك. أنا غير موافق. فقد تعرّض هذا الصبي للضرب في كل يوم من حياته حتى غدا العنف حياله من طبيعة الأشياء. ولا أتخيّل أنّ صفعتين، بعد لطمات لاتعدّ ولاتحصى، يمكن أن تدفعا بالصبي الى قتل أبيه.

رقم٤ ببرود: قد تكون هاتان اللطمتان الأخيرتان جعلتا الكيل يطفح. فنحن نعرف جميعاً ما يدعى بقاصمة الظهر.

(رقم٨ ينظر الى رقم٤ ويقيس من فوره قوّة الخصم. فرقم٤ رجل هادئ منطقي لاينظر الى القضية بشغف).

رئيس الهيئة: هل من مزيد؟

رقم٦: لا.

رئيس الهيئة: طيّب، الآن دورك يا رقم٧.

رقم٧: أنا؟ لست أدري... فأنا أرى أنّ كل شيء قد قيل. وبوسعنا متابعة النقاش حتى الغد، دونما تغيير. فالولد سافل، وهذا تعرفونه كما أعرفه. لقد مَثُلَ وهو في سنّ العاشرة أمام قاضٍ للأحداث لأنّه قلع عين معلّمه بضربة حجر. ثم قام وهو في الخامسة عشرة بسرقة سيارة. فأُدْخِل الى إحدى الإصلاحيّات. وقبض عليه مرّتين من بعد بسبب مُطاعَنَةٍ بالمِدى. إنّه حقاً لصبيّ لطيف المعشر.

رقم٨: أجل، ولكن لاتنسَ أنّه منذ الخامسة من عمره، وأبوه ينهال عليه يومياً ضرباً ولكماً.

رقم٧: لو كنت مكان أبيه لفعلت مثله.

رقم٣: وأنا أيضاً وأيضاً! (وهو يصرّ بأسنانه) ذلك السافل الحقير!... أجل، هاكم الصغار كيف صاروا اليوم. أمّا أنا، فحين كنتُ في سنِّه، كنت أقول لأبي

«يا سيّدي» . (الى رقم٨) «يا سيّدي» . بالضبط . فهل تسمَعَ من صغيرٍ في أيا منا يخاطب أباه قائلاً «يا سيّدي»؟

رقم٨ : يبدو أنّ الآباء ما عادوا يعتقدون بضرورة ذلك .

رقم٣ : حقاً؟ وهل لديك أولاد؟

رقم٨ : ثلاثة .

رقم٣ : طيّب . أما أنا ، فلدي واحد ، إنّه ولد في الثالثة والعشرين . لم يكن قد بلغ العاشرة حين رأيته يوماً في معركة بين الصبية ، وقد ولّى هارباً كالأرنب . لقد انتابني منه خجل حتى كدت أتقيأ . عندئذ قلت له : «إمّا أن أجعل منك رجلاً وإمّا أن أقطعك نصفين» . وكان أن جعلت منه رجلاً . ثم كان في نهاية المطاف أن قام يوماً ، وهو في السابعة عشر ، فحطّم وجهي بلكمة على أثَر خُلْفٍ بيننا . إنّه صبيّ شديد المراس . . . وها أنا لم أره منذ أكثر من عامين . . . إنّما الأولاد كلّهم فاسدون . وتُضْني النَّفسَ وأنتَ تقدّم لهم . . . (يتوقّف بغتة ويلقي نظرة ضيق على رقم٨ ثم على الآخرينْ ويتوجّه الى موزّع الماء وهو يجمجم) هذا حسن . فلنمضِ .

رقم٤ : إنّنا لَنَزُوغ . من المؤكّد أنّ هذا الصبي قد خرج من أسرة مدمَّرة وحيّ حقير . لكنّ المسألة ليست هناك . ونحن ما اجتمعنا هنا لنبحث في الأسباب التي تجعل من الأكواخ القذرة أعشاشاً للمجرمين، بل نحن هنا لنقول إنْ كان مذنباً أم لا . أمّا أن يكون مولوداً في مسكن قذر وأن تكون المساكن القذرة مرتعاً للجريمة فهذا ما أعرفه ونعرفه، وأنّ أولاد الأحياء الحقيرة هم تهديد دائم للمجتمع، لكن، ومرّة أخرى أيضاً . . .

رقم١٠ يقاطعه : لاتتسرّع كثيراً، يا عزيزي، ولنتوقّف عند هذه النقطة . فمن المؤكّد أنّ هؤلاء الصبية الذين تعجّ بهم شوارع المدينة السفلى هم نفايات بشرية حقيقية . وأنّنا مهما تكلّمنا عليهم يبقى كلامنا غير كافٍ .

رقم٥ ، بعصبية : أيلزمني أن أعتبر هذا الكلام موجّهاً إليّ؟ لقد أمضيتُ نشأتي كلّها في شارع صغير موبوء، ولا أعتقد مع ذلك . . .

رقم١٠ ، مندهشاً : طيّب، هيّا، على رسلك يا صاح .

رقم٥ ، ساخطاً : وأنا أيضاً لعبت في تلك الأزمّة الملأى بالقاذورات . . . ولعلّك تجد أنّ رائحتها مازالت لاصقة بي؟

رقم١٠ ، وقد بدأ يحتدّ: هيه، إسمع . . .

رئيس الهيئة، واقفاً: هيّا، حسبكم. (الى رقم٥) ما كان ذلك تلميحاً.

رقم٥، صارخاً: بلى، إنّه تلميح!

رقم١٢ : كلا على الاطلاق. فهو لم يكن بصددك. فلاتكن مُفْرِطَ الحساسية.

رقم١١ ، بلطف: إنني لأَفْهمُ تلك الحساسية فهماً تاماً.

رئيس الهيئة: لابأس، حسبنا خلافات. فنحن نبدّد وقتنا. (الى رقم٨) الآن دورك هيّا.

رقم٨: لكن. . . ليس لي من دور. أحسب أنّ المسألة تتعلّق بإقناعي أنا. أم أنّني مخطئ؟

رقم١٢ : كلا، بل هذا هو الواقع.

رئيس الهيئة : معذرة، لقد سَهَوْت.

رقم١٠ : لكن ما أهمية ذلك؟ أليس هو الذي يرغمنا على البقاء هنا؟ فليقل ما لديه.

رئيس الهيئة: لكن لا، فهيّا بنا. لقد اتفقنا على طريقة بعينها. فلنتقيّد بها.

رقم١٠ ، الى رئيس الهيئة: إيه! كُفّ عن هذا الاسلوب الصبياني!

رئيس الهيئة : صبياني! ماذا تقول؟

رقم١٠ : أقول صبياني: صِبْ- يَا- ني.

رئيس الهيئة، ممتقعاً: هذا إذاً لأنّني أسعى لفرض التقيّد بالنّظام؟... (يقف) طيّب، خـــذ مكاني! هذا مقعدي، تفضّل. اجلس هنا. فلن أقول كلمة من بعد.

رقم١٠، وقد أُسقط في يده: ولكن لاتغضب...

رئيس الهيئة، وهو يزداد حدّة: وهو الذي يطلب إليّ أيضاً ألاّ أغضب!... لقد تخلّيت لك عن هذا الكرسي، يا سيد رئيس هيئة المحلفين. وأنا على استعداد لابداء إعجابي بأحوذيّتك.

رقم١٠ : هل سبق أن رأيتم مثل هذه الحكاية؟

(يتهكّم بضيق)

رئيس الهيئة، بحزم: إنّك تستخفّ بي؟

رقم١٢ : لكن لا؛ فدعه ولاتلقِ إليه بالاً. فالمسألة ليست بذات أهميّة.

رئيسة الهيئة : ليست بذات أهميّة، حقاً! أتريد أن تحاول؟

رقم١٢ : معاذ الله! أنت تؤدّي ذلك على خير مايرام. وليس من يقول عكس هذا. فتفضّل بالجلوس مجدّداً.

رقم٧ : بلى. فأنت تؤدّي ذلك على الوجه الأكمل.

رقم١٠ : من الذي يتكلّم إذاً؟

رقم٨ : أنا، إذا ما شئتم. فأنا على استعداد لأن أذكر لكم إحساسي على الفور.

رئيس الهيئة، يعود للجلوس لكنه يدير ظهره: لن أهتمّ بكل ما يجري هنا.

رقم٨، متبسّماً: حسن جداً... (فترة من الوقت) ليس لديّ من شيء متميّز أقوله. وليس لديّ من المعرفة أكثر منكم. وإذا ما تقيّدنا بالوقائع، بدا الصبيّ مذنباً. بل قد يكون كذلك. إلا أنّني وأنا جالس بينكم، ونحن نستمع طيلة خمسة أيام للاثباتات تترى، بدأ شيء في هذه القضيّة... يثير استغرابي.

رقم١٠ : أيّ شيء؟

رقم٨ : كيف أقول لكم؟... كان الشهود كلهم جدّ... أقصد... جدّ قطعيين... وقصدي أنّ أقول إنّ الحياة ليس فيها قط من شيء قطعيّ على ذلك النحو... وهنالك أسئلة كنت أودّ أن أطرحها. قد لايكون من شأنها أن تقدّم شيئاً. لكنْ تَوَلّدَ في نفسي أخيراً إحساس... قويّ جداً، بأنّ محامي الصبي لم

يؤدِّ الاستجواب المعاكس على نحو حقيقي. فلقد أهمل أشياء كثيرة. . . وهي أشياء صغيرة.

رقم ١٠: أيّة أشياء صغيرة؟ فأنت تعرف أنّ هؤلاء الناس، اذا لم يطرحوا أسئلة فلأنّهم يعرفون الأجوبة ويستشعرون الخطر.

رقم٨: ربما. آه، ذلك ممكن. . . وممكن أيضاً أن يكون المحامي غبيّاً، أليس كذلك؟

رقم٧: من يسمعك يحسب أنّك التقيت بزوج أختي!

(بعض المحلفين يضحكون).

رقم٨، مبتسماً: أقصد أن أقول إنّني لو كنت مكان الصبي لما اخترت ذلك المحامي. ولو كان عليّ أن أقاتل من أجل إنقاذ حياتي، لسعيتُ إلى تفنيد شهادات الاتّهام. . . أو لحاولت على الأقل أن أفعل ذلك. ولدينا في نهاية المطاف شاهدٌ واحد في القضية، يقول إنّه شاهَدَ عمليّة القتل. واحد فقط. وشاهد آخر يقول إنّه قد سمعها. وكان هناك، طبعاً، كمية من الأدلّة غير المباشرة. لكن الاتهام يعتمد في النهاية على شاهدين اثنين. فافرضوا أنّهما قد أخطأا التقدير؟

رقم١٢: وكيف هذا قد أخطأا التقدير؟ الشّهود الذي يخطئون التقدير ليسوا بشهود.

رقم٨ إلى رقم١٢ : إنّي أطرح عليك سـؤالاً : هلي يمكن أن يُخطئا التقدير؟

رقم١٢ : لقد أقسما اليمين. فما الهدف الذي ترمي إليه؟

رقم٨ : يمين أو غير يمين، هؤلاء بشر، والبشر يخطئون. . . ألا يمكن أن يكونا قد أخطأا؟

رقم١٢ : أنا. . . كلا! لا أعتقد ذلك.

رقم٨ : فهل أنت واثق من هذا الأمر؟

رقم١٢ : لا، بكلّ تأكيد. فما من أحد يمكن أن يكون واثقاً من هذا الأمر. لأنّه ليس علماً مضبوطاً.

رقم٤ : صحيح جداً.

رقم٣ إلى رقم٨ : طيّب. لكن لدينا أشياء مؤكّدة. فلنتحدث قليلاً على تلك المِدْيَة ذات فرضة التوقيف. . .

رقم٢ يقاطعة : آه، بل دقيقة. أعتقد أنّ علينا. . . لدينا هنا من لمّا يتكلّموا.

رقم٣ : سيتكلّمون بقدر ما يرغبون. دعنا ننتهي من هذا أولاً. (الى رقم٨) أجل، أجل، تلك المدية التي انتزعت من صدر الضحيّة والتي اعترف غلامك اللطيف أنّه اشتراها ليلة الجريمة. ما رأيك؟ فلنتحدّث عليها!

رقم٨ ، متبسّماً : طيّب ، فلنتحدّث عليها . وأنا أيضا بودّي لو أراها . (يلتفت صوب رئيس الهيئة) سيدي رئيس الهيئة؟

(يستدير رئيس الهيئة ناحيته فينظر إليه ، ثم يقف متنهّداً ، فيتوجّه إلى الباب . وأثناء الحوار التالي يدقّ رئيس الهيئة على الباب فيدخل الحارس فيتحدث الرئيس إليه بصوت خافت . فينحني الحارس موافقاً ويخرج فَيُرْتجُ الباب) .

رقم٣ : لست أرى من فائدة في ذلك فتلك المدية نعرفها جميعاً ، أليس كذلك؟

رقم٤ : بوسع هيئة المحلّفين أن تطلب رؤية أدوات الإثبات .

(رقم٣ ينهز يكتفيه ويتحوّل) .

رقم٤ الى رقم٨ : وتلك المدية وطريقة الصبي في شرائها ، هي أداة إثبات قيّمة جداً ، ألا ترى ذلك؟

رقم٨ : بلى .

رقم٤ : فلنحاول أثناء الانتظار أن نرى كيف تبدو المسألة . أولاً : اعترف الصبي أنّه خرج من بيته في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم بعد أن لطمه أبوه . . .

رقم٦ : كلا ، ليس لَطَمه بل لَكَمه . فالصبيّ ذكر اللّكم . وهذا يشكّل فارقاً .

رقم٤ ، وهو يصحّح على مضض: . . . بعد أن لكمه أبوه .
ثانياً: قصد مباشرة دكانا في الجوار فاشترى تلك. . .
كيف تسمّون تلك؟

رقم٣ : المدية ذات فرضة التوقيف .

رقم٤ : المدية ذات فرضة التوقيف . (الى رقم٣) شكرا . ثالثاً : المدية ذات نُصابٍ محفور بشكل غريب . رابعاً : تعرّف عليها البائع الذي باعها وقال إنّها المدية الوحيدة في نوعها والتي دخلت محله على الاطلاق . خامساً : في . . . حدود الساعة٨ و٤٥َ ، التقى الصبيّ بعض أصدقائه أمام مقهى . طيب ، نحن على اتّفاق حتى هنا؟

رقم٨ : على اتفاق تام .

رقم٣ : بل على أفضل اتّفاق .

رقم٤ : تحدّث الصبي مع أولئك الأصدقاء قرابة ساعة ثم غادرهم بحدود الساعة ٩و٤٥َ . وفي أثناء تلك الساعة شاهدوا المدية . كانوا ستة : وكلّ واحد منهم تعرّف أمام المحكمة على سلاح الجريمة على أنّها تلك المدية نفسها . سابعاً : عاد الصبي إلى البيت حوالي العاشرة . وعند هذه النقطة تختلف روايته بشكل

ملموس عن رواية المحكمة. فهو يقول إنّه لبث في البيت حتى الساعة ١١و٣٠، ثم خرج قاصداً إحدى دور السينما التي تظل مفتوحة طول الليل. ويقول إنّه عاد الى البيت نحو الساعة٣و١٥، ليجد أباه مقتولاً والشرطة في انتظاره. أما عن المدية التي لم تعد في حوزته، فيقول إنّه لابد أن يكون فقدها بسبب ثقب في جيبه بين الساعة١١و١٠ حتى ٣و١٥، إمّا في الشارع أو في صالة السينما. أمّا المحكمة فتعتقد أنّه ما من أحد في المنزل رآه يخرج وما من زبون في السينما قد لمحه. وهي تقول إنّ الصبي لم يذهب الى السينما. وحين سألوه أيّة أفلام شاهد، لم يَقْوَ على الردّ.

(يُفْتَح الباب فيدخل الحارس ومعه المدية. ينهض رقم٤ ويذهب ليأخذها منه. يخرج الحارس).

رقم٤ : هاكم رأيي أنا: لبث الصبي في البيت. وحصل عراك جديد بينه وبين أبيه، فطعنه في حدود الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق وهرب من البيت. تذكّروا أنّه حرص على عدم ترك بصمات على نصاب المدية. (الى رقم٨) أتعتقد حقاً أنّ تلك المدية سقطت من ثقب في جيبه، وأنّ شخصاً آخر التقطها، ثم توجّه من فوره فطعن بها الأب. . . هكذا، من أجل المتعة؟

رقم٨ : لا ، بل أقول إنّ ذاك ممكن . أولَيْسَ ممكناً؟

(رقم٤ يجعل نصل المدية يبرز فيغرزه في الطاولة)

رقم٤ : شاهدوا هذه . إنّها حقّاً مدية . . . فريدة جداً . انا لم أرَ لها مثيلاً قط . والبائع أيضاً . وقال إنّه لاتوجد مدية أخرى مماثلة . فليس هناك أدنى شك في أنّ المدية التي اشتراها الصبي في ذلك المساء هي حقاً سلاح الجريمة . (الى رقم٨) فهل تسلّم لي بهذه الحقيقة؟

رقم٨ : أنا أقول إنّه ممكن وجود مدىً أخرى مماثلة لتلك المدية .

رقم٣ ، صارخاً : أمّا أنا فأقول إنّ ذلك مستحيل .

(يمدّ رقم٨ يده إلى جيبه فيخرج منها مدية . ويبرز نصلها ثم يغرزها في الطاولة الى جانب الأخرى . المديتان متطابقتان تماماً . فترتفع الأصوات كلّها دفعة واحدة).

رقم٧ : ما هذا؟

رقم١٢ : من أين أخرجت هذه ؟

رقم٦ : يا لذاك!

رقم٢ : وما رأيكم بهذا؟

(رقم٨ ، متَنَحِّياً ، يراقبهم . رقم٣ ينظر إليه) .

رقم٣ : كيف فعلت ذلك؟

رقم١٠ ، بقوة : هذه إحدى حركات خداع البصر .

(رقم٦ يخرج السكين من الطاولة)

رقم : انظروا ، ولكن انظروا! إنّها المدية عينها .

رقم٤ : اهدؤوا ، هيّا ، اهدؤوا! (يأخــذ المدية من بين يدي رقم٦ ثم يتوجّه الى رقم٨) أين عثرت عليها .

رقم٨ : تمشــيّت في الليلة الفـائتـة ، قـرابة سـاعـتين ، بـدافـع التفكير . وقادتني قدماي الى حيّ الصبي . لقد عثرت على المدية الثانية في دكـان مُقْرِضٍ تبعد مسافة ثلاثة مبانٍ عن منزله . وثمنها دولاران .

رقم٤ : إنّ بيع أو شراء هذا النوع من المدى ، مخالف للقانون .

رقم٨ ، متبسّماً : ذات فرضة التوقيف؟ أعرف ، أجل ، ولقد خالفتُ القانون .

(رقم٣ ينفجر ، وقد أمسى عاجزاً عن ضبط نفسه)

رقم٣ : طيّب ، وماذا؟ ماذا بعد؟ لقد أدّيتَ دوراً باهراً ، فماذا بعد؟ والآن أخبرني ماالذي تثبته حيلتك؟ قد توجد عشر مدىً مماثلة لهذه . وبعدئذ؟

رقم٨ : بعدئذ ، لاشيء .

رقم٣: قل! ما معنى ذلك؟ إنّها المدية نفسها، فماذا بعد؟ ماذا بعد؟ أهذا اكتشاف العصر أم ماذا؟ ولكن، هيّا، تكلّم!

رقم١١، بهدوء: لايبدّل ذلك شيئاً من واقع أنّها ستكون صدفة... لامثيل لها، أن يكون شخص آخر قد قتَلَ بمدية الصبي نفسها.

رقم٧: صدفة واحد من مليون.

رقم٨: صدفة.

رقم٤: لكنّها ضئيلة الاحتمال.

رقم٨: ضئيلة الاحتمال، لكنّها صدفة.

(يتبادل الرجلان النظر).

رئيس الهيئة: اسمعوا، اقعدو. يلزم ألاّ نتلكأ.

رقم٢: إنّه على كلّ حال لأمر مثير للاهتمام أن يعثر على تلك المدية المطابقة تماماً...

رئيس الهيئة، يتجاهله فيقول للآخرين: طيّب، هيّا. وماذا الآن؟

رقم٣ الى رقم٢: كيف مثير للاهتمام؟ هل ترى أنّ هذا يبرهن على شيء؟

رقم٢: كلا، كلا. كنت فقط...

رقم٣: مثير للاهتمام!

(ينهز يكتفيه ويتحوّل).

هناك أحد عشر على الدوام يجدَونه مذنباً، أليس صحيحاً؟

رقم١٠ : صحيح كل الصّحة. ولن يغيّر واحدٌ من هؤلاء الأحد عشر رأيه. (الى رقم٨) إذا ماعاندتَّ، فسوف يتمّ حلّ الهيئة، وتعاد محاكمة الصبي ويُعْدَم بكل تأكيد.

رقم٨ : لاشك في أنّك على حق.

رقم٧ : إذاً؟ هيّا قرّر. فلن نلبث هنا الليلة بطولها.

رقم٩ : إن هي إلاّ ليلة واحدة. والمسألة حياة رجل أو موته!

رقم٧ : رائع! فلنستقرّ هنا وكأنّنا في بيوتنا. (يضحك).

(يضحك رقم٣ فيمضي ليَجلب سجائر من سترته).

رقم٢ الى رئيس الهيئة: أرى ألاّ يُصار الى المزاح في هذا الصدد.

رئيس الهيئة، بجفاء: وماذا تريدني أن أفعل؟

رقم١٠ وهو يخبط على الطاولة: اسمعوا، لست أرى من علاقة للقضية بكل هذه الفوضى التي أثيرت حول موضوع المدية. لقد شاهد أحدهم الصبي وهو يطعن والده. هذا كلّ شيء. فماذا تريدون أكثر؟ بوسعكم

الاستمرار في الجدال حتى ينثقب صدغي، لكنّ رأيي لن يتغيّر. أتعرفون بماذا أفكّر؟ لديّ ثلاثة مرائب هي ملك لي، العمل فيها الآن يتعثّر بينما أنتم تتفاصحون. هلمّوا، حسبنا اهتماماً بهذا ولننصرف من هنا.

رقم١١، بهدوء: إلاّ أنّ المدية بدت ذات أهمية في نظر النيابة العامة. إذ أمضت يوماً...

رقم١٠، يقاطعه: هو؟ إنّه المساعد الرابع أو الخامس أو شيء من هذا القبيل. فما الذي يعرفه بذلك الشأن؟ (ينفّ بصخب).

رئيس الهيئة: أجل، فلنقف عند ذلك الحد. (الى رقم٨) وماذا بعد؟

رقم٣: أنت الوحيد!

(يوافق رقم٨ باشارة من رأسه. يفكّر. فترة. بعدئذ يجيل نظره بهدوء فيمن يحيطون بالطاولة. وتمر فترة أيضاً. ثم يقرّر)

رقم٨: هاكم، إنّي أطلب تصويتاً. أطلب أن تقوموا، أنتم الأحد عشر، بتصويت سرّي. أما أنا فأمتنع. فاذا كانت النتيجة أحد عشر صوتاً بجانب مذنب، فأنا لن

أعـانـد . وبوسـعنا أن نتـوجّه الى القـاضي بقـرار تجـريم جـماعي من دون تأخيـر . أمـا اذا صـوّت واحـد غيـر مذنب ، عندئذ سنواصل التداول في القضـية . هاكم . إذا كان ذلك يُلائمكم ، فأنا وقراري .

رقم٧ : طيب ، اتفقنا . هيّا بنا .

رئيس الهيئة : يبـدو لي هذا حـلاً منصفـاً . هل من اعـتراض؟ (سكوت) رائع . خذوا فمرّروا . (يناولهم قصاصات مربعة من الورق) .

(يتوجّه رقم٨ الى النافذة وينظر خارجاً فترة . ثم يستدير ويراقبهم وهم يملؤون بطاقات التصويت ثم يعيدونها لرئيس الهيئة ، الذي يجمعها فيعدّها ثم يبدأ بفردها) .

رئيس الهيئة ، وهو يفـتح البطاقـة الأولى : مـذنب . (يفـتح الثـانيـة) مـذنب . . . مـذنب . . . مـذنب . . . مـذنب . . . مـذنب . . . مـذنب . . . مـذنب . . . مذنب . . . (فترة) غيـر مـذنب . (رقم٣ يخبط على الطاولة بعنف . رئيس الهيئـة يفتح البطاقـة الأخيـرة) مذنب .

رقم١٠ ، ساخطاً : ما رأيكم بهذا؟

رقم٧ : لقد تمّ الأمر ! فواحد آخر قد فقد صوابه .

رقم١٠ : من هو؟ أريد أن أعرفه.

رقم١١ : المعــذرة منك، فـهــذا اقــتــراع ســرّي. ونحن قــد اتفقنا...

رقم٣، يقاطعه: سرّي! وماذا يعني ذلك، سرّي؟ لاتوجد أسرار في قاعة هيئة المحلفين... ناهيك بأنّي أعرف الفــاعل. (ينهض ويذهب الى رقم٥) أمــسكت بك أنت، ياعـزيزي المتخـاذل، لقـد فـزت علينا! كـيف! وصلت الى هنا مشحوناً تماماً، فسرت معنا وصوتّ مثلما صــوّتنا. وحين طلع علينا أخيـراً حضـرة ذلك الواعظ بصوته المعسول ليجعل قلوبنا تتفطّر على ذلك الصــبي المسكين الذي لم يقـدر إلاّ أن يمسي قــاتلاً، نكصت فغيّرت مبادئك! أليس هذا هو الشيء الأكثر إثارة للاشمئزاز... أرى أن تدور متسولاً تطلب له الصدقة مادمنا بصدده!

(يدير له ظهره).

رقم٥، وقد امتقع من شدة الغيظ: انتظر دقيقة!

(رقم٣ يبتعد).

رقم٥ صــارخــاً: من ذا الذي ســمح لك بأن تكلّمني هكذا؟ (يمسك به من كـتـفــه) قل؟... من ذا الذي ســمح لك...؟

(رقم٣ يتخلّص منه ثم يتصدّى له. رقم٤ يدخل ما بين الاثنين ويمسك بذراع رقم٥).

رقم٤ بهدوء: هيّا، عليكما بالترويّ.

رقم ٥: ولكن من يحسب نفسه؟ (رقم٤ يعيده الى كرسيه) كلا، ولكن ألم تره؟

رقم٤: أجل، أجل، تفضّل واقعد. إنه رجل سريع الانفعال. هيا، أنسَ هذا، فليس بذي أهمية.

رقم٣، صارخا: سريع الانفعال! تقولون إني سريع الانفعال. نحن منهمكون جميعاً في السعي لإرسال فاسق حقير الى الكرسي الكهربائي. ولمّا نَبَقَ أحد الحالمين وشرع بهذر بحكايات مرضع...

رئيس الهيئة: هيّا، حسبك زعيقاً!

رقم١١: هل يسعني أن أقول شيئاً؟ كنت دوماً أشعر بالإعجاب وأنا أرى كيف يملك الانسان في هذه البلاد، الحقّ في أن يكون له رأيه الخاص. وهذا مادفع بي للقدوم الى هنا. أما في بلادي، فانني أحسّ بالعار إذ أقول...

رقم١٠، يقاطعه: أوّاه! كفاك. فهل تريد أن تروي لنا قصّة حياتك؟

(رقم١١ يسكتُ، متضايقاً).

رقم٧ : لِنَبقَ ضمن حدود الموضوع. (الى رقم٥) ولكن ماالذي دعاك الى تغيير تصويتك؟

رقم٩ ، بهدوء : إنّه لم يغيّر تصويته. . . إنّه أنا.

رقم٣ ، بقرف : إيه!

رقم٩ الى رقم٧ : أتريد أن تعرف لماذا؟

رقم٧ : كلا ، فالأمر لايثير اهتمامي.

(يدير له ظهره).

رقم٩ : إلا أنني سأقوله لك. . . إذا ما سمحت.

رقم١٠ : هل نحن مرغمون حقاً على الاصغاء الى هذا؟

رقم٦ ، بشدّة : هذا السيد راغب في الكلام.

رقم ١٠ ينهز بكتفيه ويشيح بوجهه. يشير رئيس الهيئة لرقم٩ بالكلام).

رقم٩ : شكرا (الى رقم١٠) إنّ هذا السيد (يدل على رقم٨) قد اختار أن يتصدّى وحده لنا جميعاً. وهو لم يقل إنّ الصبيّ ليس مذنبا، بل قال فقط إنّه غيز متأكّد من ذلك. طيب! يلزم المرء الكثير من الشجاعة ليجابه وحده تهكّم الجميع، حتى إن كان يدافع عن قضيّة عادلة.

(رقم١٠ يرفع عينيه الى السماء، فيهزّ رأسه بقرف ثم ينهض ويدير ظهره لرقم٩).

رقم٩، وهو ينهض وقد ازداد صوته حِدّة: لقد سلّم الأمر إلينا كي ننطق بالحكم. فقامر. وشعرت أنّه يأمل بمساعدة فقدّمتها له. إنني أحترم دوافعه. فالصبي الذي نحاكمه مذنب على الأرجح، لكنّني راغب في سماع المزيد عن ذلك. هاكم. (بقوة) نتيجة التصويت عشرة مقابل اثنين.

(يدخل رقم٧ الى المغاسل ويرخي الباب فينصفق. يمشي رقم٩ خطوة الى أمام وقد غدا ساخطاً بسبب صفاقته).

رقم٩: إنّي أتكلّم وأنت لاتملك الحق...

(تستقر يد رقم٨ فوق كتفه فيستدير نحوه)

رقم٨: إنّه لايستطيع سماعك، فهو غير راغب في ذلك أبداً. تفضّل اجلس.

رقم٤: هل نتابع؟

رئيس الهيئة: قد نكون بحاجة لوقفة قصيرة؟

رقم١٠، بقرف: وقفة قصيرة... يا لها من مهزلة!

رقم١٢ : أغلب ظنّي أننا سنضطرّ للتنحّي. فتصويت السيّد المُسِنّ. (يشير الى رقم٩) لا يسهّل العقبات أمامنا. (رقم١١ يومئ موافقاً وينهز بكتفيه) فكيف نخرج من هذا المأزق؟ . . . هل لدى أحدكم من فكرة؟ . . . (الى رقم١١) لقد قلت لك، حسبما أظن إنّني كنت أعمل في وكالة للاعلان؟ (رقم١١ يومئ أن نعم) كان فيها أناسٌ في منتهى الغرابة. . . (يتبسّم) إليك كيف: ليس منتهى الغرابة حقّاً، بل من ناحية طريقتهم في التعبير عن أفكارهم؛ هل فهمت ماأريد أن أقول؟ (رقم١١ يومئ أن نعم). لاشكّ في أن الأمر في مهنتك سيّان. فما هو عملك؟

رقم١١ : ساعاتي.

رقم١٢ : حقّاً؟ يبدو أنّ أمهر الساعاتيّة يَفدون علينا من أوربا. (رقم١١ ينحني قليلاً) لقد اعتدنا في وكالتنا إذاً، حين تصل المناقشة الى نقطة الجمود، مثلما هي حالنا الآن، أن يعلن، من تخطر بباله فكرة ما، قائلاً بصدد فكرته: «انتبهوا للفكرة! لندعها تطفو حتى الصاري ولنَرَ مِنْ ثمّ إن كان أحد سيوجّه إليها التحية» (يضحك) طريقة حمقاء، لكنها مسليّة.

(توجّه رقم٣ في أثناء ذلك ليقف بجوار رقم٥ قرب موزع الماء البارد).

رقم٣: اسمع، إنّني... أشعر بالأسف. لقد ثارت ثائرتي. أنت تعرف حقيقة الوضع...

(ينظر رقم٥ إليه من فوق كأسه ثم ينتهي من الشرب).

رقم٣: أهنئك لأنّك لم تنجرف في تيار هذه الشفقة... البلهاء.

(ينضم رقم١٠ إليهما وهو ينخر ويربّت على ظهر رقم٥ بخفّة. فيما يقف رقم٨ وحده عند الطرف الآخر من النافذة وهو يراقب رقم٣ و٥ و١٠. ثم يتوجّه الى المغاسل. يفتح الباب ويدخل. يمسح رقم٧ وجهه ويديه بمنديل من الورق. يرى رقم٨ في مرآة المغسلة فيدير ظهره ويبتعد. يقترب رقم٨ من المغسلة ويفتح الماء. يمضي رقم٧ في مراقبته وهو يتنشّف).

رقم٧: قل لي، هل أنت بائع؟

رقم٨، وهو ينظر إليه في المرآة: أنا مهندس.

رقم٧: أتعرف ماذا يعني البيع بالحسنى؟

(يرطّب رقم٨ وجهه بالماء وهو ينظر اليه في المرآة مجدداً) أنت لست امرأً سيئاً، وأقول لك ذلك عن معرفة. أما أنا فأعتمد أسلوباً مغايراً. إنّي أمزح. وأشرب وأربّت على

ظهـور الناس . . . لقـد حققّت لنفسي في العـام الماضي ربحـاً قـدره (٢٧٠٠٠)دولار من بيع المربيَّـات . ليس ذلك بالقليل ، ألاترى؟ ولنقلها بِجدٍ، يا صاح ، مـا جدوى تلك البلبلة كلّها؟ وأيّ خير سـوف تجتنيه منهـا؟ وهل ستنال غيـر ركـلات في قـفاك؟ . . . ألا ترى ذلك؟ فسرّ لي الضـربة : نزلت بك ذات يوم نازلة فأصابتك في رأسك فشجّته؟ أتلك هي؟

رقم٨، متبسّما : ربما .

رقم٧ : انتم متماثلون جميعاً أيّها الناس ذوو القلوب الكبيرة : ومستعدون دوماً لأن تهرعوا لنجدة كلّ أبله مسكين ضلّت به السبل . لكنّ هواكـم لايمضي بكم حتى بلوغ الغاية ، وإعـادته الى الطريق القويم . وكلّ ما تجيدون فعله ، أن تمدّوا اليه يدكم بمنديل كي يمسح دموعه . لم إذن تضيّع وقتك ووقتنا في هذه المعـضلة؟ خيـر مـا تفعله أن ترسل خمسة دولارات الى الجمعيات الخيرية ثم تطوي صـفـحة ذلك كله . (يغسل رقم٨ وجهـه . رقم٧ يراقبـه ، فـينظر رقم٨ إليـه) أصغِ ، يا صـاح . الولد مذنب . وهذا واضح وضوح الأنف في منتصف الوجه . فلنعد الى بيوتنا من قبل أن تجفّ حلوقنا .

(يستدير رقم٨ صوب رقم٧ الذي يمد إليه يده بمنديل من الورق وينتظر. فينشّف رقم٨ وجهه وهو يراقب رقم٧).

رقم٨ : تجعلها تجفّ هنا مثلما ستجفّ في ملعب البيسبول.

(ينظر إليه رقم٧ ثم يتبسّم بضنى).

رقم٧ : أصبت حقاً، يا صاح، أصبت حقا.

(يخرج ويصفق الباب. ينشّف رقم٨ وجهه ببطء. ما يلبث الباب أن ينفتح فيدخل رقم٦ الى المغاسل ويفتح الماء).

رقم٦ : تشكيلة جميلة من الرجال، ألا ترى؟

رقم٨ : إنَّهم في ظنّي مثل باقي الناس.

(فترة من الوقت).

رقم٦ : يا له من يوم مُضْنٍ! (ينشّف وجهه). أتعتقد أنّ الأمر سيطول أيضاً؟

رقم٨ : لاأدري.

رقم٦ : إنّه مذنب بكل تأكيد، كما تعلم. ليس هناك أدنى شك. (رقم٨ لايقول شيئاً) هذا، كما تعرف، لايضايقني أنا. بل يقطع عملي. (يضحك. رقم٨ يبتسم. ينظر من ثَمَّ رقم٦ في رقم٨ بتحديق، فتختفي ابتسامته). أتعتقد أنّه غير مذنب؟

رقم٨ : لاأدري. فهذا ممكن.

رقم٦ ، بتودّد : إسمعني ، أنا لاأعرفك ، لكنّي أراهن على أنّك ترتكب أكبر خطأ في حياتك كلّها . . . عليك أن تهمل القضيّة .

رقم٨ : هَبْ أنّك كنتَ مكان الصبي وأنّ محاكمتك أنتَ هي التي تجري .

(ينظر رقم٦ إليه بتجهّم . فترة . ثم يتناول منديلاً فيجفّف يديه) .

رقم٦ : لاأجيد الافتراض . ولست أكثر من عامل . فَرَبُّ العمل هو الذي يضع الفرضيات . . . (وقفة) لكنّني مع ذلك سأتقدّم بواحدة . هَبْ أنّك استطعت تضليلنا جميعاً وأن يكون الولد قد طعن حقاً أباه؟ . . .

(ينظر رقم٨ إليه وهو يخرج . ونشعر أنّ هذا الشيء هو الذي يثير قلقه . فهو لايعرف ولن يعرف أبداً . وفي النهاية يخرج بدوره) .

رئيس الهيئة : حسن جداً . سنستأنف .

رقم٢ : لديّ انطباع بأنّ الوضع ملائم لأن نتناول عشاءنا هنا .

رئيس الهيئة : ليس لنا أن نضيع الوقت . من يطلب الكلام الآن؟

رقم٣، وقد استعاد السيطرة على نفسه : أنا . إنّي أطلب إليكم الإجابة على سؤال أول . الرجل العجوز المقيم في الطابق الأدنى ، سمع الصبي يجأر صاخاً «سأقتلك» وبعد ثانية سمع الجسد يسقط على الأرض . طيب . ماذا يعني ذلك بالنسبة لكم؟

(سكوت)

رقم٨ : إنّي لأتساءل كيف استطاع الرجل العجوز أن يسمع صوت الصبي بوضوح من خلال الأرضية .

رقم٣ : ليس من خلال الأرضيّة . فنافذته كانت مفتوحة ونافذة الطابق الأعلى أيضاً فالليلة كانت حارة جداً وأنتم تذكرون ذلك؟

رقم٨ : نعم ، لكن الصوت كان صادراً عن شقة أخرى . وليس من السهل التعرّف على الصوت ، لاسيّما حين يكون صارخاً .

رئيس الهيئة : لقد أقسم الرجل العجوز على أنّه قد عرفه .

رقم١٢ : صحيح جداً . ولاتنس المرأة في الجانب الآخر من الشارع . كانت تنظر من النافذة المفتوحة . وقد رأت ، رأت الصبي يطعن أباه .

(ينهض رقم٣ ويبدأ بالمشيء حول الطاولة بخطىً واسعة)

رقم٤ ، بنفاد صبر : والمرأة شاهدت عملية القتل من خلال نوافذ قطار عابر . كان القطار مؤلفاً من ست عربات ، وقد رأت ذلك من خلال نوافذ الأُوليَيْن . وهي تتذكّر أدقّ التفاصيل . ولست أرى ما الذي يمكن إعادة النظر فيه من كلّ ذلك .

(سكوت)

رقم١٠ الى رقم٨ : طيّب؟ ألا تَرُدّ؟

رقم٨ ، بخشونة : لست أدري ، فأنا . . . لاأشعر . ليس في ذلك مسحة صدق في نظري .

رقم٧ : أنتم ترون حاله . كأنّنا نتكلّم في صحراء .

(سكوت . ينحني رقم٣ ، وقد اجتذب نظره شيء يخطّه رقم١٢ على ورقة بيضاء ، ويقول له من فوق الطاولة) .

رقم٣ : ناولني قلمك (رقم١٢ يناوله إيّاه) هذا حرف m أو n؟

رقم١٢ : حرف m

رقم٣ : طيب ، تريّث . (يخطّ حرفاً على الورقة) .

(ينهض رقم٨ بوثبة ، فيذهب الى رقم١٢ فينتزع منه الورقة ويمزّقها إرباً) .

رقم٨ ، وقد استبدّ به الغضب لأوّل مرّة -لسنا هنا للعبث بالأوراق الصغيرة .

رقم٣، ساخطاً - بأيّ حق؟ ولكن بأي حق؟ و[illegible]ب نفسك؟

(يهجم على رقم٨ فيحول دونه رقم١١ ورقم٢ ويأتي رئيس الهيئة للنجدة فيمسك به من ذراعه).

رقم١٢ : اهدؤوا.

رقم١١ : أجل، الزموا الهدوء.

رئيس الهيئة : عودوا للجلوس.

(يعيد المحلفون الثلاثة رقم٣ المهتاج الى كرسيه).

رقم٣، صارخاً : لست أدري ما الذي يمنعني من أن أذهب إليه لأؤدّبه.

رئيس الهيئة : تفضّلوا اقعدوا، هيّا. لاأريد من مشاجرة هنا.

رقم٣ : كلا، ولكن هل رأيته؟ قسماً، إنّها لهيستريا! إنّها هيستريا حقيقية.

رقم١٠ : ولكن، دعك من هذا، هيّا. فليس الأمر بذي بال، الا ترى ما أقصد؟

رقم٣ : لسنا هنا للعبث! ولكن من يعتبر نفسه؟

(يرمي رقم٨ بنظرة سخط ثم يقعد وهو يجمجم).

رئيس الهيئة : حسبكم، هناك. هيّا فلنقعد.

(يعود الجميع ببطء الى مقاعدهم، باستثناء رقم٨، الذي نأى كما يبدو عن جوّ المشادّة ولم يكفّ عن التفكير).

رقم٨ ، على نحو مباغت : فكّرت بشيء محدّد . هل تقولون لي كم يستغرق قطار كهربائي منطلق بسرعته القصوى للمرور أمام نقطة ثابتة؟

رقم٤ : وما علاقة هذا بما نحن فيه؟

رقم٨ : كم يستغرق؟ أجيبوني .

رقم٤ : ليس لديّ من فكرة قط .

رقم٨ الى رقم٥ : وأنت؟

رقم٥ : لست أدري . من عشر الى اثنتي عشرة ثانية .

رقم٨ : هذا ما كنت أخمنّه أيضاً . . . هل من رأي آخر؟

رقم١١ : يبدو لي هذا صحيحاً .

رقم١٠ : وإلامَ يرمي هذا الاختراع؟

رقم٨ الى رقم٢ : ومارأيك؟

رقم٢ ، ينهز بكتفيه : أقول . . . نعم ، عشر ثوانٍ .

رقم٤ : اتفقنا . لنقل عشر ثوان . فما المقصود الآن؟

رقم٨ : مايلي . يستغرق قطار كهربائي عشر ثوان للمرور أمام نقطة ثابتة ، وهي هنا النافذة المفتوحة لغرفة الجريمة . ويسعكم من تلك النافذة أن تلمسوا الخطّ الحديدي تقريبا ، اذا ما بسطتم ذراعكم . هل هذا صحيح؟

رقم٢ : صحيح .

رقم٨ : طيّب. هل بينكم من أقام على مقربةٍ من خط سير قطار كهربائي؟

رقم٦ : لقد انتهينا لتوّنا من طلاء شقّة تطلّ على خط الميترو. وقد أمضيت فيها ثلاثة أيام. فأنا دهّان أبنية.

رقم٨ : كيف كان الوضع؟

رقم٦ : ماذا تقصد؟

رقم٨ : هل كان صاخباً؟

رقم٦ : صاخباً؟ بل يسبّب الجنون. ولا بأس في قول الحقيقة، كما تلاحظ. فنحن، أبناءَ المهنة جميعاً، مصابون بلوثة. (يضحك، والآخرون أيضاً).

رقم٨ : وأنا أيضاً أمضيت قرابة عام في طابق ثانٍ مطلٍّ على خط ميترو. فحين يَمرّ القطار وتكون النافذة مفتوحة، يَسْمَعُ المرء ضجيجاً جهنّمياً. حتى ليعجز عن سماع صوت أفكاره.

رقم٣، بلهجة خطابيّة ساخرة: يعجز عن سماع صوت أفكاره! . . . (بلهجة عاديّة) هذا ممتاز. وماذا بعد؟

رقم٨ : ماذا بعد؟ لنأخذ الشهادتين -شهادة المرأة والرجل العجوز- ولنجمعهما معاً. نبدأ بالرجل العجوز أولاً. قال إنّه سمع الصبي يصرخ «سأقتلك» وبعد

ثانية واحدة سمع الجسم يسقط على الأرض. بعد ثانية واحدة. أهذا صحيح؟

رقم٢ : صحيح. بل قال: بعد ثانية صغيرة.

رقم٨ : لنتوجّه الآن الى المرأة في الجانب الآخر من شارع. كانت تنظر، كما قالت، من نافذتها المفتوحة فرأت عمليّة القتل من خلال زجاج نوافذ العربتين الأخيرتين من قطار عابر. أليس كذلك؟ إنني أسأل بالحاح. العربتين الأخيرتين؟

رقم٣ : ذلك صحيح، نعم. فماذا بعد؟

رقم٨ : لقد اتفقنا على أنّ ذلك القطار استغرق عشر ثوانٍ في مروره أمام نافذة الجريمة. واذا كانت المرأة قد رأت الجريمة عبر نوافذ العربتين الأخيرتين، فبوسعنا التسليم بأنّ الجسم سقط على الأرض أثناء مرور القطار.

رقم٢ : هذا أمر محتّم.

رقم٨ : ولدينا، بناء على ذلك، عشر ثوان من صخب مرور القطار من قبل أن يسقط الجسم؟

رقم٥ : هذا صحيح.

رقم٨ : أمّا والرجل العجوز يصرّح أنّ الجسم سقط بعد ثانية أو دون من صيحة الصبي، فعلينا أن نضع تلك الصيحة

أثناء مـرور القطار. الرجل العـجـوز إذن يخطئ:
ولايمكن أن يكون قد سمع صيحة «سأقتلك».
(سكوت قصير).

رقم٣، يصيح: بلى، بكلّ تأكيد، لقد سمعه.

رقم٨: أنت تصدّقه؟

رقم٣: أنا متأكّد من ذلك. لقد قال إنّ الولد جأر بالصراخ. وذاك يكفيني.

رقم٨: لكنّه، حتى لو سمع شيئاً، فلن يقوى على تمييز الصوت بسبب ضجيج القطار.

رقم٣: أنت تتحدّث بالثواني. وليس بوسع أحد أن يكون دقيقاً حتى هذا الحدّ.

رقم٨: اعتقد أنّ الشهادة التي يمكن أن تؤدّي الى الكرسي الكهربائي يلزم أن تكون دقيقة حتى هذا الحد.
(رقم٣ يشيح بوجهه).

رقم٥: وأنا بدوري، لاأعتقد أنّ الرجل العجوز قد سمعه.

رقم٦: ربما، نعم، ذلك ممكن. أقصد بوجود الضجيج...

رقم٣: لكن أخيراً، وفي نهاية الحساب، هل أصبتم بالجنون؟ وما الذي يدعوه لأن يكذب؟ وما الذي سوف يجنيه من ذلك؟

(فترة من الوقت).

رقم٩ : قد يكون الاهتمام.

رقم٣ : وهذه ملاحظة ذكيّة أيضاً! ليتك تكتب في الجرائد، ياصاح. فهم يستسيغون مثل هذه الحماقات.

رقم٦ : ولِمَ تتحدّث إليه على هذا النحو؟ (ينظر رقم٣ إليه ثم يشيح عنه بازدراء. فيذهب اليه رقم٦ ويرغمه على أن يتطلّع في وجهه) إنّ من يتحدّث على هذا النحو مع رجل في مثل سنّه (إشارة الى رقم٩) لجدير بأن يوضع في السجن.

رقم٣ : إرفع يديك عنّي.

رقم٦ : ألم يعلّموك ما هو الاحترام؟ (يقبض عليه بغِلْظَة) أما أنا فسأعلّمك إيّاه. إنْ قلتَ له شيئاً من هذا القبيل أيضاً فسوف أمسح بك الأرض. (يرخيه ويلتفت الى رقم٩) واصل كلامك، يا سيّدي. قل كل مايبدو لك. ما الذي دفع بالرجل العجوز الى الكذب حسب رأيك؟

رقم٩ : لقد دقّقت النظر فيه طويلاً. كانت سترته ممزّقة تحت ذراعه. هل لاحظتم ذلك؟ أنا استهجنت الأمر، أقصد أن يَمْثُلَ إنسان بهذا المظهر عجوزاً جداً، بسترته

المهترئة . . . ربما ناهز الخامسة والسبعين . . . لقد مشى ببطءٍ شديد حتى مقعده . كان يجرّ ساقه اليسرى جرّاً ولا يرغب في أن يلحظ ذلك أحد . . . أجل ، أجل ، لقد عرفته جيداً . رجل ساكنٌ ، رجل مغمورٌ ولم يكن طيلة عمره شيئاً مذكوراً . فما من أحد يعرفه وما من أحد يقيم له وزنا وليس من سأله يوماً رأيه قط . وإنّه لمّا يبعث على الحزن ، أيّها السادة ، ألا يكون المرء شيئاً مذكوراً . فكلّ إنسان في أمسّ الحاجة لمن يحيط به أو يصغي إليه ولو مرّة واحدة . . . لمجرّد الذكرى . (الكلّ يصغون إليه . فترة قصيرة) وها هي الفرصة تتاح اليوم لذلك الرجل ، للمرّة الأولى . . .

رقم٧ ، يقاطعه : تريّث دقيقة . أتريدنا أن نعتقد أنّ الرجل كذب لكي يكتسب شيئاً من الأهمية ولو مرة في حياته؟

رقم٩ : كلا ، لا أقول كذب . . . بل . . . بالَغَ الى حدٍّ ما . لقد تراءى له أنّه قد سمع صوت الصبيّ وعرفه .

رقم١٠ : أما تلك الفكرة فخارقة ! وكيف لك أن تعرفها؟

رقم٩ ، بلطف : أنا أَنْطِقُ عن خبرة .

(فترة سكوت يشوبه ضيق ، وقد طال شيئاً ما) .

رقم١٠ ، يستهزئ. فترة: وبعد؟ عَبَرَ الجوَّ ملاكٌ؟

(السكوت يطول).

رقم٢ ، يضـــيق: هل من أحـــد يرغب في. . . قُرْصٍ. . . للْحَلْقِ؟

(يدير علبته عليهم فيرفضون جميعاً. رقم٨ الواقف على الدوام يتوجّه إليه).

رقم٨ : أنا سأتناول واحداً. . . شكراً.

رقم١٢ ، بجـهـد: قـولوا مـا بدا لكم، أمـا أنا فـلا أرى كـيف يمكنكم الظنّ أنّ الصبي ليس مذنبا.

(يُجيل على من حوله نظرة تستدرّ الموافقة، ثم يعود إلى الرسم).

(يتـوقّف رقم٨ قـرب النافـذة. ينهض رقم١٠ وحين يصير وراء رقم٣ يدلي بردّه. وينفـّ بتأنٍ وهو يواصل كلامه).

رقم٨ : هناك نقطة أخرى أيضاً. فقد برهنّا، كما أعتقد على أنّ الرجل العـجوز ما كـان بقـادر على سماع الصـبي وهو يقول «سأقتلك»، لكن لنفرض. . .

رقم١٠ : أنت لم تبرهن على شيء مطلقاً!

رقم٨ ، بشدّة: قلت لنفرض أنّه سمعه حقاً. ولكن هل فينا من لم يتلفّظ بهذه العبارة مرّاتٍ ومرات! «يمكن أن أقتلك

بسبب هذا» «إن أعدتَ عليّ قولك هذا، يا بني، قتلتك». «هيّا، يا روكي، اقتله». كلّ الناس يردّدون هذا القول يومياً. فهل يعني ذلك أنّ العالم حافل بملايين القتلة؟

رقم٣: وما علاقة هذا بذاك؟ لقد جأر الصبي صارخاً بكلّ ما فيه من سخط. فلن تقول لي إنّه لم يكن يقصد ذلك! فحين يقول أحدهم «سأقتلك!» بالطريقة التي قالها، فإنّه يعني ما يقوله.

رقم٢، بتردّد: لست أدري. فأنا أذكر يوماً، قبل اسبوعين... تنازعت وزميل لي يعمل معي في المصرف. فقد نعتني بالأبله وأنا صرخت فيه...

رقم٣، يقاطعه: أرحنا من إزعاجك. فحسبنا ذاك (يدل على رقم٨) الذي ما انفكّ يتملّقنا. لقد جأر الصبي بالصراخ إنّه سيقتل أباه وقتله. تلك كل المسألة.

رقم٨: أتظن حقاً أنّه كان سيعلن ذلك على كافّة الجوار؟ إنّه لأكثر ذكاء من ذلك.

رقم١٠: تقول ذكاء؟ وأنت تقصد ذلك الغبي الحقير؟ حتى إنّه لا يجيد التكلّم بالانكليزية.

رقم١١، بهدوء: حتى إنّه لا يجيد التكلم بالانكليزية.

(رقم١٠ يرميه بنظرة غاضبة).

رقم٥ : أرغب في أن أغيّر اقتراعي. إنني أصوّت غير مذنب.

(صمت قصير).

رقم٣ : أنت ماذا؟

رقم٥ : لقد سمعت.

(رقم٣ ينهض، محاولاً السيطرة على نفسه، رقم٤ يحدّق في رقم٥ الذي يقعد مشدود الجسم ينتظر الهجوم).

رئيس الهيئة الى رقم٥ : هل أنت متأكّد؟

رقم٥ : إنّني متأكّد.

رئيس الهيئة : النتيجة هي ٩ مقابل ٣ لصالح مذنب.

رقم٧ : هذه مصيبة جديدة. ولكنّي أستحلفكم، على أيّ شيء تعتمدون حتى تغيّروا تصويتكم؟على أقاصيص ذلك الرجل؟ إنّه خيراً يفعل فيما لو كتب لمجلة «المحقّق الصغير» لأنّه سيجني أرباحاً طائلة... فمحاميه نفسه كان يعلم أنّه لايملك فرصة من عشرة آلاف. أجل، إنّ محاميه الخاص قد عرف ذلك منذ البداية.

رقم٥ : المحامون يخطئون.

رقم٨ : ومحامي الصبي جرى تعيينه من قبل المحكمة.

رقم٧ : وما معنى ذلك؟

رقم٨ : ذلك يعني أنّه ما كان لَيَخْتار بنفسه تلك القضيّة وأنّه كان مغتاظاً من تعيينه. فهذا النوع من القضايا لايعود عليه بشيء، كما تعرف: لاصيت ولا مال. وليس فيها ما يغري بالنسبة لمحام شاب. عندئذ، يهمل الأمور من غير أن يتنبَّه. فلكي تتصدّى ينبغي أن تؤمن. أمّا محاميه فلم يكن مؤمناً بذلك، على نحو ما ذكرته أنت بنفسك.

رقم٧ : ومن، بحق الشيطان، كان يؤمن بذلك ما لم يكن يجسّد الغباء بعينه؟ (ينظر الى ساعة الحائط) هلّموا، يا الهي، فلنستعجل! انظروا الى الساعة.

رقم١١ : ارجو عفوكم، فأنا . . . لديّ هنا بعض الملاحظات. وبودّي أن أقول شيئاً.

(يحمل ما دوّنه من ملاحظات وتضايقه سيجارته فيبحث عن نفّاضة ليضعها فيها. ويبدو شديد التعثّر في حركاته. فينظر إليه رقم١٠ فترة وهو يتخبّط ثم يقول له بازدراء).

رقم١٠ : خذ.

(يدفع بنفّاضة سجائر صوب رقم١١).

رقم١١ : شكراً. (يضع سيجارته من يده) أصغيت الى المناقشة بانتباه، فتراءى لي، بكلّ صدق، أنّ هذا السيد (يشير الى رقم٨) قد أحرز بعض التّفوّق. فالقضيّة على نحو ما عُرضت في المحكمة، أظهرت أنّ الصبي مذنب. لكنّ ذلك كان مظهراً سطحياً. فما إن نغوص في العمق... وربما لو نمضي فنتعمّق أكثر...

رقم١٠، يقاطعه: آه! اسمع...

رقم١١ : إنّي أتكلّم، أيها السيد. (بمزيد من الحزم) هناك تساؤل بودّي أن أطرحه. نحن نسلّم بأنّ الصبيّ قام بعمليّة القتل. فطعن والده في صدره وهرب. وكانت الساعة الثانية عشر وعشر دقائق ليلاً. طيّب. لنرَ الآن كيف ألقت الشرطة القبض عليه. لقد رجع الى البيت في حدود الثالثة صباحاً فوجد في بهو المنزل شرطيين ينتظرانه. وتساؤلي هو التالي: إن كان قد قتل حقاً أباه، فلِمَ رجع الى البيت بعد ذلك بثلاث ساعات؟ ألم يكن يخشى إذاً أن يُلْقى القبض عليه؟

رقم١٢ ، وكأنّه يتحدّث الى طفل : رجع ليأخذ المِدْية. فليس مستحسناً، كما تعلم، ترك المِدى مغروسة في صدور الناس.

رقم٧ : أجل، لاسيّما اذا كان صدر البابا.

(يقهقه ضاحكا).

رقم٤ الى رقم٧ : لست أرى في ذلك ما يضحك. (الى رقم١١) كان الصبي يعلم جيداً أنّ بعض الأشخاص -أصدقاءه في المقهى- الذين شاهدوا المدية، يمكن أن يتعرّفوا عليها. وبات عليه أن يأخذها من قبل وصول الشرطة.

رقم١١ : لنقبل بذلك، ولكن لِمَ تركها إذاً؟

رقم٤ : أعتقد أنّه ولّى هارباً بدافع الهلع، وأنّه فيما بعد، وعندما استعاد رباطة جأشه، تذكّر أنّه قد ترك المدية هنا.

رقم١١ : لكن يبقى علينا أن نتّفق حول كلمة الهلع. لأنّ هلع الصبي، وقد أرغمه على الهرب، قد أتاح له رغم

ذلك، عدم ترك أيّ أثر لبصماته. فأين يبدأ هلعه إذاً وأين ينتهي؟

رقم٣ : إيه! حَسْبك، على رُسْلكَ هنا! ففي أيّ جانبٍ تقف أنت؟ لقد صوّتّ مذنباً.

رقم١١ : أنا لاأميل الى طرف أكثر من الآخر، بل أطرح تساؤلاً.

رقم١٢ : لست أدري إن كانت نظرتي صائبة، لكنّي لو كنت مكان الصبي، وأنّي وجّهت الطعنة، وماتلاها، فسوف أعود بالتأكيد لاسترجاع المدية. فأنا أراهن على أنّه كان يحسب أنْ لم يره أحد وأنّ الجثة لم تُكْتَشَفْ بعد. فلا تنسوا أنّ ذلك قد حصل في منتصف الليل. ولقد ظنّ من دون شك أنّهم لن يكتشفوا الجثة قبل صباح الغد.

رقم١١ : المعذرة، سأوقفك هنا. فالمرأة شهدت أنّها من بعد رؤية القتل قد أطلقت صرخة. قالت إنها جأرت بالصراخ ثم استدعت الشرطة بالهاتف. ومن غير الممكن ألاّ يكون الولد قد سمع الصرخة. فهل تظنّون أنّه، لو كان القاتل، سوف يعود وهو على علم بأنّ أحداً قد رآه؟

رقم٤ : لديّ ردّان على تساؤلك. أولاً: كان الولد خارجاً عن طوره فلم يُقِمْ أيّ صلة ما بين الصرخة والقتل. ثانياً: إنّه يقيم في حيّ يكثر فيه الصراخ من كل حدب وصوب.

رقم٣ : ذلك هو الردّ عليك.

رقم٨ : ربّما. في الواقع، ربما يكون قد قتل أباه وأنّه لم يسمع صراخ المرأة في الجانب المواجه وأنّه انتظر ثلاث ساعات حتى استعاد رباطة جأشه، وأنه رجع مخاطراً بالقبض عليه في سبيل استرداد المدية. ربما حصل... لكن ربما لم يحصل. وأحسب أنّ لدينا الآن من النقاط المشكوك في صحتها ما يدعونا الى التساؤل ان كان موجوداً حقاً هناك ساعة وقوع الجريمة.

رقم١٠ ، يقف ساخطاً: عن أيّة شكوك تتحدّث؟ فالرجل العجوز رآه يهرب من المنزل. ولن أتراجع عن هذه النقطة. (الى الآخرين) إنّه يشوّه الوقائع، أؤكّد لكم ذلك، وهذا هَوَسٌ لديه. (الى رقم١١) هل رأى الرجلُ العجوزُ الصبيّ، أم لم يره، وهو يولّي هارباً من المنزل في الثانية عشرة وعشر دقائق ليلاً؟ (يشيح

رقم١١ بوجهه عنه، فيلاحقه رقم١٠ في حركته ويقف قبالته) نعم أم لا؟

رقم١١ : قال إنّه قد رآه.

رقم١٠ : قال إنّه قد رآه. (الى الآخرين) ما رأيكم بذلك؟

رقم٥ : يمكن للشهود أن يخطئوا.

رقم١٠ ، صارخاً: يمكن أن يخطئوا حين نريدهم أن يخطئوا. وأنتم ترون ما أقصد؟

رئيس الهيئة : كفَّ إذاً عن الزعيق.

رقم١٠ : إنّكم لتمزحون. وقد لاينقصنا هنا غير واحد يغنّي. فحضرات السادة هؤلاء يدقّقون في النوافل. (يقلّد رقم٨) هل سمع الصراخ؟ ألَمْ يسمع؟ . . . تلك هي المسألة! . . . أما أنتم فلا تتناولون إلاّ التفاصيل الصغيرة. لكن هناك الشيء الأساسي. أقسم بشرفي، إنّ الجميع، يبدون بغتة.

رقم٨ ، بهدوء: أطلب اقتراعاً جديداً.

رقم١٠ : كلا، ولكن انتبه أولاً، إنّني اتكلّم.

رئيس الهيئة : هناك من يطلب تصويتاً جديداً. خذوا أماكنكم، أيّها السادة.

رقم٣ : لم أرَ في حياتي مثل هذه المَضْيَعَة للوقت بلا طائل.

رقم٢ ، بلطف : لن يستغرق ذلك أكثر من ثانية .

رئيس الهيئة : أعتقد أنّ الأسرع أن نعدّ الذي يصوّتون غير مذنب . . . فليتفضّل الذي يصوتون غير مذنب برفع أيديهم . (رقم٥ ورقم٨ ، ورقم٩ يرفعون أيديهم)

مازالت النتيجة على حالها ثلاثة غير مذنب وتسعة لصالح مذنب .

رقم٧ : والآن ، ماذا نفعل؟ هل نواصل الثرثرة على هذا النحو حتى يوم الأحد . . .

رقم١١ ، بهدوء : عفوكم (يرفع يده) إنّني أصوّت غير مذنب .

رقم٧ : ويلاه ! يا للمصيبة !

رقم٣ : ولكن ما الذي دهاكم؟ هل أصابكم الجنون؟ الولد مذنب . ما في ذلك من شك . لِمَ لاتتمالكون أنفسكم؟ . . . (يقطع كلامه ويقول الى رقم٤ بِوَهَنٍ) قل لهم ذلك ، هل تتكرّم؟ (رقم٤ ينهز بكتفيه) المسألة تحوّلت الى مهزلة .

(يقف)

رئيس الهيئة : النتيجة هي ثمانية مقابل أربعة في صالح مذنب .

رقم٣ : طيّب ومـاذا بعـد؟ أهو َقَلْبُكم؟ أهـو قلبكـم الذي طفق بغتةً ينزف من الحزن على الذلك الفاجر؟ ولكن ما الذي دهاكم؟ أم هذا هو أسبوع الحسنات نحو أخر في ضـائقـة؟ . . . (إلى رقم١١) أطلب منك أن تقف وتقول لي بوضوح لماذا غيّرت َتصويتك. هيّا، هيّا، قف! أذكر لي الأسباب.

رقم١١ : ليس عليّ َأن أقدّم تبريراً. فقد أصبح في ذهني شكّ مقبول، وهذا كل شيء.

رقم٣ : أيّ َشك مقبول؟ (ينحني فوق الطاولة ينتزع منها مدية -إنّها مدية رقم٨- فيوجّهها صوب رقم١١) ولكن انظر الى هذه لقد شوهد الصبي وهو يغمد هذه الآلة في صـدر والده. أنظر اليـها جيـداً يا سيـادة الشكّ المقبول!

(يعيد غرز المدية بغضب في الطاولة).

رقم٩، بلطف: إنّني أنبّهك الى أنّ َهذه ليست الصحيحة.

رقم٣: صحيحة ماذا؟

رقم٩: المدية. فالمدية الصحيحة هي الأخرى.

(تشيع ابتسامات حول الطاولة).

رقم٣: ملاحظة ذكيّة! (يذهب الى موزّع الماء).

رقم٧ : حـــقاً إنّ ذلك لشيء خـــارق! (الى رقـم٨) إنّه لشيء خارق أن يراك المرء، وأنت تُخْرِج من جيوبك كلّها، هذه الحكايات غير المعقولة. (الى الآخرين) لو كان هذا الرجل جالساً في مقاعد الصف الأول من مباراة ديمبس -فيربو، فإنّي أقسم لكم على أنّه كان سيقول إنّ فيـربو قـد ربح المبـاراة!... (الى رقم٨) ولكن مارأيك، بشأن الرجل العجوز؟ ألم ينهض إذاً؟ قل؟ ألم يركض حتى البـاب؟ ألم يشـاهد الصبي يولّي هارباً من المنزل بعد القتل بخمس عشرة ثانية؟ أم أنّه لم يقل لنا ذلك إلاّ سعياً وراء الشهرة؟ ولكن، يا صاح...

رقم٥، يقاطعه : لحظة. هل قال الرجل العجوز إنّه «ركض» حتى الباب؟

رقم٧ : ركض، مشى، ما الفرق؟ لقد ذهب الى الباب، أليس كذلك؟

رقم٦ : قال إنّه ركض حتى الباب. نعم، أعتقد أنّه قال ذلك.

رقم٥ : أنا لاأتذكّر كلمـاته بالضـبط، بيـد أني لاأرى كـيف استطاع أن يركض.

رقم٤ : الشيء الأساسي أنّه قال، بعد أن أقسم اليمين، إنّه ذهب من غرفته حتى الباب الخارجي. وذاك يكفينا على ما أظنّ.

رقم٨ : لكن أين تقع غرفته أولاً؟

رقم١٠ : ولكنّها في نهاية الممر. ألا تتذكّر ذلك مع أنّك تتذكّر كلّ شيء؟

رقم٨ : سيدي رئيس الهيئة، بودّي أن ألقي نظرة على مخطّط الشقّة.

رقم٧ : ها قد عدنا. إنّه اختراع جديد! لماذا لاتعمل على إعادة المحاكمة؟ سوف ترى عندئذ بوضوح أكبر.

رقم٨، يتجاهله: سيدي رئيس الهيئة؟

رئيس الهيئة: لقد سمعت. (يذهب الى الباب ويدق فيدخل الحارس. يكلّمه بصوت خافت فيومئ الحارس ويخرج ثم يغلق الباب).

رقم١٠ : طيّب، ممتاز جداً. وبعدئذ؟ (الى رقم٨) أنت هنا الوحيد الذي يسعى على الدوام لرؤية أدوات الاثبات.

رقم٥ : وأنا أيضاً بودّي أن أراه.

رقم٣، وهو عائد الى الطاولة: وأنا أودّ كثيراً أن نكفّ عن إضاعة وقتنا.

رقم٤ : قد يكون بوسعنا أيضاً أن ننتقل بمجموعنا الى مكان الجريمة وأن ندبّ على قوائمنا الأربع بحثاً عن أدلّة؟

رقم٨ : كلا، ما لم يكن أحد راغباً في ذلك. . . لكن بودّي أن أرى إن كان بوسع رجل عجوز يجرّ ساقه جراً، لأنّه أصيب بكسر في العام الماضي، أن يذهب من سريره الى الباب الخارجي في خمس عشرة ثانية.

رقم٣ : في عشرين ثانية! قال عشرين! فأنت تشوّه الحقائق. . .

رقم١١ : قال خمس عشرة.

رقم٣ : كلا، عشرين. ولكن أنّى له أن يعرف ماذا تساوي خمس عشرة ثانية؟

رقم٩ : قال خمس عشرة ثانية. بل كان شديد التأكيد.

رقم٣، وقد بدأ يحتدّ: ولكنّه رجل عجوز، كما ترون. ولقد شاهدتموه. لقد استغرق أكثر من نصف الوقت وهو يهرِفُ بأشياء مشوّشة. . . فكيف يستطيع، بحقّ الشيطان، أن يؤكّد. . . (يرى من حوله بعض البسمات الهازئة فيقول وهو يكزّ بأسنانه) أي شيء كان. . . ؟

رقم٤ : لست أرى ما الذي نسعى إلى إثباته؟ لقد قال الرجل إنّه رأى الصبي وهو يهرب.

رقم٨، الى رئيس الهيئة: لِنَرَ ذلك بالتفصيل. قال إنّه بعد سقوط الجسم على الفور، في الطابق العلوي، سمع وقع خطى راكضة باتجاه الباب. ثم سمع الباب العلويّ يُفتح والخطى تدلف الدرج. عندئذ توجّه بما استطاع من سرعة حتى بابه الخاص. وأقسم على أنه لم يستغرق أكثر من خمس عشرة ثانية. فإذا كان القاتل قد بدأ يجري اذاً. . .

(يدخل الحارس)

الحارس: هل هذا ما تريدونه؟ (يُناولُ رئيسَ الهيئةِ مخطّطاً كبيراً فيومئ موافقاً. يخرج الحارس).

رقم١٢: قد لايكون استغرق ذلك.

رقم٨: قال بلى، على كل حال.

رقم٧: يا صديقي، إنّي أتوّجكَ ملكاً على عمليّة شرخ الشعرة[1] الى أربعة أقسام.

(رقم١٠ يضحك)

رقم٦ الى رقم٧: هلاّ كفيتنا مؤونة حذلقتك؟

رقم٧، بتهكّم: ينبغي عليك، مقابل دولاراتك الثلاثة يومياً، أن تصغي الى كل ما يقال في هذه القاعة. فأنا أقوم بذلك على خير مايرام.

---

(١) تعبير يعني المغالاة في التدقيق. م.

رقم١٠ الى رقم٨ : طيّب؟ أمّا الآن وقد جاؤوك بتلك الآلة ، فما عساك فاعلاً بها؟

رقم٨ ، إلى رئيس الهيئة : هل يسعني أن أراه؟ (يأخذ المخطّط ويبسطه على كرسي ليتيح للجميع أن يروه . ينهض عدّة محلّفين ويقتربون من المخطّط) هاكم الشقّة التي وقعت فيها الجريمة . أما شقّة الرجل العجوز ، والتي تشبهها تماماً ، فتقع تحتها مباشرة . (يدل بإصبعه) هنا خط الميترو المعلق . غرفة النوم ، الغرفة الأخرى ، الحجرة المشتركة ، غرفة الحمام ، المطبخ . وهذا هو الممر . والباب الخارجي . وأخيراً الدرج . طيب . كان الرجل العجوز راقداً في هذه الغرفة . قال إنّه نهض ، وخرج الى الممر ، ومضى الى الباب الخارجي ، ففتحه ، ونظر خارجاً في الوقت المناسب فرأى الصبيّ يدلف الدرجات راكضاً . صحيح؟

رقم٣ : إنّها المرة التاسعة عشرة التي أسمع فيها هذه الحكاية .

رقم٨ ، مواصلاً كلامه : وبعد خمس عشرة ثانية من سماعه سقوط الجسم .

رقم١١ : تماماً .

رقم٨ : سريره قرب النافذة . هناك (يعكف على المخطّط) ثلاثة أمتار ونصف من السرير الى باب الغرفة . طول

الممر ثلاثة عشر متراً ونصف. كان عليه إذاً أن يخرج من سريره، وأن يمشي ثلاثة أمتار ونصف، وأن يفتح باب غرفته، ثم أن يمشي ثلاثة عشر متراً، وأن يفتح الباب الخارجي، وكلّ ذلك في خمس عشرة ثانية؟ أيبدو ذلك ممكناً في نظركم؟

رقم١٠ : إنّه لممكن بكلّ تأكيد.

رقم١١ : أذكّركم بأنّه ما كان بوسعه أن يمشي إلاّ ببطء شديد. وقد لزمهم أن يساعدوه ليجلس في مكان الشهود. . .

رقم٣ : ومع ذلك فنحن لسنا بصدد مشية عسكرية!

(يمضي رقم٨ الى طرف القاعة فيأخذ كرسيين).

رقم٩ : أما بالنسبة لرجل عجوز، كسرت ساقه في العام الماضي، فهي مشية طويلة.

رقم٣ الى رقم٨ : ماذا تفعل؟

رقم٨ : سأقوم بتجربة. أريد أن أرى كم استغرق من الوقت.

رقم٣ : كيف هذا، تريد أن ترى؟ وما هذا الذي تفعله أيضاً؟

رقم٥ : قال لك إنّها تجربة.

رقم٨ : ناولوني هذا الكرسي. (يقرّبون الكرسي منه) طيّب. هذان الكرسيّان يمثّلان سرير الرجل العجوز. سأحسب ثلاثة أمتار ونصف، طول الغرفة. (يقطع المسافة) طيب. هذا باب الغرفة.

رقم٣ : ولكن، هذا هو الغباء بعينه. هيّا. إذ ليست هناك أيّة علاقة!

رقم١١ : لاأكتمك أنّ هذا يثير اهتمامي.

رقم٨ : وقلنا إنّ الممرّ يزيد قليلاً على ثلاثة عشر متراً. سأحسب المسافة حتى هذا الجدار ذهاباً وإياباً.

(يقوم بذلك).

رقم١٠ : ذلكم هو الجنون بعينه. إنّنا نضيّع وقتنا.

رقم٥ : لكن، مادام ذلك، حسب رأيك لم يستغرق إلا خمس عشرة ثانية، فانّ بوسعنا أن نكتفي بذلك.

(رقم٧ يصفر).

رقم٢، ساخطا: أوّاه! هيّا، أنتَ، أَعْرِضْ عن هذا.

رقم٧ : لابأس، أيّها الرعب، لابأس.

(يبلغ رقم٨ الجدار فيستدير ويعود، وهو يحسب بصمت ما بقي من الأمتار الثلاثة عشر. وكلّهم يراقبونه من غير أن ينبسوا ببنت شفة).

رقم٨ : طيّب. ناولوني كرسياً آخر. (رقم٤ يعطيه إياه). هذا هو الباب الخارجي المؤدّي الى مصطبة الدرج. لقد كان حسب قول الرجل العجوز نفسه، مغلقاً بواسطة جنزير.

رقم٥ : هذا صحيح.

(يمضي رقم٨ الى الكرسيين اللذين يمثلان السرير ويقعد).

رقم٨ : من منكم يحمل ساعة فيها عقرب للثواني؟

رقم٢ : أنا.

رقم٨ : حين تريدني أن أنطلق، إخبط بقدمك. فذلك سيمثّل سقوط الجسم وعدّ الثواني بدءاً من تلك اللحظة.

(يتمدّد فوق الكرسيين).

رقم٧ : أما نحن، فماذا علينا أن نفعل؟ هل نلعب بالألغاز؟

رقم٣ : ما رأيت مثل هذا في حياتي البتّة، كلا، على الاطلاق!

رقم٨ : هيّا، أنا على استعداد.

رقم٢ : أنتظرُ وصول العقرب الى الستين.

(ينظرون بتوتر شديد. وبغتة يخبط رقم٢ بقدمه على الأرض خبطة قويّة. فيجلس رقم٨. ويؤرجح ساقيه ببطء

ويقف، ثم يمشي، وهو يجرّ ساقه مثل الرجل العجوز، صوب الكرسي الذي يمثّل باب الغرفة ويؤدّي حركةً كأنّه يفتحه).

رقم١٠ : استعجل بحركتك! فالعجوز كان يمشي أسرع نك بمرّتين.

(يمشي رقم٨ الآن في الممر الوهمي).

رقم١١ : أنا أرى أنّه يمشي، أسرع من مشية العجوز في قاعة المحكمة، بشكل واضح.

رقم٣ : لكن هذا ليس رأيي.

رقم٨ : طيّب، ها إني أستعجل.

(يسرّع الحركة قليلا، فيلمس الجدار ويعود ناحية الكرسي الذي يمثل الباب الخارجي. ويبدو المحلّفون جميعاً كأنّهم مقيّدون بكل حركة من حركاته).

رقم٣، بعصبيّة: إمشِ، هيّا! ولننته!

(رقم٨ يبلغ «البَاب» فيمثّل حَركة فَتْحِهِ ثم يفتحه).

رقم٨ : قف!

رقم٢ : طيّب.

رقم٨ : كم الوقت؟

رقم٢ : أربعون ثانية تماماً.

(تصدر حركات تنمّ على الدهشة من كافة المحلّفين. فترة).

رقم٨ : رأيي القاطع جداً، أنّ الرجل العجوز قد سمع أحداث الفاجعة فوق رأسه على نحو ما ذكره: النّزاع والصّراخ وسقوط الجسم والخطى التي هرعت إلى الباب وانحدرت الدرج مسرعة. كلّ ذلك صحيح. لكنّه لم يستطع أن يرى الرجل هارباً **فتخيَّلَ** أنّه الصبي.

رقم٥ : أعتقد أنّ ذلك ممكن.

رقم٣، صارخاً: فتخيَّلَ، فتخيَّل! وأنتم، هل تسمعون؟ الحقّ إنّي شاهدت على مدى حياتي، كافّة أصناف السفاهات الدنيئة، إلا أنّ هذه قد تجاوزتها كلها. (الى رقم٤) ولكن، هيّا، أنت، قُمْ إليهِ وكلّمْهُ. (يظلّ رقم٤ ساكتا. يتحوّل رقم٣ نحو رقم٨) لقد جئتَ الى هنا، ساحباً رأفتكَ وراءكَ، فبدأ قلبك ينزف في كل مكان، حتى على أرض القاعة، حزناً على الطفولة الشقيّة والظلم الاجتماعي. فما كان من بعض السيّدات الموجودات هنا، ذوات القلوب الرقيقة، إلا أن انخرطن في النحيب. أما أنا، فلن تنالَ مني. كلا! لن تنالني! (الى الآخرين) إنّ الصبيّ هو الذي ارتكب الجريمة، وذلك واضح كل الوضوح ومن واجبنا أن

ندمّره تدميراً! إلاّ أنّنا بدأنا نتفرّج عليه وهو يكاد يفلت من بين أصابعنا!

رقم٨، بهدوء: من بين أصابعك. وهل أنت الجلاد؟

رقم٣، بغيظ شديد: إنّه مندوب عنّي.

رقم٨: أراهن على أنّك تتمنّى لو تنزل الرافعة الكهربائة بيدك؟

رقم٣: لإعدام هذا الصبي؟ أوافقك! أوافقك، إنّني لأتمنّى ذلك!

رقم٨: إنّني لأشعر بالأسى حيالك.

رقم٣، يصرخ: آه، لاتبدأ تتناولني!

رقم٨: كيف يستطيع المرء أن ينظر الى نفسه ويده على تلك الرافعة؟ إنّ ذلك ليتجاوز تصوّري. (الى رقم٣) لقد راقبتك من ساعة مجيئنا الى هنا: إنّ روح الانتقام لتُعْمي بصيرتك.

رقم٣: أرجوك أن تسكت.

رقم٨: وإنّك لتحقد على ذلك الصبي. ليس بسبب ما فعل وإنّما لأسباب غامضة تخصّك وحدك.

رقم٣، يجأر صارخاً: أغلق فمك!

رقم٨: أنت ساديّ.

رقم٣ ، وقد ثارت ثائرته : هل ستغلق فمك؟ (ينقضّ على رقم٨ . فيمسك اثنان من المحلفين به . وجهه ممتقع من شدّة الغيظ وهو يتخبّط كالممسوس) دعوني أفعل به ما أفعله! سأقتله! سأقتله .

رقم٨ ، بهدوء : حيَالَكَ! . . . هل تفكّر حقّاً في أن تقتلني؟

(رقم٣ يكفّ عن التخبط . فيتنهّد بعمق ويصلح من شأنه . ينفتح الباب يدخل الحارس) .

الحارس : هل من شيء على غير مايرام ، أيّها السادة؟

رئيس الهيئة : كلا ، كلا ، كل شيء كما ينبغي . إنّها مجادلة بسيطة . . (يتوجّه نحو الباب حاملاً مخطّط المنزل ، ويقدّمه للحارس) لم نعد في حاجة لهذا . شكراً .

(يأخذ الحارس المخطّط ، ثم يجول على ماحوله بنظرة متفحّصة ، ويخرج) .

رقم٣ : كفّوا عن النظر إليّ كأنّني وحش غريب . (سكوت . كلّهم متضايقون) .

رقم٢ : طيب! أنا . . . أرى أن يتقدّم أحدٌ . . . بـِ . . . بشيء ما .

رقم١١ ، بقوة : أعذروني ، لكنّني أحسب . . .

رقم١٠ ، ينهز بكتفيه : أعذروني! ولِمَ أنتَ على هذه الدرجة من التهذيب؟

رقم١١ : لأنّك لست على هذه الدرجــة . . . (يتنبّه رقم١٠ لأهميّة الرد) هذا الشجار، أقصد أن أقول . . . لسنا هنا بهـذا القـصـد، لأجل أن نتـشـاجـر . . . لدينا مسؤوليّة . ولقد فكّرت على الدوام بأنّه لشيء . . . خطير، في جو الديمقراطيـة، أن نكون . . . أخيراً، كـيف يقـولون . . . مُنْتَدَبين . . . أن نكون منتـدبين، أجل، وبناء على طلب خطّي، لنأتي الى هذا المكان ونُقِرَّ جُرْمِيّة أو براءةَ إنسان لم يسبق أن رأيناه من قبل . وليس لنا ما نكسبه أو نخسره ونحن ننطق بالحكم . وهذا هو مصدر قوتنا . . . فليس لنا أن نحولّها الى قضية شخصيّة . (بتواضع) شكراً .

(سكوت من جديد) .

رقم٢ ، باندفاع : إذا لم يكن لدى أحد من فكرة فقد خطرت ببالي واحدة . أنا لم أفكّر بذلك، ولكن . . . على كل حال، هيّا بنا . لنلقِ بها فوق الدرج ولنرَ إن كان القطّ سيتقدّم ليلعقها .

رئيس الهيئة، وقد فاته المعنى : ولنرَ إن كان القطّ . . . ؟

رقم١٢ : . . . سيتقدّم ليلعقها . ها أنذا . حينما وصل الصبي الى البيت . . .

رقم٧ ، ناظراً من النافذة : انظروا كيف أظلمت . سوف تهبّ عاصفة .

رقم٥ : حرارة الجوّ لاهبة . (الى رقم٤) ألا يتصبّب منك العرق؟

رقم٤ ، ببرود : أنا لاأعرق أبداً .

رقم٦ : مارأيكم . أليس الوقت مؤاتياً لاجراء تصويت جديد؟

رقم٧ : أحسنت! وبعدئذ نرقص ونأكل بوظة .

رقم٦ : سيدي رئيس الهيئة؟

رئيس الهيئة : أنا من ناحيتي موافق . فهل من معارض؟

(لاجواب . يبدأ رقم١٢ يرسم) .

رقم١٠ : أمّا هذه المرة ، فانتبهوا ، أليس كذلك؟ الاقتراع بأوراق مكشوفة . حتى نعرف بوضوح موقع كلّ واحد منّا .

رئيس الهيئة : اتفقنا؟ أمَا من اعتراض؟ . . . حسن جداً . أدعوكم بالتسلسل . أنا أقترع مذنباً . رقم اثنان؟

رقم٢ : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم ثلاثة؟

رقم٣ : مذنب .

رئيس الهيئة : رقم أربعة؟

رقم٤ : مذنب .

رئيس الهيئة : رقم خمسة؟

رقم٥ : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم ستة .

رقم٦ ، بصوت خافت جداً : غير مذنب؟

رقم١٠ ، يصرخ : ماذا؟

رقم٦ ، بصوت شديد جداً : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم سبعة؟

رقم٧ : مذنب .

رئيس الهيئة : رقم ثمانية؟

رقم٨ : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم تسعة؟

رقم٩ : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم١٠؟

رقم١٠ : مذنب .

رئيس الهيئة : رقم أحد عشر؟

رقم١١ : غير مذنب .

رئيس الهيئة : رقم اثنا عشر؟ (رقم١٢ لا يردّ، فهو يرسم) .

رقم اثنا عشر؟

رقم١٢ : مذنب .

رئيس الهيئة : ستة مقابل ستة .

رقم٧ : لقد تمّ الأمر . نتيجة المباراة صفر . ولا مناص من لعب فترتَي تمديد .

رقم١٠ : ستة لستة ! هذا مخجل . إنّ بعض الموجودين هنا قد فقدوا حقاً كل حِسٍّ سليم . فصبي مثل هذا الصبيّ ! فاسد !

رقم٩ ، بلطف : ليس لنوعيّة الصبي من علاقة بما نحن في صدده هنا ! ولا قيمة إلاّ للوقائع .

رقم١٠ : الوقائع ؟ لا تُسْمِعْني ذكرها . فأنا مريض من الوقائع . بل سألفظ أنفاسي من الوقائع . (ساخطاً) ولكنّكم تقومون بتشويه الوقائع ! كأنّها على هواكم !

رقم٩ : ولكن أعْرِضْ عن هذا الزّعيق الدائم ! (يحوّل عنه وجهه بعصبيّة) ألا كم ودِدتّ ، ليتني كنتُ أصغرَ سنّاً . فذلك الرجل حقاً . . . (يلتزم الهدوء) أصبح الجوّ هنا حاراً جداً .

رقم٨ ، بمودّة : هل تريد شيئاً من الماء ؟

رقم٩ : كلا ، شكراً .

(أمسى الجوّ الآن معتماً جداً) .

رقم٢ : سوف تمطر .

رقم٧ ، ساخراً : بلا هزل؟ (يأتي إليه) لماذا غيّرت؟

رقم٢ : في الحقيقة! تراءى لي . . . (يتوقّف) .

رقم٧ : أجل! أمّا أنا ، فيتراءى لي أنّك تتحوّل كيفما اتفق ، مثل دوّارة الريح .

رقم٢ : أنا؟ كلا على الاطلاق . فهناك جملة من التفاصيل التي . . . لم تكن ظاهرة . . .

رقم١٠ : ترّهات! فمزيد من هذا الاجترار سينتهي بكم الى الجنون . تلك هي الحقيقة . (الى رقم٣) أنت تدرك ما أريد أن أقوله؟

رقم٢ : لاأعتقد ، صراحة ، أنك تملك الحقّ في . . .

رقم١٠ ، يقاطعه : آه ، كفى ، كفى . (يدعه ويتوجّه نحو المغاسل) .

رقم٢ ، بهدوء : يا لك من فظّ؟

(ينهال المطر بغتة ، فارضاً الصمت على القاعة . لا برق ولا رعد : بل صوت انهمار صاخب . كل الرؤوس استدارت صوب النوافذ . يمضي رئيس الهيئة صوب زر الكهرباء فيشعل النور ثم يقترب من رقم٨ قرب احدى النوافذ) .

رئيس الهيئة ، يَصفِر : أنظر كيف ينهمر! . . . (رقم٨ يومئ موافقاً) يذكّرني هذا بعاصفة قبل . . . عام أو اثنين .

عاصفة خارقة. وفي أوج المباراة. كنّا قد وصلنا الى نتيجة ٧-٦ وكانت الكرة معنا. وعندها دوّتْ بُمْ-بُمْ بُمْ! لقد انهالت على رؤوسنا... لن أنسى ذلك أبداً. وكان ذلك الصبيّ سليتري يلعب معنا. إنّه ثور حقيقي. وكم أودّ أن أقع على لاعب آخر شبيه به...
آه! نسيت أن أقول لك إنني معاون المدرّب الرئيس في معهد ماك كوركل. في كوينز... انطلقنا انطلاقة ممتازة. واخترقنا خط دفاعهم. أمّا سليتري ذاك، إيه! يا له من لاعب! كانت الكرة بحوزته، وانطلق بها ناحية الجناح انطلاقة أحد حُمُرِ الوحش! (يقهقه) عندئذ، وعلى حين غرّة، انهار كل شيء. مطر مدرار، يا صاح. آه! لقد انتحبتُ كالطفل! ما عدنا قادرين على أن نرى طريقنا. كلا. حتى من أجل أن نهرب...

رقم٧، وهو يشغّل المروحة الموضوعة وراءه: ألا انظروا الى هذه! لقد قرّرتْ أن تدور.

(يريد أن يرمي بكرة صغيرة من الورق على المروحة، لكنها تصيب رقم٩).

رقم٩، بصوت خافت: هذا ذكاء.

رقم٧ : إنّني لآسف.

(يقترب رقم٣ من رقم٤ قرب موزّع الماء)

رقم٣ : والآن، مارأيك؟ . . . هذا التعادل بالأصوات، أمر مدهش، أليس كذلك؟

رقم٤ : بلى.

رقم٣ : أمّا بشأن ما جرى، قبل قليل، حين قام ذلك الرجل، كما تعلم . . . إنّني لا أعرف اسمه، فجعلني أقع في الفخ، لكنّ ذلك لايثبت شيئاً، كما تعلم. إنّني أُسْتَثَار بسهولة. نعم، وأغضب بسرعة . . . عندئذ، وحين شرع ينعتني بما لاأدري ما هو . . . سادي، وبما قاله من بعد . . . فقدتُ السيطرة على نفسي. فكلّ واحد، لو كان في موقعي . . .

رقم٤ : لقد قام بانجاز كبير.

رقم٣ : من هو؟

رقم٤ : رقم ثمانية ذاك.

رقم١٠، خارجا من المغاسل: طيّب. آن لنا أن ننتهي. وهاكم ما اقترحه عليكم. إني على استعداد للذهاب من ساعتي الى المحكمة لأقول إنّ الهيئة تتنحّى. فنحن لن نتوصّل الى شيء.

رقم٧ : أنا متّفق معك . هلمّوا نقابل القاضي وليجرّب الصبي حظّه مع اثني عشر رجلاً آخرين .

رقم٨ : لاأظنّ أنّ القاضي سيأخذ بهذا الحلّ . إذْ لم يمضِ وقت طويل على وجودنا هنا .

رقم٧ : هذا رأيك؟ طيّب ، يا صاح . . .

رقم١١ : وأنا أيضاً لاأؤيّد ذلك الرأي .

رقم٧ : أنا أقسم ، وأنت تعرف ذلك ، على أنّ الصبي إذا ما وقع بين أيدي هيئة أخرى فسوف يتشقلب! (يستدير صوب الآخرين) هلمّوا ، هيّا بنا نتنحّى! لكنّي حريص على أن أحيطكم علماً بهذا : ما من أحد ، هل تسمعونني؟ ما من أحد سيجعلني أغيّر رأيي . رسّخوا هذا في أدمغتكم .

رقم٥ : أنت مستمرّ في الاعتقاد بعدم وجود شكّ مشروع؟

رقم٧ : أجل أنا مستمر في ذلك بقناعة راسخة كالحديد!

رقم١١ : أعذرني ، إلا أنّك قد لاتعرف على وجه الدقة ماذا يعني «الشك المشروع»؟

رقم٧ : كيف لاأعرف؟ (الى الآخرين) ماذا ترون بشأن هذا؟ فنماذج هؤلاء الناس متماثلون كلّهم . إنّهم يَفِدُون على هذه البلاد كي ينجوا بجلودهم ، ومن قبل أن

يلتـقطـوا أنفـاسـهـم، يتنطّـحـون للادلاء بآرائهـم فـيـمـا ينبغي عليك أن تفعله. أنتم تتكلّمون على واحد من الحثالة.

رقم٥ : ولكن، هلاّ خَرِسْتَ، حضرتُك، هناك، فما من أحد يسألك أين أبصرت النّور.

رقم٧ : أنا ولدت هنا، يا سيّد.

رقم٥ : وأبوك؟ (صمت. رقم٧ يشيح بوجهه) قد لايسؤونا أن نأخذ بعض الدروس على هؤلاء اللاجئين القذرين. فباستطاعتهم أن يعلّمونا بعض الأشياء الصغيرة. . . النافعة. فنحن لسنا على خير مايرام.

رقم١١ ، بضـيق: هذا يكفي، أرجـوك. فلقـد تعـوّدت على ذلك. شكراً.

رقم٥ : كلاّ، هذا لايكفي.

رقم٧ : طيّب. لابأس. إنّي أعتذر. هل هذا ماتريده؟

رقم٥ : هذا هو بالضبط.

رئيس الهيئة : هذا حسن. لقـد سُوِّيَ الخلاف. هل لدى أحد من شيء. . . بنّاءٍ يقوله؟

رقم٨ : بودّي أن أتحـقّق من نقطة صـغـيـرة في أحـد التـفاصـيل. . . فمن بين المعطيات القـوية التي شدّد

عليها الاتّهام، واقعة أنّ الصبي، بعد أن صرّح أنّه كان في السينما، ساعة وقوع الجريمة، قد بدا عاجزاً عن تذكّر أيّ الأفلام شاهد أو الممثلين الذي ظهروا فيها. (مشيراً الى رقم٤) وقد ألحّ هذا السيد على تلك النقطة مرات عديدة.

رقم٤ : أجل. فهذا هو الدّفع الوحيد بالغيبة، الذي تقدّم به الصبي، من غير أن ينطق بكلمة واحدة تدعم حجّته.

رقم٨ : حاول أن تضع نفسك مكانه، هل تعتقد أنّك قادر، أنت نفسك، على شحذ ذاكرتك بشكل فوري، بعد الصدمة التي أصابتك، وأنت تجد نفسك بغتة أمام جثّة أبيك؟

رقم٤ : نعم، أعتقد ذلك، لاسيّما إذا كانت حياتي تتعلّق بشحذ ذاكرتي. لكنّ المسألة أكثر بساطة من ذلك! واذا لم يستطع أن يتذكّر الأفلام السينمائية فلأنّه لم يذهب إلى السينما من الأصل.

رقم٨ : لكن لاتنسى، مع ذلك، أنّ رجال الشرطة، استنادا الى شهاداتهم، قد استجوبوه في المطبخ، قرب الغرفة التي كانت فيها جثة أبيه. فهل تعتقد أنّ في وسعك أن تتذكّر هذه التفاصيل في مثل تلك الظروف؟

رقم٤ : أعتقد ذلك .

رقم٨ : وحتى تحت تأثير انفعال عنيف؟

رقم٤ : حتى تحت تأثير انفعال عنيف .

رقم٨ : إلا انّه تذكّر ، وهو أمام المحكمة ، الأفلام والممثلين .

رقم٤ : هذا شيء مؤكّد! فقد انقضت ثلاثة أشهر من ليلة وقوع الجريمة حتى بداية المحاكمة : وقد أُتيح للمحامي الوقت الكافي ليجعله يحفظها غيباً . وليس العثور على برنامج دارٍ ما للسينما ، في ليلةٍ بعينها ، بالأمر العسير . كلا . فأحد رجال الشرطة الذين استجوبوه إثر رجوعه إلى البيت قال إنّه لم يتمكّن من أن يتذكّر شيئاً يتعلّق بالأفلام على الاطلاق .

رقم٨ : هل يسعني أن أطرح عليك سؤالاً شخصياً؟

رقم٤ ، متبسّما : هيّا ، تفضّل .

رقم٨ : أينَ كنتَ في الليلة الماضية؟

رقم٤ : كنت في بيتي .

رقم٨ : وفي الليلة السابقة؟

رقم١٠ : هيّا انظروا ، إلى أين سوف يصل؟

رقم٤ ، الى رقم١٠ : لاعليك ، فكلّ شيء على مايرام . (الى رقم٨) لدى خروجي من هنا ، قصدت مكتبي ، فلبثت

حتى الساعة الثامنة والنصف ثم عدت الى البيت ونمت.

رقم٩ : والليلة التي سبقتها؟

رقم٤ ، وقد أخذ يبذل مجهوداً : كانت... ماذا... الثلاثاء. الليلة... إنّها... السابقة؟ كنتُ... (على حين غرة) آه! نعم. كانت أمسية مباراة البريدج. لعبتُ البريدج.

رقم٨ : والاثنين مساءً؟

رقم٧ : عليك أن تُعْلِمَنا، بعد أن تعود به القهقرى حتى ليلة عيد الميلاد.

(ينفجر رقم١٠ بقهقهة عالية تنتهي بنوبة سعال).

رقم٤ ، جاهداً ليتذكّر : الاثنين... الاثنين مساء... (بغتة) الاثنين مساء! ذهبت مع زوجتي الى السينما.

رقم٨ ، بسرعة : ما اسم الفيلم؟

رقم٤ ، بسرعة أكبر أيضاً : «الحلقة القرمزيّة» (الرجلان يتبسّمان) وهو فيلم جيّد على كل حال.

رقم٨ : والآخر؟

رقم٤ : الفيلم الآخر؟... (يبحث) إنّه... انتظر دقيقة... إنّه... السيّدة البارزة شيء ما... السيّدة... إنّه... بينبرزج. «السيدة بينبردج البارزة».

رقم٢ : أنا شاهدته. واسمه: «السيدة بينبردج المدهشة».

رقم٤ : السيّدة... بينبردج المدهشة... أجل. أعتقد أنّ ذلك صحيح.

رقم٨ : ومن كانت السيدة بينبردج المدهشة؟

(وقت طويل)

رقم٤ : ايه... تعال نرَ... بربارا... لونغ، على ما اعتقد. إنّها فتاة سمراء جميلة جداً. بربارا... لانْغْ... لانْ... أو اسم ما، من هذا القبيل.

رقم٨ : ومن غيرها؟

رقم٤ : الواقع، لست أدري!... ممثلون... مجهولون، بالنسبة لي على الأقل. (يسعى لأن يتذكّر أيضاً، ثم) كلا، لست أدري.

رقم٨، متبسّماً: لم تكن واقعاً، حسبما أعتقد، تحت تأثير انفعال عنيف؟

رقم٤، متبسّماً بدوره: كلا، على الاطلاق.

رقم٨ : إذن؟

(صمت قصير).

رقم٩ : أعتقد أن التفوّق قد تمّ إحرازه.

رقم١٠ : أيّ تفوّق؟ فهذا السيّد (يدل على رقم٤) قد قال ما فيه الكفاية وأكثر من الكفاية، حتى نكون على ثقة من أنّه كان في السينما يوم الثلاثاء مساء!

رقم٩ : الاثنين مساء.

رقم١٠ : كلا، الثلاثاء.

رقم٤، بهدوء: الاثنين مساء.

رقم١٠ : طيّب، الاثنين! وماذا بعد؟ ليس لهذا كلّه من قيمة، إنّها تسلية. فالصبيّ مذنب. ولا يمكن تغيير ذلك. مذنب. نقطة انتهى. أنتم ترون ما أقصد أن أقوله؟ (ينفّ) من ذا الذي لديه أقراص للسعال؟

رقم٢، ينظر إليه ببرود: لم يبق لديّ.

رقم٦ : كم الساعة الآن؟

رقم٥ : هناك ساعة على الحائط!

رقم٧ : إنّها السادسة إلاّ خمس دقائق... ما الذي يحصل!

رقم٢ : أعذروني، بودّي أن أرى شيئاً...

رئيس الهيئة، يقاطعه: أذكّركم أنّنا متعادلون. ستّة لستة. طيّب. والآن؟ هل من فكرة لدى أحدكم؟

رقم١٢ : نعم، أنا. هلمّوا نتعشّ.

رقم٢ : أنا لديّ شيء أقوله . . . (يتوقّف) .
رئيس الهيئة : طيّب ! قله .
رقم٢ : بما أنّنا على نحو ما . . . الى حدٍّ ما بحالة عرقلة . . . فهاكم . المسألة تتعلق بقضيّة المدية . . . قصدي أن أقول طريقة توجيه الطعنة ، أي زاوية الطعن ، فهمتم قصدي؟
رقم٣ : لاتقل لي إنّنا سنعود الى هذه! لقد نظروا فيها وأعادوا النظر اثناء المداولات طول يوم كامل .
رقم٢ : أعرف ذلك ، إلا أنّ هذا لايرضيني . فقد قال الدّفاع ، عدّة مرات ، إنّ الصبي كان أقصر من الأب بشكل واضح .
رقم١٠ : طيّب ، وماذا بعد؟
رقم٢ : ألايبدو لك غريباً أن تطعنَ من أعلى الى أسفل شخصاً أطولَ منك؟
رقم٣ : أعطوني هذه . (يأخذ المدية من على الطاولة ويُغْلقُها) سأجعلكم ترون بأمّ أعينكم . . . هل من أحد يريد أن يتقدّم؟ . . . (الى رقم٨) أنت؟
(يقف رقم٨ ويتوجّه نحوه) .
رقم٣ الى رقم٢ : وانظر جيداً . فلستُ حريصاً على تكرار ذلك . (الى رقم٨) أنا أقصر منك بخمسة عشر سنتمتراً تقريباً . أليس كذلك؟

رقم٢ : بلى، تقريبا. ربما أقل بقليل.

رقم٣ : طيب، انظروا.

(يفتح المدية، ويبدل من وضعها في يده ويشهرها في الهواء. ينظر محدّقاً في رقم٨ الذي يرد بنظرة مماثلة. وبغتة يؤدي حركة الطعن من أعلى الى أسفل وبقوّة).

رقم٢ ، صارخا: حاذر!

(يتوقّف النصل على سنتمترين اثنين من صدر رقم٨ الذي لايهتزّ. رقم٣ يبتسم).

رقم١١ ، ساخطاً: لست أرى ذلك مضحكاً.

رقم٦ ، كذلك: آه، كلا. (الى رقم٣) ماذا دهاك؟

رقم٣ : هدوءاً. (الى رقم٨) ليس هناك ما يضير. أليس كذلك؟

رقم٨ ، بلطف: كلا، لايوجد من ضَيْر.

رقم٣ ، وهو مستمر في إشهار المدية على مقربة من صدر رقم٨: هاكم. تلك هي زاويتكم. راقبوها. نحو الأسفل والداخل. هكذا يطعن المرء شخصاً أطول منه، وعلى نحو ما فعله الصبي... والآن، تفضّلوا. إنّني أنتظر تعليقاتكم.

(يعيد غرز المدية في الطاولة ويقعد).

رقم١٢ : نحـو الأسـفل والداخل. لاأظنّ أنّ هنالك من اعتراض.

(فترة صمت. يذهب رقم ٨ على مهل، فيخرج المدية من الطاولة ويغلقها. ثم يخرج النصل ويغيّر وضع المدية في يده ويؤدّي حركة الطعن نحو الأسفل. يمرّ وقت قصير)

رقم٨ الى رقم١٢ : هل سبق أن طعنت أحداً؟

رقم١٢ : كلا، بكل تأكيد.

رقم٨ الى رقم٣ : وأنت؟

رقم٣ : لاتتفوّه بحماقات.

رقم٨ : على الأطلاق؟

رقم٣ : لا، بكل تأكيد!

رقم٨ : من أين لك إذاً أن تعرف كيفيّة استخدامها؟

رقم٣ : إنّها مسألة حسٍّ سليم.

رقم٨ : ألم تشاهد أيضاً رجلاً يتعرّض للطعن؟

رقم٣ : ولكن أؤكّد لك أن لا. فما هذا الذي تهذر به؟

رقم٨ : ذلك أنّ هناك شيئاً من الخلل في استعراضك. (يفكّر) فالصبي خبير في مضمار الطعن بالمدية. وأظنّ أنّ

زيارته الأولى لاحدى دور الاصلاح كانت على أثر مشاجرة ومطاعَنَةٍ بالمدى؟

رقم١٢ : صحيح.

رقم٨ : فهل يبدو لك القيام بهذه الحركة من اليد، بقصد الطعن، أمراً طبيعيا؟ . . . أنظر.

(يطبق المدية ثم يخرج النصل ويغيّر وضع إمساك النصاب بيده. . .)

رقم٥ ، على نحو مباغت: كلا، هذا ليس طبيعيا. . . (وبما يشبه التأفّف) هات، أعطني هذه. (يأخذ المدية) إنّني أَمقُتُ هذه الأدوات، ولكن لا مناص من تسمية الأشياء بأسمائها. . . لقد رأيت مشاجرات بالخناجر في حياتي أكثر مما رأيت باللّكمات فقد كان هذا منظراً يومياً في الشارع الذي كنت أقيم فيه. وفي قطعة الأرض غير المسوّرة المواجهة لمنزلي وفي ساحة الدار وحتى على الدرج الخارجي. . . فما هكذا يستخدمون مدية ذات فرضة توقيف. . . (يكرّر حركة رقم٨) لأنّها تستغرق وقتاً أطول بكثير يمكن أن تتعرّض أثناءه للقتل. بل على هذا النحو. (يعود فيفتح المدية ويقبض عليها وهي تحت يده ويؤدي

حـركـة الطعـن نحـو الأمـام والأعلى) تحـت اليـد، هل ترون؟ ولا يكون غير ذلك مطلقاً.

رقم٤ : هل أنت متأكّد؟

رقم٥ : بشكل قطعي. ولـم يخـتـرعـوها إلا للطّعن على هذا النحو.

رقم٨ : إذاً أنت لاتعتقد أنّ الطعنة التي قتلت الأب كانت من فعل الصبي؟

رقم٥ : إنّ ذلك سيدهشني كثيراً (يرفع المدية) كلا، لاأعتقد ذلك حقاً. لاتنسوا أنّ الصبي يصحّ فيه القول، إنّه وُلِدَ والمدْيةُ في يده. ولقد عرفت عدداً كبيراً من الطعّانين على شاكلته.

رقم٣ : هل كنت في الغرفة حين قُتِلَ الأب؟

رقم٥ : طبعاً لا.

رقم٣ : حسن جداً. حسبي هذا.

رقم٤ ، بهدوء: لا أعتقد أنّ بوسعنا أن نقول عن يقين أيّ جرحٍ أحْدَثَه ذلك الصبي أم لم يُحْدثه، لأنه ماهر جداً في الطعن بالمدية.

رقم١٢ : وأنا أيضاً.

رقم٨ الى رقم١٢ : وما الذي تعتقده على وجه الدقّة؟

رقم١٢ : الواقع ! . . . لست أدري .

رقم٨ : حاول أن تعرف .

رقم١٢ : ايه! طيّب . . .

رقم٣ : ماذا، إيه طيب؟

رقم٧، يقاطعه : أصغوا إلي، سأقول لكم شيئاً. لقد أضنتني هذه الحكاية من أولها الى آخرها. حتى أصابني السأم فها أنذا أترك وأتخلّى . . . إنّني أصوْت غير مذنب .

رقم٣ : ماذا قلت؟

رقم٧ : قلت إنني أُصِبْتُ بالسأم .

رقم٣ : وماذا يعني قولكَ السأم؟ إذ ليس هذا بجواب .

رقم٧ : اهتمّ أنتَ بشؤونك .

رقم١١ : كلا، ما هذا بجواب! (بقوّة) لقد جئت الى هنا لتجلس معنا، وصوتّ مذنبا من غير تفكير . . .

رقم٧ : هكذا إذن!

رقم١١، بإلحاح : من غير تفكير، لأنّ بطاقات مباراة البيسبول كانت في جيبك تَخزِكُ. إنّ ذلك غير لائق .

رقم٧، واقفاً : كيف؟

رقم١١ : من غير اللائق أن نعبث بحياة إنسان . إنّه لشيء رهيب وقبيح .

رقم٧، صارخاً: ليس لك أن تخاطبني على هذا النحو!
رقم١١، بحماس: بل ينبغي أن أخاطبك على هذا النحو!
واذا كنتَ تريد أن تصوّتَ غير مذنب، فافعل لأنّك
مقتنع بأن الرجل غير مذنب. وإلاّ فصوّت مذنبا. ألا
تملك... (يبحث عن الكلمة) الجرأة على المضيّ في
عمل حتى غايته، مادمتَ تعتقد أنّه صحيح؟
رقم٧: اسمع لأقول...
رقم١١، يقاطعه: مذنب أم غير مذنب؟
رقم٧، بعد تردّد: لقد قلت لك. غير مذنب.
رقم١١: لماذا؟
رقم٧: لست ملزماً بأن...
رقم١١: بلى! قل ذلك. لماذا؟
(فترة. يحدّقان أحدهما في الآخر. يغضّ رقم٧ من
بصره).
رقم٧، بصوت خافت: أنا... لاأظنّ أنّه مذنب.
رقم١١: لم تعد تظنّ ذلك أبداً؟
رقم٧: نعم، لم أعد أظن ذلك أبداً.
رقم٨: أطلب إجراء تصويت جديد.
(سكوت).

رئيس الهيئة، بهدوء: لدينا طلب بتصويت جديد. برفع الأيدي. هل من اعتراض؟... (لاأحد يجيب) ليرفع الذين يصوّتون غير مذنب أيديهم.

(يرفع الأرقام ٢ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١١ أيديهم)

رئيس الهيئة: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة. (يرفع رقم١٢ يده ببطء) ثمانية (الرئيس يرفع يده) تسعة... والذين يصوّتون مذنباً؟ (يرفع الأرقام ٣ و٤ و١٠ أيديهم) ثلاثة. النتيجة هي تسعة مقابل ثلاثة لصالح التبرئة.

رقم١٠: أنا لاأفهمكم! إلا أنّ هذه التفاصيل الصغيرة التي تبالغون في أظهار أهميّتها، لاتعني شيئا! ولقد شاهدتم الغلام بأعينكم. لقد شاهدتموه كما شاهدته. ولايسعكم أن تصدّقوا القصص التي قصّها ولا المدية التي فقدها ولاخدعة السينما الملفّقة. إنّهم يكذبون مع كل شهقة! لقد ولدوا مجبولين بالكذب. (يأخذ منديله بنزق وينف). بل إنّهم لايفقهون الحقيقة حتى في الخيال! بلى، إنّهم على هذا النحو. بل إنّهم ليسوا بحاجة لمبرّر حتى يقتلوا (يعطس ويأخذ منديله) (ينهض رقم٥، منزعجاً، ويتوجّه الى المشجب)

الاتريدون أن تعرفوا حقيقتهم . . . إنّهم يسكرون دون توقّف . إنّهم كلّهم مجموعة من السكارى ، وبين لحظة وأخرى يسقط أحدهم في الوحل . ولست ألومهم على ذلك . كلا ، فهذا هو واقع حالهم . إنّه شيء كامن في طبيعة تكوينهم ، أنتم تدركون ماذا أقصد؟ (ينهض رقم٩ ويتوجّه إلى المقعد الجانبي) والحياة الانسانية ليس بذات قيمة في نظرهم . (يذهب رقم١١ الى النافذة . رقم٦ يتبعه) حسنا! فإلى أين سينتهي بكم المطاف؟ . . . أولئك الصبية يسكرون ويتشاجرون بشكل دائم . وإذا ما هلك أحدهم ، فذلك يعني بكلّ بساطة إنّ أحدهم قد هلك . وقلّما يكترثون للأمر . . . لكن لاريب في وجود بعض الجوانب الحسنة لديهم . واعلموا أنّي أوّل من يعترف بذلك . (يقف رقم٨ ويتوجّه نحو الأريكة . ويذهب رقم٢ صوب المشجب) بل عرفت اثنين منهم ، ولابأس بهما ، لكنّهما يشكلان شذوذاً على القاعدة ، وأنتم تدركون ماذا أقصد؟ فالأكثريّة فيهم كأنّهم بلا عواطف . وبوسعهم أن يفعلوا أيّ شيء كان . (يذهب رئيس الهيئة نحو موزّع الماء) ولكن ، ما هذا الذي

يجري؟ إنّي أسعى لأن أجعلكم تفهمون. فأصغوا إليّ على أقلّ تقدير! (يزداد حدّة) هذا الصبي كذّاب. إنّي أعرف هؤلاء اليافعين كلّهم، إنّهم حثالة قذرة وأوباش!

(يدير رقم٧ دونما مواربة ظهر كرسيه للطاولة. يقف رقم١٢ ويتوجّه نحو الباب).

رقم١٠، ساخطاً: أوآه! يا لذكائكم! . . . ولكن أصغوا إليّ! (يصرخ) قلت لكم إنّ علينا أن نَحْذَرَ هؤلاء القتلة الصغار! أنا أعرفهم! أنا أعرفهم!

(يذهب رقم٣ الى النافذة).

رقم١٠، بهيستيريا: ألا تفهمون؟ إنّي أسعى إلى إفهامكم شيئاً هاماً. فالخطر يتهدّدنا هنا! هؤلاء الصغار متوحّشون. أصغوا إليّ، لكم الويل!

(يستدير ساخطاً فيجد نفسه مع رقم٤ وجها لوجه).

رقم١٠، بهدوء أكثر: أصغ إليّ.

(يحدّق فيه رقم٤. فيسكت. تمرّ فترة).

رقم٤، بهدوء: إذا ما فتحت فمك مجدداً فسوف أحطّم دماغك.

(صمت تام. يطرق رقم١٠ برأسه الى الطاولة).

رقم١٠ : بصـوت خـافت : كنت أسـعى فـقط لأن أقـول لكم . . .

(صـمت طويل . رقم٤ يتـركـه . يعـود رقـم٥ و١٢ الى مقعديهما . بعض الوقت أيضاً) .

رقم٨ ، بتمهّل وكأن شيئاً لم يكن : إنّ من الصعوبة بمكان ، وهذا شيء ثابت ، أن يكون المرء مـوضـوعـياً . ولا مناص من أن تتسرّب آراؤه المسبقة ، شاء أم أبى ، لتُفْسِد كل شيء هنا أو هناك . (يرجع رقم٢ و١١ للجلوس) لقد تداولنا أحياناً بشيء من الشدّة ، لكن بصراحة ، ولاأحسب أنّنا تسبّبنا في كثير من الضرر . (يعـود رقم٩ للجلوس) ولا أخفي عنكم ، أنّي بعد هذه المناقشة لا أنظر الى الحقيقة نظرة حاسمة . ولاأعتقد أنّ أحداً سيتوصّل إليها بشكل قاطع أبداً . . . إنّ تسعة من بيننا لديهم الإحساس بأنّ المتهم غير مذنب (يعود رقم٦ فيجلس) ويمكن لنا أن نخطئ فنحن نعتمد فقط على الاحتمالات .

(يعود رئيس الهيئة الى مكانه).

رقم٨ ، وهو ينظر الى رقم٤ : قد يكون قاتلاً ، ونحن نسعى لنعيده الى داخل الحظيرة الاجتماعية . فهل من يعرف

يجري؟ إنّي أسعى لأن أجعلكم تفهمون. فأصغوا إليّ على أقلّ تقدير! (يزداد حدّة) هذا الصبي كذّاب. إنّي أعرف هؤلاء اليافعين كلّهم، إنّهم حثالة قذرة وأوباش!

(يدير رقم٧ دونما مواربة ظهر كرسيه للطاولة. يقف رقم١٢ ويتوجّه نحو الباب).

رقم١٠، ساخطاً: أوآه! يا لذكائكم!... ولكن أصغوا إليّ! (يصرخ) قلت لكم إنّ علينا أن نَحْذَر هؤلاء القتلة الصغار! أنا أعرفهم! أنا أعرفهم!

(يذهب رقم٣ الى النافذة).

رقم١٠، بهيستيريا: ألا تفهمون؟ إنّي أسعى إلى إفهامكم شيئاً هاماً. فالخطر يتهدّدنا هنا! هؤلاء الصغار متوحّشون. أصغوا إليّ، لكم الويل!

(يستدير ساخطاً فيجد نفسه مع رقم٤ وجها لوجه).

رقم١٠، بهدوء أكثر: أصغ إليّ.

(يحدّق فيه رقم٤. فيسكت. تمرّ فترة).

رقم٤، بهدوء: إذا ما فتحت فمك مجدداً فسوف أحطّم دماغك.

(صمت تام. يطرق رقم١٠ برأسه الى الطاولة).

رقم١٠ : بصوت خافت : كنت أسعى فقط لأن أقول لكم . . .

(صمت طويل . رقم٤ يتركه . يعود رقم٥ و١٢ الى مقعديهما . بعض الوقت أيضاً) .

رقم٨ ، بتمهّل وكأن شيئاً لم يكن : إنّ من الصعوبة بمكان ، وهذا شيء ثابت ، أن يكون المرء موضوعياً . ولا مناص من أن تتسرّب أراؤه المسبقة ، شاء أم أبى ، لتُفْسِد كلّ شيء هنا أو هناك . (يرجع رقم٢ و١١ للجلوس) لقد تداولنا أحياناً بشيء من الشدّة ، لكن بصراحة ، ولاأحسب أنّنا تسبّبنا في كثير من الضرر . (يعود رقم٩ للجلوس) ولا أخفي عنكم ، أنّي بعد هذه المناقشة لا أنظر الى الحقيقة نظرة حاسمة . ولاأعتقد أنّ أحداً سيتوصّل إليها بشكل قاطع أبداً . . . إنّ تسعة من بيننا لديهم الإحساس بأنّ المتهم غير مذنب (يعود رقم٦ فيجلس) ويمكن لنا أن نخطئ فنحن نعتمد فقط على الاحتمالات .

(يعود رئيس الهيئة الى مكانه) .

رقم٨ ، وهو ينظر الى رقم٤ : قد يكون قاتلاً ، ونحن نسعى لنعيده الى داخل الحظيرة الاجتماعية . فهل من يعرف

ذلك حقاً؟ لكن لدينا شك مشروع. فليس واحد من التسعة يستطيع أن يقول إنّه مقتنع بأنّ الرجل مذنب. تلك هي الحال. أما الثلاثة الآخرون فيبدو أنّهم يملكون تلك القناعة. فهل تستطيع أن تقولي لماذا؟ (وقت قصير).

رقم٤ : سوف أحاول. (يعود رقم٣ ليجلس) صحيح إنّي مازلت أعتبره مذنبا. ولديّ لذلك سببان اثنان. الأول: شهادة المرأة في الجهة المقابلة من الشارع، وهي التي **رأت** وقوع الجريمة.

رقم٣ : شهادة دافعة.

رقم٤ ، ينظر اليه ببرود ثم يواصل كلامه: الثاني: قيام تلك المرأة بوصف حادثة القتل. قالت إنّها رأت الصبي يرفع ذراعه الى ما فوق رأسه ويغمد مديته في صدر الأب. لقد **رأته** وهو يفعل ذلك... على الرغم من أنّ ذاك ليس بأسلوب المطاعنين بالمِدى.

رقم٣ ، وقد استثير: هذا صحيح! هذا صحيح كل الصحة! (رقم٨ يصغي الى رقم٤ بهيئة مَنْ لايملك من ردّ).

رقم٤ : فلنتكلّم قليلاً على تلك المرأة. ذهبت الى سريرها في حدود الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة. سريرها

يقع أمام النافذة. وباستطاعتها أن تنظر الى الخارج وهي مستلقية. بل يسعها أن تنفذ ببصرها مباشرة الى داخل غرفة الجريمة في الجانب الآخر من الشارع: فالنافذة مفتوحة. أمّا والحرّ الشديد يمنعها من النوم، فكانت تتقلّب على جنبيها في السرير. ودام ذلك ساعة بحالها. وبغتة، في حدود الثانية عشرة وعشر دقائق، يجتذب ضجيج القطار العابر نظرها خارجاً فتقع عيناها حينئذ على الجريمة. وعبر نوافذ العربتين الأخيرتين. قالت إنها رأت ذلك بوضوح شديد، حتى إنّ النور في الغرفة المقابلة قد أطفئ بعد ذلك، على الفور... (وقت قصير) وأنا أرى في ذلك، حسب حكمي على الأمور، شهادة لاتدحض.

رقم٣: نعم! تلك هي القضيّة كلّها!

رقم٤ الى رقم٨: فما رأيك بذلك؟

(رقم٨ لايرد، بل يستغرق في التفكير).

رقم٤ الى رقم١٢: وأنت؟

رقم١٢: الحقيقة... لست أدري. فالشهادات على درجة من الكثرة... أنا... لاأخفي إنّني في حيرة.

رقم٤: أقول صادقاً إنني لاأدري كيف يمكن التصويت غير مذنب.

رقم١٢ : بالتأكيد . . . فهذا الكمّ من الشهادات . . .

رقم٣ : إقذفوا بكل الشهادات خارجاً . ولاتُبْقوا إلا على تلك : المرأة **رأت** حادثة القتل .

رقم١٢ : نعم ، نعم ، بالتأكيد . . . بالتأكيد . . .

رقم٣ : فلنصوّت على هذه .

رئيس الهيئة : حسن جداً . هنا طلب على تصويت جديد . هل من اعتراض؟

رقم١٢ ، بغتة : لقد غيّرت رأيي . أظنّ أنه مذنب .

رقم٣ : ومن أيضاً؟

(ينظر اليهم واحداً فواحداً باستفزاز) .

رقم٣ ، بلهجة انتصار : التصويت ثمانية لأربعة .

رقم١١ : ولِمَ تحوّلُ ذلك الى نصرٍ شخصي؟

رقم٣ ، يقف : طيّب . هاكم ما أفكّر به . علينا أن نتنحّى . فالآن أمسى ذلك حتمياً . هلموا نقابل القاضي . (لا يردّ أحد) آه! أليس من يجيب؟ قلت إنّ علينا أن نتنحّى . (الى رقم٨) أمّا وأنت تتولّى توجيه دفّة القضية فإنّي أنتظر براهينك .

رقم٨ ، بهدوء : أرى أن نستأنف المناقشة .

رقم٣، ساخطاً: تقول إنّك ستستأنف المناقشة! وبوجود أشخاص يتواثبون (يدلّ على رقم١٢) الى الأمام والى الوراء مثل كرات المضرب؟

رقم٤ : حاول أن تحافظ على رباطة جأشك. فأنت لاتني تسعى الى تحويل هذه القضية الى معركة.

رقم٣، متكدّراً: إيه، لابأس. (يقعد).

(فترة قصيرة).

رقم٤ : الا يسعنا تعيين حدّ زمني؟

رقم٧، وقد طفح به الكيل: على ما نحن فيه... لماذا؟ ليتنا نمضي الليل!

رقم٤ : الساعة الآن... السادسة والربع. (يرفع نظاريته ويمسحها) ذكر أحدنا قبل قليل، الساعة السابعة. طيّب. فلنتفق على أن نناقش، في تمام السابعة، مسألة اعتزالنا أو بقائنا.

(يرفع يده فيضغط بالسبّابة والإبهام على أصل أنفه. كمن يسعى ليستريح من عناء النظارتين).

رقم٨ : يبدو لي هذا معقولاً.

رقم٤ : بقي أمامنا ثلاثة أرباع الساعة، وأظنّ...

(إنّ رقم٩، الذي يراقبه باهتمام منذ بعض الوقت، يقاطعه).

رقم٩ : ألست على مايرام؟

رقم٤ : كيف؟ بلى، إنّي في أحسن حال. لماذا؟

رقم٩ : أظنّ أنّي لاحظت . . . لكن أرجو منك المعذرة.

رقم٤ ، للآخرين : يبقى أنّنا إذا لم نصل الى اتفاق، حتى تمام الساعة السابعة . . . عدة محلّفين -مفهوم! . . . مفهوم! . . .

(يؤدّي رقم٤ الحركة ذاتها بالضغط على أصل أنفه ثم يضع نظارتيه).

رقم٤ : إذاً، بشأن ما يتعلّق بي . . .

رقم٩ ، بإثارة : ها أنت قد كرّرت تلك الحركة!

رقم٤ ، بحدّة : ولكن أيّ حركة تقصد، يا سيدي؟

رقم٩ : حركة الضغط على أنفك. فهذا يذكّرني . . .

رقم٤ ، يقاطعه : لكن اصغِ. نحن نسعى لوضع شيء من الترتيب . . .

رقم٩ : ذلك أنّ المسألة هامّة.

رقم٤ ، وقد طفح به الكيل : حسن جداً.

(يرتد على كرسيه الى الخلف وينظر الى السقف كمن فقد الاهتمام بالمسألة).

رقم٩ : أرجوك أن تعذرني على هذه المقاطعة، لكنّني أتساءل عن سبب قيامك بالضغط على هذا النحو على أصل أنفك.

رقم٣ : القضية مثيرة للاهتمام حقاً!

رق٩ ، بحدّة: أنا لاأتحدّث إليك. (الى رقم٤) هل بوسعك أن تجيبني؟ لماذا تَفْركُ أنفك على هذا النحو؟

رقم٤ ، وهو يتنهّد: لأنّ ذلك يضايقني.

رقم٩ : أجل، أجل... من تأثير نظارتيك؟

رقم٤ ، وهو يتنهّد مجدداً: صحيح، تماما، بسبب نظارتيّ. فهل طابت نفسك؟

رقم٩ : إنّ نظارتيك إذاً هما السبب في البقعتين الحمراوين على كلّ جانب من أنفك. لم أرهما من قبل... لابدّ أن يكون أمرهما مزعجا.

رقم٤ ، غاضباً: نعم، مزعج جداً.

رقم٩ : ما كنت أعرف ذلك. أنّ نظري لممتاز. عشرون من عشرين.

رقم٧ : وهذا ما يملأ نفوسنا غبطة.

رقم٩ : ذلك أنّ المرأة التي شاهدت القتل، كانت لها نفس البقع على كل جانب من الأنف. (ردود فعل

مختلفة. لغط) أرجوكم! (يستمر اللغط) أرجوكم! (اللغط يهدأ) لن أُطيلَ عليكم أكثر من دقيقة. . . فلقد نسيت ذلك، لكنّ وجه تلك المرأة ظلّ ماثلاً في ذاكرتي. وكان فيه تلك البقع الحمراء. ولقد فَرَكَتْها مراراً، وهي في حرم المحكمة.

رقم٥ : هذا صحيح. وإنّي لأذكر ذلك. عدّة مرات.

رقم٧ : وماذا بعد؟

رقم٩ : يمكن لتلك المرأة أن تكون في الخامسة والأربعين. لكن يتراءى لها أنّها تبدو في الخامسة والثلاثين.

رقم٧ : لماذا؟

رقم٩ : كان ذلك بادياً عليها. كانت متبرّجة، مصبوغة الشعر، بملابس قشيبة كلّها وذات مظهر أصغر بكثير من أن تليق بسنّها. وصدّقوني أنّها أمضت وقتاً طويلاً جداً وهي تُعِدّ نفسها للظهور أمام الجمهور. أما بشأن نظارتيها، فقد فضّلت أن تغامر بتعريض نفسها للوقوع أرضاً على أن تخرجهما من محفظتها.

رقم٣، مشاكساً: هكذا إذاً، نظارتاها؟ وكيف عرفت، بربّك، أنّها تضع نظارتين؟ ألأنّها كانت تفركُ أنفها؟

رقم٥ : كان على وجهها بقع حمراء. وأنا رأيتها.

رقم٣ ، يصرخ : وماذا بعد؟ علامَ يدلّ ذلك؟

رقم٦ ، وقدهبّ واقفاً : أصغِ إلي ، أصابني السأم من شدّة زعيقك .

رقم٥ الى رقم٦ : لكن أهملْه .

رئيس الهيئة : أنا شاهدت أيضاً تلك البقع . هذا صحيح ، لقد شاهدتها . كنتُ الأقرب من تلك المرأة . بقعتان حمراوان عميقتان .

رقم٣ : وماذا بعد؟ وماذا بعد؟ كانت مصبوغة الشعر ولها بقعتان على أنفها . طيّب . لابأس . وماذا بعد؟

رقم٩ ، بهدوء الى رقم٤ : هل يمكن لهذه البقع أن تنشأ عن شيء آخر غير النظارات؟

رقم٤ ، بعد شيء من الوقت : كلا ، لا أظنّ ذلك .

رقم٣ : ولكنّي استحلفكم بالشيطان ، ماذا سيقدّم هذا أو يؤخّر؟ . . . ناهيك بأنّي لم أرَ شيئاً .

رقم٤ : لكن بلى ، وبكل وضوح . والغريب أن يلزمني كل هذه الوقت حتى أتذكّر . . .

(صمت قصير) .

رقم٦ : أما ونحن نتكلم على ذلك الآن فقد تذكّرت . الواقع أنّي لم آلِ الأمر اهتماماً . . .

رقم٣ الى رقم٨: وماذا عنك يا سيادة المحامي؟ كيف لاتقول شيئاً؟

رقم٨: إنّي أتفكّر . . . أتفكّر كيف يسعى اثنا عشر رجلا، موجودون هنا منذ ساعتين، على حصر اهتمامهم بهذه القضيّة، وكيف أنّ أحد عشر من هؤلاء الاثني عشر، قد فاتتهم هذه الملاحظة!

رقم٣: ماذا فاتهم؟ أما أنّك تريد أن تُدْخِل في أذهاننا أنّ مسألة النظارات هذه ذات بال؟ وقد تدّعي بأنّ النيابة العامة مارست ضغوطاً على المرأة لكي تشهد من غير أن تضع نظارتيها؟

رقم٨: لست أدّعي شيئاً من هذا. لكنني أعرف نساء يعتقد أنّ النظارات تنتقص من قيمتهنّ.

رقم٦: زوجتي، على سبيل المثال.

رقم٨: بل من المرجّح أن تكون النيابة العامة، مثلها في ذلك مثلنا نحن الأحد عشر، قد سَهَتْ عن تلك النقطة.

رقم٦: هذا تماماً ما كنت مزمعاً على قوله.

(قليل من الوقت).

رقم٣: طيّب، كانت على وجهها تلك البقع. مفهوم. سلّمنا لكم بذلك. تلك البقع على الأنف تنجم عن وضع

النظارات. وهي لاتضع نظارتيها خارج بيتها مطلقاً لأنّها تتوهّم أنّ النظارات عنصر دمامة. لابأس. لابأس! أما حين رأت الصبي يطعن أباه فقد كانت في بيتها، أليس صحيحاً. كانت في بيتها، وحدها، في سريرها غير آبهة بمظهر وجهها!

رقم٨ الى رقم٤ : هل تضع نظارتيك وأنتَ في سريرك تريد أن تنام؟

رقم٤ : قطعاً. وما من أحد يفعل ذلك.

(سكوت. يُسْمَع صوت هطول المطر. ما من أحد يتحرّك).

رقم٨ : يبدو أمراً بديهياً أنّها لم تكن تضع نظارتيها وهي مستلقية في سريرها، تتقلّب ذات اليمين وذات الشمال من غير أن تعرف للنوم طعما.

رقم٣، يصرخ : وماأدراك؟

رقم٨ : لست أدري. إنّي أفترض. وأفترض أيضاً أنّها، حين نظرت خارجاً عبر النافذة، لحظة مرور القطار، كانت لاتضعها.

رقم٦ : هذا مؤكّد.

رقم٣ : كلا، ليس هذا بمؤكّد.

رقم٨ : بل وأمضي الى أبعد من ذلك. فأعتقد أنّها، وبكلّ صدق، ظنّت أنّها قد رأت الصبي يقتل أباه، أما في الواقع، فهي لم تر في تلك الليلة إلا صورة مشوّشة.

رقم٣ : وكيف عرفت ذلك؟ (الى الآخرين) إنّ هذا الزبون قد أحاط بكل شيء علما! (الى رقم٨) ما قولك؟ وكيف تعرف أيّ نوع من النظارات تضع على عينيها؟ قد تكون مصابة ببعد النظر! وقد تضع نظارات شمسيّة! فما أدراك؟

رقم٨ : أقول فقط إنّ الشكّ يحوم حول رؤية شاهد عيان.

رقم١١ : الواقع أنّ المسألة بالنسبة لها تتعلّق بالتعرّف على شخص يبعد عنها أكثر من عشرين متراً. . . وقد رأته ليلاً وهي بدون نظارتين.

رقم٢ : لايسعنا حقاً أن نبعث الى الموت بإنسان ليس ضده غير شهادةٍ واحدة مثل تلك الشهادة.

رقم٣ : طيب! أما أنا، فلا أتزحزح.

رقم٨ : ألاتظن أنّ تلك المرأة يمكن أن تكون قد أخطأت؟

رقم٣، صارخاً: كلا!

رقم٨ : ذلك غير ممكن بالنسبة لك؟

رقم٣ : كلا، ذلك غير ممكن؟

رقم٨ الى رقم١٢ : وبالنسبة لك؟

رقم١٢ ، بهدوء : هذا ممكن .

رقم٨ الى رقم ١٢ : وبالنسبة لك؟

رقم١٢ ، بهدوء : هذا ممكن .

رقم٨ الى رقم١٠ : وأنت؟

(سكوت . رقم١٠ يطرق رأسه . الجميع يحدّقون فيه) .

رقم٨ ، بلطف : أتعتقد صادقاً أنّ ذلك الصبي مذنب؟

(يومئ رقم١٠ ، بنصَبَ أن لا) .

رقم٣ : أعتقد أنّه مذنب .

رقم٤ : أما أنا فلا . لقد اقتنعت .

رقم٣ ، ساخطاً : إذاً تخلّيت عنّي؟

رقم٤ : لديّ الآن شكّ مشروع .

رقم٩ : النتيجة أحد عشر لواحد .

(سكوت . رقم٣ يحدّق فيهم ، واحداً فواحداً ، وهو ساخط)

رقم٣ ، بقوّة : وكلّ ماتبقّى ، ماذا بشأنه؟ كلّ ماتبقّى ، كلّ الشهادات الأخرى؟ . . . وتلك الأشياء كلّها . . . المدية ، والسينما والرجل العجوز . . . والقضيّة كلّها!

رقم٢ : أنت نفسك قلت إنّ بوسعنا أن نستبعد كافّة الشهادات الأخرى . . .

رقم٥ : . . . وأن لا نُبْقي إلاّ على شهادة المرأة!

(وقت طويل).

رقم٧ : طيّب. ماذا نفعل الآن؟

(صمت).

رقم٨ الى رقم٣ : أنت وحيد.

رقم٣ : ما همّني أن أكون وحيداً أم لا. فهذا حقّي!

(صمت).

رقم٨ : هذا حقّك، بكل تأكيد.

(صمت من جديد. كلّهم ينظرون الى رقم٣).

رقم٣ : وما لكم تحدّقون فيّ أنتم أيضا؟ قلت إنّه مذنب.

رقم٨ : نريد براهينك.

رقم٣ : قدّمتها لكم.

رقم٨ : لسنا مقتنعين. نريد سماعها من جديد. وسوف نلبث بقدر ما يلزم من وقت.

رقم٣ : كلّ شيء . . . كلّ شيء . . . أصغر الأشياء التي ذكرت في قاعة المحكمة . . . كلّ شيء على الاطلاق . . . ينطقُ قائلاً إنّه مذنب. فهل تعتبرونني أحمقاً أم ماذا؟ . . . إليكم على سبيل المثال قصّة الرجل العجوز . . . الرجل العجوز في الطابق

الأدنى، والذي سمع كل شيء . . . أو خذوا واقعة المدية . . . إذ ليس قيام هذا الرجل (يدل على رقم٨) بالعثور على مثيلتها . . . (يزداد حدّة) لقد رآه الرجل العجوز . رأى الصبي هارباً فوق الدرج . بماذا يؤثّر علينا عدد الثواني؟ هذا شيء لايُعتدّ به . لقد رآه! . . . يمكنكم أن تأخذوا كلّ واقعة، واحدة فواحدة . . . مثل المدية التي سقطت من ثقب في جيبه . . . وأتحدّاكم أن تُثْبِتوا أنّ الرجل العجوز لم يذهب الى الباب الخارجي . (يصرخ) إنّني أضعكم في موضع التحدّي! . . . بوسعكم أن تحجلوا ما شئتم حول هذه القاعة وأن تجرجروا أنفسكم ماطاب لكم، فذلك لايبرهن على شيء أبداً . . . وحادثة القطار هذه! . . . والسينما! . . . أراهن على خمسة آلاف دولار أنّي سأتذكّر الأفلام التي شاهدتها في الليلة التي قتلتُ فيها أبي . . . إذا ما حصل ذلك أبدا . كلّ شيء! كلّ شيء على الاطلاق! فكلّ واحدة من تلك الوقائع التي نوقشت هنا . . . حكاية النظارات هذه! كيف لكم أن تتيقّنوا من أنّها لم تكن تضعهما؟ . . . المرأة شهدت أمام المحكمة . شهدت . هل تتابعونني؟ . . .

وكلّ تلك الحكاية بشأن صيحة الصبي! . . .
«سأقتلك» هكذا صاح. «سأقتلك» ولقد قال ففعل.
ذلك أكيد . . . أجل، هاكم الوقائع كلها. لقد ذكرتها
لكم بكاملها. أمّا أنتم، أمّا أنتم . . . (يتوقّف،
ويحدّق فيهم. يصرخ) ماذا تريدون أكثر؟ هاكم
إيّاها. هاكم كلّ شيء. هاكم القضية كلّها. (صمت)
طيّب! (سكوت لاأحد يتحرّك) أنتم لن تخيفونني!
كلا؟ لن تنالوني (سكوت) أليس لي الحق في أن يكون
لي رأيي الخاص؟
(صمت).

رقم٣: ، بصوت مدوٍّ: لابأس! . . . (وقت قصير، ينهار)
غير مذنب.
(يجهش بالبكاء)

(يمضي رئيس الهيئة الى الباب ويدقّ عليه. يفتح
الحارس ثم يبقي على الباب مفتوحاً بينما هم يمرون
أمامه متمهّلين واحداً فواحداً. أما رقم٣ فلبث قاعداً
متّكئاً بمرفقيه على الطاولة وهو يأخذ رأسه بيديه.

يذهب رقم٨ الى المشجب فيأخذ سترة رقم٣ فيأتيه
ويساعده على إدخال يديه في الكُمَّيْن) .

الحارس، بتهذيب : تفضّلوا، أيها السادة .

(يخرجان . الحارس يتبعهما ويغلق الباب) .

ستـــار

جان كوكتو

المسرحية الثانية

الصوت الإنساني

مسرحية من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

JEAN COCTEAU
LA VOIX HUMAINE

الشخصية

أدت دور الشخصيّة الوحيدة
الآنسة: بيرت بوفي
قُدّمت مسرحيّة «الصوت الإنساني» لأول مرة
على مسرح «الكوميدي فرانسيز»
في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠.

مقدّمة

بقلم الكاتب

الكاتب يحب التجارب. أمّا وقد درجت عادة التساؤل عمّا ينوي أن يعمله بعد أن شاهد ما فعله، فقد يغدو من الأيسر الاستعلام مباشرة بلا وسيط.

أما البواعث التي جعلته يزمع على كتابة هذا الفصل المسرحي فعديدة:

١ً- الباعث الغامض الذي يحث الشاعر على الكتابة، فيما ترفضها كل نوازع الكسل العميقة، الكامنة في داخله، وترفده، من غير شك، ذكرى حديث على الهاتف سمعه على حين غرّة، والرنّات الخاصّة لصوت رزين هو نسيجُ وَحْدِهِ، وأبديّة فترات الصمت.

٢ً- يأخذون عليه التعامل بالماكينات، والإفراط في مَكْنَنَة مسرحياته، والمبالغة في الاعتماد على الإخراج. فحرص على اختيار الشكل الاكثر بساطة: فصل واحد وحجرة واحدة

وشخصيّة واحدة والحب، ثم جهاز الهاتف كمتّم مبتذل للحُجُرات العصرية.

٣ً- إن ما يمثله المسرح الواقعي بالنسبة للحياة شبيه بما تمثله لوحات صالة الفنون الجميلة (البوزار) بالنسبة للطبيعة. كان ينبغي رسم امرأة جالسة. وليست امرأة ما، أيْ امرأة ذكيّة أو غبيّة، بل امرأة مجهولة، وتفادي الكلام ببراعة والمحاورة القائمة على الاجابات السريعة وبالمثل، وكلمات عاشقة تسبب من الضيق ما تسببه كلمات الاطفال، أي باختصار كل ذلك المسرح الذي تلا المسرح القاطر بالسموم والذي حلّ بسماجة ومداجاة محل المسرح من دون ما أوصاف، المسرح الحقيقي، وحسابات سوفوكليس وراسين وموليير الحيّة.

ويتمثّل الكاتب مشقة المشروع. فيعمد عاملا بنصيحة فيكتور هوغو، إلى ربط التراجيديا والدراما بالكوميديا، تحت رعاية ما يقدّمه الجهاز، الأقلُّ ملاءمةً للتصدّي لشؤون القلب، من بلبلة وتشويش.

٤ً- يؤخذ أخيراً على الكاتب ما يَطْلُبه في الغالب من ممثليه كطاعةٍ مجحفة بمواهبهم، مع مطالبته بأن يكون دوماً في المصاف الأول. فرغب في كتابة مسرحية غير مقروءة. ومثلما دُعِيَتْ مسرحيّته «روميو» فرصة للاخراج، تصلح هذه لأن

تكون فرصةً لممثلة. فالعمل سيتوارى وراء تمثيلها، لأنّ الدراما ستعطيها الفرصة لتأدية دورين اثنين، الأول حين تتكلم، والثاني حين تصغي، فتحدّد ملامح الشخص غير المرئيّ الذي يعبرِّ من خلال فترات الصمت عن نفسه.

ملاحظة- يخطيء من يعتقد أنّ الكاتب يبحث عن حلٍّ معضلةٍ نفسيةٍ ما. إذ أنّ همّه مقتصرٌ على حلّ مسائل ذات طبيعة مسرحيّة. فالداء الذي ينبغي أن نتصدّى له كامن في المزج بين المسرح والوعظ والخطابة والكتاب. والمسرح النقي سيغدو شعاراً عصرياً، ما لم يكن قولنا المسرح النقيّ والشعر النقيّ لغواً ليس إلاّ، ذلك أنّ الشعر النقيّ يعني: الشعر، والمسرح النقيّ يعني: المسرح. وكلّ ما خلا ذلك باطل.

يضيف الكاتب أنّه أعطى هذا الفصل المسرحي الى «الكوميدي فرانسيز» ليقطع الطريق على أسوأ أشكال التعصّب: المسرح الشاب في مواجهة المسرحيات الرسميّة. فحين أفسح مسرح الجادات[1] المكان للفن السينمائي وحين احتلّ مايدعى بالمسرح الطليعي موقع مسرح الجادات بصورة تدريجيّة، لم يبق إلاّ الإطار الرسمي، الإطار الذهبي، هو

١ - مسرحيات شعبية وهزليّة كانت تُعْرض في الجادات. (م)

الوحيد القادر على إبراز عمل ليست جِدَّته واضحة كعين الشمس.

إن جمهور الجادّة الجديد يتوقّع كلّ شيء. فهو متلهّف للأحاسيس. ولا يقيم تقديراً لأيّ شيء. أمّا «الكوميدي فرانسيز» فما يزال لديه جمهور متلهّف للعواطف. وبينما تتوارى شخصية الكُتّاب لصالح مسرح مجهول، فإنّ «عرضاً للكوميدي فرانسيز» كفيل بإعطاء المؤلّفات، ما تتمتع به من تميّزٍ وبعْدٍ، حين يكفّ واقع الحال عن تشويهها.

الديكور

خشبة المسرح مصغّرة محاطة بإطار أحمر من الستائر المدهونة، يمثل زاوية غير متساوية من حجرة امرأة. الحجرة معتمة ضاربة إلى الزرقة، فيها على اليسار سرير بحالة فوضى وعلى اليمين باب مشقوق يؤدّي الى غرفة حمّام بيضاء مضاءة جداً. امّا في الوسط، فوق القاطع، فنشاهد صورة فوتوغرافية مكبّرة لاحدى الروائع الفنيّة بوضع مائل أو صورة عاذلية. أي باختصار صورة ذات مظهر غير متألّق.

يقوم أمام حفرة الملقّن، كرسي واطيء ومنضدة صغيرة: جهاز هاتف وكتب ومصباح يعكس نوراً عنيفاً.

ترتفع الستارة عن حجرة جريمة قتل. اذ تشاهد امرأة بقميص نوم طويل مستلقية على الارض أمام السرير كقتيلة. فترة من الصمت. تجلس المرأة فتغيّر وضعها ثم تظل ساكنة أيضاً. أخيراً تتخذ قرارها فتنهض لتأخذ معطفاً من على السرير وتتوجّه صوب الباب بعد توقّف قصير أمام جهاز الهاتف. ما إن تلمس الباب حتى يرنّ جرس الهاتف. فترخي المعطف

وتنطلق. يعيق المعطف حركتها فتزيحه بركلة قدم وترفع السمّاعة.

بدءاً من هذه الدقيقة، سوف تتكلّم وهي واقفة أو قاعدة، مديرة ظهرها ثم وجهها أو بشكل جانبي، وقد تجثو وراء مسند الكنبة فلا يظهر منها غير رأسها، وتتكيء على المسند وتظلّ تجوب أرجاء الحجرة وهي تجرّ السلك وراءها حتى النهاية حيث تهوي مواجهة على السرير. عندئذ يتدلى رأسها وترمي السماعة من يدها كالحجر.

ينبغي لكلّ وضع من الأوضاع التي تتخذها أن يتلاءم ومرحلة بعينها من مراحل المونولوج- الحوار (مرحلة الحديث على الكلب- مرحلة الكذبة- مرحلة المشتركة بالهاتف، الخ.) أما التوتّر العصبي فلا يتمثّل بالاستعجال وإنّما بتلك المنظومة من الأوضاع التي على كلّ وضع منها أن يجسّد قمّة الضيق.

مئزر، سقف، باب، كنبة، أغطية ملابس، عاكسات نور بيضاء. ينبغي ايجاد طريقة إنارة لحفرة الملقّن تشكّل ظلا عالياً وراء المرأة الجالسة، وتبرز إضاءة العاكس.

بما ان أسلوب هذا الفصل المسرحي يستبعد كل ما هو شبيه بالحوار السريع والكلام ببراعة. فإنّ الكاتب يوصي الممثلة التي

ستؤدي الدور بدون إشرافه، أن لا تُضَمِّن كلامها أيّة لهجة تهكُّم تصدر عن امرأة مهانة ولا أيّة مرارة. فالشخصية ضحيّة بَيْنَ بَيْن، وهي عاشقة من البداية حتى النهاية. ولم تحاول غير مكيدة واحدة: أن تمدّ يد المساعدة للرجل كي يعترف بكذبته وأن لا يخلّف في نفسها تلك الذكرى الدّون. ويتمنّى على الممثلة أن تعطي الانطباع أنّها تنزف، أنّ دمها يسيل غزيراً، مثل وحش مصاب وكأنها تنهي الفصل في حجرة لطّخها الدم.

يرجى التقيّد بالنص، لأنّ الأخطاء النحوية والعبارات المكرّرة وسياق الجمل الأدبية، والعبارات المُسفَّة، ناجمة كلّها عن تقدير فَطِن.

ملاحظة: لن يغرب عن بال القارىء الفطن أن الحديث على الهاتف يجري في مدينة باريس قبيل عام ١٩٣٠ -المترجم-

ألـــو، ألـــو، ألـــو. . . . .
ولكن لا، يا مـــدام، عـــددنا كـــبـيــر على الخط،
أغـــلـــقـــي. . . . . ألـــو. . . . .
أنـــت مِشْتَرِكـــــــــة. . . . . . . آه! . . . .
ألـو! . . . . لـكن يا مـــــدام،
أنـــت أغـــلـــقـــي الخـــط . . . . ألـــو،
يا آنســــة، ألـو. . . . . . . دعـــينا. . . . . .
كـــلا، هنا ليس الدكـــتـــور شـــمـــيت. . . . .
صفر ثمانية، وليس صفر سبعة. . . . . ألو. . . . .
هذه مـــهـــزلة. . . . . لقـــد طلبـــوني، لست
أدري. (تُغْلق الخط ويدها على الســـمـــاعـــة.
جـــرس الهـــاتف يرنّ). . . ألو! . . لكن، يا مـــدام
ماذا تريدين منّي أن أعمل؟ . . . إنّك تسبّبين لي إزعاجاً
شـــديداً. . . . كـــيـــف، غـلـطـتـي. . .
لا البـــتّة. . . لا البـــتّة. . . ألـو! . . . ألـو،
يا آنسة. . . إنّهم يطلبونني ولاأستطيع أن أتكلّـم. علـى
الخـط أنـــاس كُثُر. قولـــي لتلـك السيـــدة أن تخـرج
عـــن الخـــط (تغـــلق الخـــط. جـرس الهـاتف يرنّ.)
ألـــو! هـــذا أنـــت؟ . . هـــذا أنـــت؟ . . .

نعم. . . أســمــعكَ على نحــو سيء جــداً. . . أنتَ بعــيــد جــداً، بعــيــد جــداً. . . . ألو. . . . هذا رهيب. . . . . . . هـناك عــــدة أشـــخـــاص على الخط. . . أطلب ثانيـة. ألو! أ. ط. لـ.ـب ثا. نيـة أقــول: اطلبني ثانيــة. . . . ولكن، يا مــدام، اخــرجي عن الخط. أكــرّر لك القــول لست أنا الدكــتــور شـــمـــيــت. . . . . ألـو!. . .

(تغلق الخط. جرس الهاتف يرنّ).

آه! أخـــيـــراً. . . . هـذا أنـتَ. . . .

نـعم. . . حـسـن جـــداً. . . . ألـو!. . . . .

أجل. . . كـــان أمـــر ســمــاعك بين كل هؤلاء الناس عـذاباً حـقـيـقـيـاً. . . أجل. . . . أجل. . . .

. . . .

كــلا. . . . إنّهــا مــســألة حظ. . . رجــعـت قــبل عــشــر دقــائق. . . . . لم تكن قــد طلبــتني بعـــد؟. . . . آه!. . . . كـــلا، كـــلا. . . .

. . . تناولت العـشـاء خـارجـاً. . . . . . عند مـارت

. . . . . لابد أنّهــا الحــادية عـــشـــرة والربع. . .

أنت في البـيت؟. . . إذن انظر الى ســاعــة الحــائط

الكهـربائيـة . . . هذا مـا كنت أحسبـه . . . . . .
نعم . نعم ، حبيبي . . . . البارحة مساء؟ البارحة
مساء رقدتُ على الفور ، ولمّا لم
استطع أن أنام ، تناولتُ قرصاً
. . . . كلا . . . واحداً . . . في الساعة التاسعة
. . . . كان بي صداع خفيف إلا أنّي
تحركت . جاءت مارت . تناولتِ الغداء معي .
اشتريت بعض الحاجات . عدت الى البيت .
وضعت الرسائل كلّها في المحفظة الصفراء .
أنا . . . ماذا؟ . . . . قويّة جداً . . . .
أقسم لك . . . . أنا على جانب كبير ، كبير من
الشجاعة . . . . بعدئذ؟ بعدئذ ارتديت
ملابسي ، وجاءت مارت لتصحبني وهذا . . .
أنا قادمة من عندها . كانت على خير ما ينبغي . . .
جداً ، طيّبة جداً ، رائعة . . . . يبدو هذا ،
لكنّها ليست كذلك . كنتَ على حق ، مثلما أنت
دوما . . . .
ثوبي الوردي ، مع الفِراء . . . . .
قبّعتي السوداء . . . . . . أجل ، مازالت

قــبعّـــتي على رأسي . . . . . كــلا ، كــلا ، لا أدخّن .
لـم أدخّن إلاّ ثـلاث ســـــــجـــــائـر . . . . بلـى ،
هذا صـــحـــيح . . . . بلى ، بلى . . . . أنت لطيف . . .
وأنت ، عـــــدت لتـــوك؟ . . . . . لبـــــثت في
الـبــــــــيت . . . . أيّة دعـــــــوى؟ . . . .
آه! أجل . . . . لا يـنبــــغي أن تتــــعب نفـــسك
. . . . . . ألـو! ألـو! لا تـقـطـعــــــوا الخط . ألـو! . .
. . . . ألـو! حــــبـــيـــــبي . . . . ألـو . . . .
اذا قطعـــوا الخط ، اطلبني ثانيـــة على الفـــور . . .
. . . . بشكل طبـــيـــعي . . . ألـو! كـــلا . . . .
أنـا هـنـا . . . المحـــــــفظـة؟ . . . رســــــائـلـك
ورســـــائلي . بوســـعك أن تبـــعث بمن يأخــــذها
حـــينمـــا تشــاء . . . . . شيء من القـــســوة . . . . أنا
أدرك . . . إيه! حـــبـــيــــبي ، لا تعــــتـــذر ،
هـذا طبـــيـــعي جـــداً إنما أنا غـــبــيـــة . . . . .
. . . .
. . . . أنـــــت لـــــطـــــيـــــف . . . .
. . . . أنـــت لـــطـــيـــف . . . . وأنـــــا
أيضـــا لـم أكـن أحـــســبني بهـــذه القـــوة . . . . . لا

ينبـــغي أن تطريني. أتحـــرك قليـــلاً مـــثل من يمشي في نومـــه. أرتدى مـــلابسي، أخـــرج، أعـــود بصـــورة آليـــة. قـــد أكـــون غـــداً أقلّ شـــجـــاعـــة.

. . . .

. . . . . أنــت؟ . . . . . كـــــــــــــلا.

. . . . . لكن، يا حـــبـــيـــبي، ليس لـدي أدنى لـوم حـــيـــــالـك. . . . أنـا. . . . . أنـا

. . . . . دَعْ. . . . . . .

كـــيف؟ . . . . طبـــيـــعي جـــداً. . . . .

. . . . . على النقـــيض. . . . كـــان. . . . . .

. . . . كـــان من المسلّم به دومـــاً أن نتـــصـــرّف بصـــدق. وإنّهـــا في نظري لجـريمة لو تركـتني، من غـيـر أن تعـرف شيـئـاً حتى الدقـيـقـة الأخـيـرة. فـالضـربة عندئذ ســتكون فـــائقــة العنف، أمـــا هكـذا فـــقـــد تـوفّر لـديّ الـوقـت كي أتـعـــــوّد، وأفـــــهـم. . .

. . . . . أيّة مـــســـرحـــيـــة؟ . . . . ألـو!

. . . . . من؟ . . . أن أؤدي حـيـالـك مـسـرحـيـة، أنـــا! . . . . . أنـت تـعـــــــــرفـني، أنـا لا أقـــوى على إجـــهـــاد نفـــسي. . . . كـــلا

علـى الاطـلاق. . . كـــــلا علـى الاطـلاق. . . . هادىء جـــداً. . . كنتَ سـمـعــتَه. . . . . . أقـول: كنت سـمـعـتـه. ليس صـوتي صـوتَ مـن تـخـــفـي شــــيـــئــــا. . . . . كـــلا. قـــرّرتُ أن أصـيـــر شُجـاعــةً وســوف أكـــون ذلـك. . . إســـمـح. . لـم يكـن الأمــر مـمــاثــلاً. . . هـــذا مـمـكـــن، لـــكـــن مـهـمـا خـامـرنا الشك وتَحَسّبْنا للمـصـيـبـة، انتـهى بنا الأمــر دومـــاً الى الوقـــوع على قـــفـــانا. . لا تـبــــالـغ. . . لـقــــد تـوفّر لـي الـوقـت مع ذلـك لأن أتعـــوّد. وكـنتَ حـــريـصـــاً علـيّ فـــــدلّلتـنـي ونـومّــــتـنـي. . . . كـان حـبّنا يوالي تقدّمـه مـجـابهـاً مـصـاعـب لا تحـصى. كـــان عليّ أن أقـــاوم. إمّا أن أرفض خـــمـــســة أعـــوام من الســعـــادة. أو أقـــبـل بالمخـــاطـر. لـم أحـــسب قط أنّ مـتـــاعـب الحـيـــاة ســتـســوّى. إنّني أســدّد غـــالـيـــاً، فــرحـــاً لا يُقَدَّر بثـــمـن. . . . . . ألـو. . . . لا يـقـــدّر بثـــمـن. ولـسـت نـادمــــة. . . . لـسـت. . . لـسـت نـادمــــة علـى

شـيء الـبـــــتـــــة- الـبــــتـــــة. . . . .

. . . .

أنــت. . . . . أنـت مـــــــــــــــخــطــىء

. . . . أنــــت. . . . أنـــــت. . . . أنـــت

مـــــــــــــــخـطـيء. أنــا. . . . . . ألـــو! . . . .

. . . أنا نلت ما أستـحـقه. رغـبت في أن أكـون مـجنونة

وأن أنـال ســعـــادة جنونيـــة. . . . . حـــبـيـــبي

. . . . إســـــــــــمـــع. . . . ألـــو! . . . .

. . . . . حــــبــيـــبي. . . . دعـني. . . .

. . . ألـــو. . . . دعـــنـــي أتــكـــلـــم. لا تــتّـهـــم

نفـــسك. الخطأ كـلّه خطئي أنا. بلـى، بلى. . . .

تذكّر يوم الأحـــد في فـــرســـاي والزورق المطاطي

. . . . . آه! . . . . . إذن! . . . .

. . . أنا التي رغـــبت في المجيء، وأنا التي وضـــعت

يدي على فـمك لأمنعك من الكلام، وأنا التي قلت لك إنني

لا أقـيم للأشـيـــاء كلّهـا وزنا. . . . لا. . . . لا

. . . . لا. . . . أنـت هنـا غــــيـــر مُحِق. . .

. . . . . أنـا. . . . . . هـتــــــــفـت فـي

البـــداية . . . . كـــلا ، الثـــلاثاء . . . .
يـوم ثـلاثـاء . . . . إنـني واثـقـــــة مـن ذلـك . يـوم
ثلاثاء في ٢٧ . وصلت برقيتك مساء الاثنين في ٢٦ . هلاّ
تذكّرتِ إنّني أحـفظ التـواريخ عن ظهـر قلب . . . .
. . . . . . أمّك؟ لمـــــــــــاذا . . . . .
ليس في واقع الأمــر مــا يســتــدعي ذلك . . . لا
أعـــــرف بعــــد . . . . نـعـم . . . . . . ربما
. . . . آه! كـــلا ، ليس على الفــور بكل تأكـيــد ،
وأنـــت؟ . . . . . غـــــــــــداً . . . . لــم
أكن أحـسب أنّ المســألة بهــذه الســرعــة . . . . إذن
انتظر . . . . الأمــر بســيط جــداً . . . غــداً
صــبــاحــاً أضع المحـفظة لدى حـارسـة المبنى . لن
يبـقى على جـوزيف الاّ المرور لأخـذها . . . آه! أنا ،
أنت تعــرف أنّ بوسـعي أن ألبث هنا ، كـمـا بوسـعي
أن أتوجّه لقـــضـــاء بضـــعـــة أيام في الـريف
عـــنـــد مــــــــــــــارت . . . . .

. . . .

إنّه هنا . مَثَلُه كـمــثلِ روحٍ مـعــذَّبة في النار . أمـضى
الوقت يوم أمس مـتنقّلاً مـا بين البــهــو والحــجــرة .

كان ينظر إليّ، وينْصب أذنيه ويصيغ السمع. كان يبحث عنك في كل مكان. ويبدو كأنّه يلومني على بقائي جالسة وعدم مشاركتي إيّاه في البحث

. . . .

. . . . أرى الحلّ الأمثل في أن تأخذه أنت. . . . لابدّ أن يكون هذا الحيوان شقيّاً. . . إيه! أنا!. . . .

ليس هذا بكلب امرأة. ولن أجيد العناية به. ولن أصطحبه وأخرج. الأفضل أن يظل معك. . . . قد ينساني بسرعة. . . سوف نرى. . . . .

. . . . سوف نرى. . . . ليس الأمر معقّداً جداً. يبقى عليك أن تقول إنّه كلب أحد أصدقائك. إنّه يحب جوزيف كثيراً. يمكن أن يأتي جوزيف ليأخذه. . . سيضع في عنقه الطوق الأحمر. ليس له صفيحة. . . .

. . . سوف نرى. . . أجل. . .

. . . نعم، يا حبيبي. . . . فهمت. . . .

. . . . بلى، يا حبيبي . . . . أيّة قفّازات؟ . . . قفّازاتك المبطّنة بالفرو، القفّازات التي كنت تلبسها لتقود السيارة؟ . . . . لست أدري . لم أرَ شيئاً . هذا ممكن . سأرى . . . . . تنتظر . لا تدعهم يقطعون الخط .

(تتناول من وراء المصباح، على المنضدة، قفّازات جلديّة مبطّنة بالفرو فتقبّلها بشغف . تستأنف الكلام والقفازات مطبقة على خدّها)

ألو . . . . ألو . . . . كلا . . . . بحثتُ فوق الصوان، فوق الكنبة، وفي البهو، في كل مكان، لم أعثر عليها . . . . . . إسمع . . . . . سأرى أيضاً، لكنّني متأكّدة . . . . إذا ما تمّ العثور عليها غدا صباحاً، فسوف أضعها في الأسفل مع المحفظة . . . . حبيبي؟ . . . . الرسائل . . . . أجل . . . . سوف تحرقها . . . . . . سأتوجّه إليك بطلب مبتذل . . . .كلا، انتبه، أريد أن أقول، بودّي

إذا ما حرقتها، أن تحتفظ بالرماد داخل علبة الصَّدَف الصغيرة التي أعطيتك إياها من أجل السجائر، وأن. . . . ألو! . . . .
. . . . كلا. . . . أنا غبيّة. . . .
سامحني. كنت قويّة جداً. (تجهش بالبكاء). . .

. . . .

. . هاك، انتهى. انا أمسح أنفي. سأسعد في النهاية بالحصول على ذلك الرماد. هذا كل شيء. . .
كم أنت طيّب! . . . آه!
(تقول الممثلة المقطع التالي، بين الأقواس، باللغة الأجنبية التي تجيدها أكثر.)
«فيما يتعلّق بأوراق أختك، أحرقت كلّ شيء في فرن المطبخ. خطر على بالي أولاً أن أرفع الرسم الذي حدّثتني عنه، لكن بما أنّك قلت لي أن أحرق كلّ شيء فقد أحرقت كل شيء. . . . آه! طيّب
. . . . طيّب. . . . نعم». .
. . . (بالفرنسية) صحيح إنّك ترتدي المِبْذَل
. . . . . . أنت راقد؟. . . . . .

. . لا ينبـغي أن تعـمـل حـتى هذه السـاعـة المتـأخـرة ، عليك أن تنام اذا كنت ستنهض باكـراً صـباح غـد . ألو !
. . . ألـــو! . . . . وهـــكـــذا؟ . . .
. . . . لكني اتكلّم بصــوت عـــالٍ جــداً . . .
. . وهكذا ، تســمــعني؟ . . أقـــول :
، هكذا ، تســمــعني؟ . . . . هذا مــضــحك
لأنّني أســمــعك أنا وكــانّك هنا في الحــجــرة
. . . . ألــــــــو !
ألـــو! . . . . . هــيّا ، لابـــأس ، أنـــا
الآن لا أســمــعك . . . . بلى . لكن
بعــيد جداً ، بعيد جـداً . . . . أنت تسـمـعني . كل
واحــد بدوره . . . . كــلا ، لا تقلق
الخــط ! . . . . ألـــو ! . . . أنــا اتــكـلــم ،
يـا آنســة ، أتـكـلم ! . . . آه ! أســمــعك ،
أســمـعك بشكل جـيّد جـداً . أجل ، كــان مـزعـجـاً .
يشـعـر المرء أنّه مـيت . يسـمع ولا يسـتطيع جـعل
صـوته مسـمـوعـاً . . . . كـلا ، جـيـد جـداً ، جـداً .
بل إنّه لأمـر عـجيب أن يَدَعـونا نتكلّم طول هذا الوقت .
فـقـد جـرت العـادة أن يقطعـوا الخط في غـضـون ثلاث

دقـــائق ثم يعطونك رقـــمـــاً مـــغلوطاً. . . .

بلى، بلى. . . . . . . بل أنا أســمع على نحـــو أفـضل من قـبل، لكنّ جـهـاز هاتفك له طنين، وكـأنّه ليس جهازك. . . . . أنا أراك، كما تعلم. (يطلب منها أن تـخــــمّن). . . . أيّ وشـــــاح. . . الوشاح الاحمر. . . آه!. . . . . . مائل نحو اليسار. . أكـــمـــنامك مـــشـــمـــورة. . . . يدك اليـــسرى؟ الســمــاعـة. يدك اليـمنى؟ قلم الحـبـر. أنت ترسم على ورقــة مـسـوّدة، وجـوهاً جـانبـيـة وقلوباً وأنجـمــاً. أنت تضـحك. أنا لي عـينان في مــوضع الأذنين. . . . (تقـــوم بحـــركـــة آليّة لإخـــفـــاء وجـــهـــها). . . . . إيه! كـــلا يا حـــبـــيـــبي، إيّاك أن تنظر إليّ. . .

. . . خــوف؟. . . كـــلا، لن أشـعـــر بالخـــوف . . . الحـــال أســـوأ. . . تبــقـى المســـألة أنني لم أعــد مــتـعـــوّدة على النوم بمفـــردي. . . . . أجـــــــل. . . . أجـــــــل. .

. . أجـــل . . . نـــعـــم، نـــعـــم . . . أنـــا
أعـــــدك . . . . أنـا، أنا . . أنا أعـــــدك . . .
. . . . أنـــا أعـــــــــــــــدك . . .
. . . .
. . . . أنـــت لـــطـــيـــف . . .
لست أدري أتحــاشى النظر إلى نفــسي . لم أعـــد
أجرؤ أن أضيء المصباح في مقصورة الهندام . بالأمس
وَجَدَتْنُي وجـــهـــا لوجـــه مع سـيّدة مـسنّة . . .
. . . . كـــلا، كـــلا! سـيّدة مـسنّة هزيلة ذات
شعر أبيض ووجه فيه عدد لا يحصى من التجاعيد .
. . . . أنـــت طـيّب جـــــــــــــداً!
لكن، يا حـبـيـبي، الوجـــه المدهش أسـوأ من كل
مـــا عـــداه . إنّه للفنانين . . . . .
كنت اســـتـــمع بكلامك حين تقـــول : ألا
انظري إلى تلك الطلعة الصغيرة الدميمة! . . .
. . . . أجل، يا سـيـــدي العـــزيز! . كنت
أمـــــزح . . . . أنـت غـــــبي . . . .
. . . مـن حــــــــــسن الـطـالـع
أنّك أخـــرق وأنّك تحـــبني . لو لم تكن تحـــبنّي

وكنتَ حــاذقــاً، لتــحــوّل الهــاتف الى ســلاح مــــخــيف. ســـلاح لا يخلّف من أثر ولا يُحـــدث من ضـــجـــيج. . . أنا، شـــريرة؟ . . . . ألو! . . . ألو! ألو! . . . . ألو، حبيبي. . . أيــــــن أنــــــت؟. . . ألـــــــو، ألـو ألـو، يـا آنســـة. (ترنّ الجـــرس) ألـو! يـا آنسـة. قطعـوا الخط. (تضع السمـاعـة. فـترة صـمت. ترفع الســمــاعــة.) ألـو! (ترنّ الجـرس) ألو! ألـو! (ترن الجرس) ألو، يا آنسة. (ترن الجرس. جرس الهاتف يرن) ألو، هـذا أنـت؟. . . . ولـكـن لا، يـا آنـســـــة. قـطعــــوا عليّ الخـط. . . . لا أعـــرف. . . . . . . أي أنّه. . . إذا. . . . انـــتـــظـــري . . . . «أوتـوي» ١٤ فـــاصلـة ٠٨ ألـو!. . . . . الخط مـــشـــغـــول؟. . . . . ألـو، يا آنســـة، يطلبني من جـــديد. . . . . طيب. (تضع السماعة. جرس الهاتف يرن) ألو! ألـو! ٠٤، فـــاصلة ٧ «أوتـوي». (تنتظر) ألـو! «أوتـوي» ٤٠ فـــاصلة ٧؟ آه نعم. هـذا أنت يا جــوزيف. . . . . السـيّدة تتكلّم. . . . قطعـوا علينا الخط مع

مع السيّد... ليس هنا؟...
نعم... نعم... لا يعود هذا
المساء... صحيح إنني غبيّة!
كان السيد يتحدّث إليّ من أحد المطاعم، وقطعوا
الخط، فطلبت رقمه ثانية....
... المعذرة، يا جوزيف.. شكراً...
(تغلق الخط ويبدو عليها شيء من الألم. جرس الهاتف يرن)
ألو! آه! حبيبي! هذا أنت؟......
قطعوا الخط.... كلا. كلا.
لبثت انتظر. رنّ الجرس، رفعت السّماعة فلم ألق
أحداً.... دون شك....
بكل تأكيد.... انت تشعر بالنعاس...
بالطيبتك حين هتفت لي... طيّب جداً
(تجهش بالبكاء).... (فترة صمت)....
كلا، أنا هنا.... ماذا؟....
.... اسمح.... هذا
غباء..... لاشيء، لاشيء.....
لست أشكو من شيء.....
...... أقسم لك

إنــــي لا أشـــكــو مـــن شـــيء. . . . . الــشـــيء ذاتـــه. . . . . لا شـــيء الـبـــــــــــتّة. أنـــت مـــــــخطيء. . . . . مـــــــثلمـــــا كــــــان قـــــبل قليـل. . . . . . إنّمـــــا نحـن، كـمـا تعلم، نتـحـدّث ونتـحـدث من غـيـر أن نفكّر بأنّ علينا أخـــيـــراً أن نسكت ونغلق الخط، فنســـقط من جـديد في الفـراغ والعـتـمـة. . . . عندئذ. . . (تجـهش بالبكاء). أصغ إليّ، يا حبيببي. أنا لم أكذب عليك قط. . . . . . أجـل، أعــــــــرف، أعــــــــرف، أنـا أصــدّقُك وإنني مــقـتنعــة بذلك. . . . كــلا، ليس لـذاك. . . . . إنّمـــــا لأنـني كـــــذبت عـلـيك لـلتـــــوّ. . . . . . . مـــــبـــــاشـــــرة . . . . . . هـــــــــــــنـــــــا. . . . . .

على الـهــاتف، منذ ربع ســاعـــة وأنا اكــذب. أعــرف تمام المعـــرفـــة أنّه لـم تعـــد أمـــامي أيّة فـــائدة ترتجى من الانتظـار، لكنّ الكـذب لا يؤدي من فــــائدة. ناهيك بأنّي لا أمـيل إلى الكـذب، ولا أقــدر ولا أريد أن اكــذب عـليك حـــتى في ســبـــيل نفـــعـك. . . . . إيه! ليس الأمـر بخطيـر، يا حـبـيـبي، فـلا تجـزع. . . .

كلّ المسألة أنّني كذبت عليك وأنا أصف لك ثوبي .
وحين قلت لك إنني تعشّيت عند مارت . . . . .
لم أتعشّ ولست في ثوبي الوردي . إنّي أضع
معطفاً قميصي لأنّي لشدة ما انتظرتك على
الهاتف ، ولكثرة ما حدّقتُ في الجهاز ، ولفرط ما
قعدت وقمت ومشيت في الحجرة طولاً وعرضاً
أصابني الجنون ، الجنون! عندئذ ارتديت معطفاً
وهممت بالخروج لاستأجر تكسي وأتوجّه للمرور
أمام نوافذ بيتك حتى أنتظر . . . .
. . . . . . طيّب! أنتظر ،
لست أدري ماذا أنتظر . . . . . .
. . . . . . أنت على حق . . . . .

. . . .

. . . . بلى . . . بلى ، أنا مصغية اليك . . .
. . . سأكون عاقلة . . . أنا مصغية إليك . . . سوف
أستجيب لكلّ شيء ، أقسم لك . . . .
. . . . . هنا . . . . . لم
أتناول شيئاً . . . . . ما كان
بوسعي . . . كنت متعبة جداً . . . .

. . . . رغبت، مساء أمس، في تناول قرصٍ كي أنام، وقلت في نفسي إذا ما تناولت أكثر فسوف أنام على نحو أفضل وإنّي إذا ما أخذتها كلّها، فسوف أنام من غير أن أحلم ومن غير أن أستيقظ لأني سأموت (تجهش بالبكاء). . . . . .

. . . . . ابتلعت اثني عشر قرصاً. . . .

. . . . في مساء حار. . . . .

. . . . . مثل كتلة. وشاهدت حلماً. حلمت بما هو واقع. واستيقظت مجفلة وانا مغتبطة لأنّه كان حُلُما، وحين عرفت أنّه كان حقيقة وأني كنت وحيدة وأن رأسي لا يتكئ على عنقك أو يستند الى كتفك وأنّ ساقيّ لا تلتفّان بساقيك، أحسست أنّه لم يعد بوسعي، لم يعد بوسعي أن أعيش. . . .

. . . .

. . . . خفيفة، خفيفة وباردة ولم أعد أشعر بقلبي وهو يخفق وتباطأ الموت في قدومه. أمّا وقد اجتاحني ألم نفسي مبرّح فقد طلبت مارت على الهاتف في غضون ساعة. . . .

. لم تتوفّر لديّ الشجاعة لأن أموت
وحيدة . . . . . .
. . . حبيبي . . . . . .
حبيبي . . . . . كانت الساعة الرابعة صباحاً
وَصَلَتْ بصحبة الطبيب الذي يقطن مبناها .
كانت حرارتي أكثر من أربعين . يبدو أنّه
من الصعب جداً أن يسمّم المرء نفسه ، ويبدو
أنّه يخطىء دوماً في مقدار الجرعة . كتب الطبيب وصفة
ولبثت مارت بقربي حتى المساء . لقد
رجوتها أن تنصرف لأنّك قلت إنّك
ستهتف مرة أخيرة وداخلني الخوف
من أن تمنعني من الكلام . . . . حسن جداً ،
جداً . . . . على الاطلاق . . . بلى ، هذا
صحيح . . . . شيء من الحمّى . . . .
٣٨,٣ْ . . . . كان ذلك مثيراً للأعصاب . . .

. . . .

. . . لا تقلق . . . . .
. . . . . . كم أنا خرقاء ! لقد آليتُ
على نفسي ألاّ أجعلك تقلق بسببي ، وأن أدعك

تنطلق مطمــــئناً، وأن أقـــول لك الى اللقـــاء
وكـــأنّنا ســـوف نلتـــقي غـــداً. . . . . .
. . . نتصرّف بغبـاء. . . بلى، بلى، غبـاء! . . .

. . . .

. . . . . المســألة الشــاقّة تتــمــثّل في إغــلاق الخط
والـغرَق فـي الـظـلام. . . . . (تـنـتـــــــحـب)
. . . . ألـــــو! . . . . ظــــنــــنــــت
أنّهـم قـطـعــــــــــوا الخـط. . . . .
أنت طيّب، يا حـــبـــيــــبــي. . . . . يا
حـــبـــيـــبي الطيّب لَكَمْ أســـأتُ إليك. . . .
. . . . . نـــعـــم، تـــكـــلّم، تـــكــلّم، قـــل
مــــــــــا بــدا لــك. . . كـنـت أتـــألّم
حـــتى التّلَوّي على الأرض وحـــســـبي أن تتكلّم
لأشـــعـــر أنّني بخـــيـــر، وأغـــمض عـــينيّ. أتدري
أنّني أحـــيـــانـا، حين نكون راقـــدَيْن وأضع
رأسي في موقعه الصغير المعهود وأذُني ملتصقةٌ
بصـــدرك وأنت تتـــحـــدث، كنت أســـمع صـــوتك،
على نحو ما أسمعه تماماً هذا المساء عبر الجهاز. . .
. . . . مـــتـــنـخـــاذل؟ . . . . إنّمـــا أنـا

المتـــخـــاذلة . لقــد آليت على نفـــسي . . . . .
أنــا . . . . علـى ســــبـــيــل المثـــــال! أنـت
الـــــذي . . . أنـــت . . . . أنـــت الـــذي
لـم تـهـــــبـني قـط إلاّ الســــعـــــادة . . . .
. . . . ولكن، يا حـــبـــيـــبي، أكـــررّ القـــول،
فـهـذا ليس دقـيـقـاً . بما أنّني كنت أعـرف- كنت أعـرف-
كنت أنتظر مـا قـد حـصل . هذا في حين أنّ العـديد
من النسـاء يتـوهّمن تمضـيـة حـيـاتهن بجـانب الرجل
الذي أحـــبـبنه ويعـلمن بالقـطيـــعـــة من غـــيـــر
اســـتـــعـــدادات- كـنـت أعـــرف- . . . . .
. . . . بـل إنـنـي لـم أقـل لـك الـبـــــتّة،
لكن تذكّر، عند الخيّـاطة، لقــد شـاهدتُ صــورتهـا
في إحــدى المجــلات . . . . فـــوق الطـاولـة،
مـفـتـوحـة حتى أقـصـاها على الصـفـحة المطلوبة . . . .
. . . . إنّه إنســـاني أو بـالأحـــرى أُنـثـــوي
. . . . . لأنـــنـــي لـــم أشــــــــــأ أن
أفـــســـد أســـابيـــعنا الأخـــيـــرة . . . . كـــلا .
طـبـــيـــعي تمامـــاً . . . . . لا تجـــعلني أفـــضل
ممـا أنـا عـلـى واقـع حـــــالـي . . . . .

. . . . ألـو! أسـمـعُ موسـيـقى. . . قلت: أسـمعُ موسـيـقى. . . . . .

. . . . لابأس: عليك أن تخبط على الجدار وتمنع هؤلاء الجيران من العبث بالحاكي في مثل هذه الأوقات. لقد تعوّدوا عادات سيّئة، لأنّك لم تكن تقيم في بيتك قط. . . . . . .

. . . . هذا ليس ضرورياً. إنّ طبيب مارت سيعود غداً على كل حال. . . . .

. . . . كلا، يا حبيبي. إنّه طبيب ممتاز جداً، وليس هناك ما يدعوني لأن أجرح شعوره باستدعاء طبيب آخر. . . . .

. . . . لا تقلق. . . . .

بالتأكيد. . . . بالتأكيد. . . . .

. . . ستزوّدك هي بالأخبار. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . فـــــهـــــــمت. . . . . أنــا فـــهـــمت. . . . على كل حـــال، أنا في هذه المرّة شـــجـــاعـــة، شـــجـــاعـــة جـــداً. . . . . .

. . . . . . مـــــــــاذا؟. . . . إيـه! بـلــى، أفْضَلُ بمئـــة مـــرة. لولا أنّك هتـــفتَ لي لفــارقتُ الحـــــيـــــاة. . . . كـــــلا. . . . . .

تمـــــــــهَّلْ. . . . تمـــــــــهّلْ. . . . .

هيّا نبــحث عن وســيلة. . . . (تقطع الحــجــرة طولاً وعـــرضـــا وعـــذابهـــا ينتـــزع منهـــا تأوّهات)

. . . . . . ســــامـــــحــنـي. أنــا أعـرف أنّ هذه المشـاحنة غيـر مـقبـولة وأنك تـتـجـمّل بالـصــبــر. لكن افــهــمني، أنا أتألمّ، أنا أتألـمّ. وهـذا الـسـلـك هـو الأخــــيــــر الـذي لايـزال يـربـطـني بـنـا مــــعـــــاً. . . . . .

. . . . مــســاء أول أمس؟ نمت. لقــد رقــدت مع جـــهـــاز الـهـــاتف. . . . .

. . . كــــلا، كـــــلا. في ســــريـري. . . أجل. أعـــرف. إنّني مـــثـيـــرة للســـخـرية، إلا أنّي

وضعت جهاز الهاتف في سريري، لأن الهاتف، رغم كل شيء، أداة وصلٍ بالنسبة لنا. فهو يصل الى عندك بالاضافة الى الوعد الذي حصلتُ عليه بأنّك ستهتف لي.

تخيّل إذن كيف احتمل في ذهني حشداً من الأحلام الصغيرة. ومخابرتك[1] هذه أضحت طعنةً[1] حقيقية تسدّدها إليّ فأهوي، أو أنّها تغدو عنُقاً[1]، عنقاً يُحكِمُ حولهُ الخناق. أو أنّني أجد نفسي في لجّة بحر شبيه بالمسكن القائم في «أوتوي» وأنا موصولة بك عن طريق أنبوب بِزّةِ غطّاس. وكنتُ أتوسّل إليك كي لا تقطع الأنبوب- أي أنّها في نهاية المطاف أحلام غبيّة حين نرويها. إلا أنها كانت في النوم نابضة بالحياة وكان ذلك رهيباً.....

..... لأنّك تتحدث إليّ.

ها قد مضت خمس سنين وأنا أحيا بكَ، أنت الهواءُ الوحيد الذي استنشقه، أنا أمضي وقتي في انتظارك، حين تتأخرّ أحسبُ أنّك قد متَّ، وأموت أنا، لأنّي

---

(١) يعمد الكاتب الى استخدام جناس خاص بالفرنسية حيث لفظة «كو» ذات معان عديدة: Coup ضربة أو طعنة- Cou عنق ومخابرة هاتفية Coup de téléphone أو حرفياً: ضربة هاتف.

أحسبك ميتاً، ثم أعود للحياة حين تدخل وحين أراك هنا في النهـاية، ثـم أمـوت مـخـافـة أن ترحل. الهـواء مـتـوفّر لي الآن لانّك تحـدّثني. ليس حلمي على جـانب كـبـيـر من الغـبـاء. إذا قطعتَ الخط تكون قـد قـطـعـت الأنـبـوب. . . . . .

. . . .

. . . . . . هذا مـفـهـوم، يا حـبـيـبي، لقـد نمت. لقـد نمت لأنّهـا المرّة الأولى. الطبـيـب قـال ذلك: إنّهـا حـالـة تسـمّم. في الليـلة الأولى ننام. ناهيك بأنّ الألم يسـبّب شـروداً في الذهن، فهو لايزال جديدا جداً وترانا نتحمّله. أمّا الذي لايُمكن تحمُّله، فهو الليلة الثانية، يوم أمس، والثالثة هذا المسـاء، بعـد بضع دقـائق، وغـداً، وبعـد غـد، وأيام كـيف سـتنقـضي يا الهي؟. . . . . .

. . . .

. . . لـيس بـي مـن حـمّى، ولا أيّة حـمّى، إنّني أرى بـوضـوح. . . . . .

. . . . . أمّا وهي بلا حلّ، فـقـد

كـــان يـجـــدر بي أن اكـــون شـــجــاعـــة وأن أقص ّ
عـليك عـــــدداً مـن الأكـــــاذيب. . . و. . . وإذا
سلّمنـا بأنّني قـــد نمت، فـــبـــعـــد النوم تأتي
الأحـــلام ثـم اليــــقـظة والطعـــام والنـهـــوض
والاغـــتـســـال والخــروج ثـم الذهاب الى أين؟. . . . .
. . . . ولكن، يا حـــبـــيـــبي، لـم يكـن لـديّ
قـطّ مــــا أفـــعـلـه غــــيـــرك أنـت. . . . .
. . . . . عــــــفــــــــواً! كـنـتُ
على نحـــو دائم مـــأخـــوذة بك، مـــأخـــوذة
مـــــن أجــــــلــــــك. . . . . .
. . . . مـارتْ لهـا حـيـاتهـا المنظّمـة. . . . . .
. . . . أي كـــــأنّك تـســــــــأل
ســـمكة كـــيف قـــرّرتْ أن تنظّم شــــؤون
حـــيـاتهـا من غــيــر مـاء. . . اكـــرّر لك القـــول،
لـست بـحـــــاجـــــة لأحــــــد. . . .
تـسليـــــات! ســــوف أبـوح لـك بمســــألـة
ليـست شـاعـرية جـداً إلا أنّهـا حـقـيـقـيـة. فـمنذ
ذلك المســـاء الهـــائل يوم الأحـــد، لـم يشـــرد
بي الذهـن إلا مـــرّة واحـــدة، عـنـد طبـــيب الأسنان،

حين لمس لي عصبا....
.......وحيدة....
......وحيدة......
... ها قد مضى يومان وهو لا يغادر البهو........ رغبتُ في أن أناديه، وأن أُمسِّده. إنّه يرفض أن يَمْسَسَهُ أحد. لو أثقلت عليه لعضّني... أجل، أنا، أنا! إنّه يكشّر عن أنيابه ويزمجر. إنّه كلب آخر، أؤكّد لك. إنّه يخيفني.....
عند مارت؟ أقول لك مجدداً إنّ مُقَارَبَتَهُ غير ممكنة. لقد عانت مارت كثيراً قبل أن تخرج. لم يكن يدعنا نفتح الباب.....
.... بل هذا يشكّل مزيداً من الحذر. أقسم لك إنّه يفزغني. لم يعد يأكل. لم يعد يتحرّك. وحين ينظر إليّ يقشعرّ لنظرته كل جسمي..
.......كيف تريدني أن أعرف؟ ربما يحسب أنّي قد أسأت إليك.....
... يا له من حيوان مسكين!....

. . . . . . لـيـس لـديّ
من سبب لأكرهه. لست أفهمه إلا على
نحو أفضل. إنّه يحبّك. لم يعد يراك داخلاً. إنه
يعتقد انّها غلطتي. . . . . . حاول
أن ترسل جوزيف. . . . أعتقد
أنه سيتبع جوزيف. . . . . .
إيه! أنا. . . . . شيء من هذا
وشيء من ذاك. . . . . لم يكن متعلّقاً
بي قط. البرهان!. . . . . .
كان يبدو عليه ذلك، هذا ممكن، لكني أقسم لك
تماما على أنّه لا ينبغي أن ألمسه. . . . .
. . . . . إن كنت لا تريد
استرداده فسوف أضعهُ عند حارس. ليس ما يدعو
لأن يصاب هذا الكلب بالمرض ويصير شرساً. . . .
. . . . . لن يعضّ أحداً
لو كان عندك. سوف يحب الذين تحبّهم. . . .
. . . . . أقصد في نهاية الأمر أن أقول: سوف
يحبّ الناس الذين تعيش معهم. . . نعم، يا
حبيبي. مفهوم. لكنّه كلب. إنه لا يستطيع،

رغم ذكائه أن يخمّن الأمر . . . . .
. . . . . لم أكن اتضايق أمامه .
لا يعلم إذن ما رآه إلا الله ! . . . . . .
. . . . . أقصد أنه ربما كان
ينكرني ، وربما أكون قد أخفته . . . . .
. . . . ليس من يعرف البتة
. . . . . على العكس . . . . .
هاك قصّة خالتي جان ، مساء اليوم الذي أخبرتُها فيه أنّ ابنها قد قُتِل . إنّها في العادة شاحبة جداً وقصيرة جداً- طيّب ، لقد أمست شديدة الاحمرار وعملاقة . . . . . عملاقة حمراء ، كانّ رأسها يطاول السقف وأمست يداها تطالان كل شيء ، وظلّها يملأ الحجرة وباتت تثير الخوف . . . . .
. . . . كانت تثير الخوف . . . . .
. . . . . أستميحك عذراً . بشأن كلبتها . أخذت تختبىء تحت الخزانة وهي تعوي كأنّها تهرُّ وحشاً . . . . . .
ولكن لست أدري ، يا حبيبي ! كيف تريدني

أن أعــــرف؟ لا يـغـــــدو المـرء نفــــسَه. لاريـب في
أنني قِـــمت بأشـــيــــاء مـــفـــزعــــة. إعلَمْ أنّي
مـزّقت، دفـعــة واحــدة، رزمـــة صـوري بكاملـهـا
ومـــعـــهـــا مظروف المصـورّ من غـيــر أن ألحظ ذلك.
ومـــــثل هـذا لا يقــــوى على فـــعله رجل. . . .
. . . . تلك المخـــصـــصّة للتـــرخـــيص. . . .
. . . . . مــــــــاذا؟ . . . . كــــــــلا،
مــادمت لم أعــد بحــاجــة الى ترخــيص. . . . .
. . . . . لـيـــــست خــــــســـــارة.
كـنـتُ مُــــــرعـــــبــــــة. . . . .
. . . أبداً! لقــد شــاء حــسن طالعي أن ألقــاك
وأنا مـسـافــرة. أمـــا لو ســافـرت الآن ولقـيـتك
لـكـان ذلك مـن ســــــوء طـالـعـي. . . .
. . . . . لا تــــــلـــــحّ. . . . .
دع. . . . ألـو! ألــو! يـــا مــــــــــدام،
اخــرجي عن الخط. أنتِ مع مـشـتـركين. ألو! كـلا،
كــلا، يا مـدام. . . . لكن، يا مــدام، نـحن
لا نـســعى الى إثارة الاهتـــمـــام. ليس لك الا أن
تــــدعــــي الخــــط. . . . . .

. . . . مـــــــا الـذي يـدعـــــــوك، وأنـت
ترين أنّنا مـثـار سـخـرية، الى إضـاعـة وقـتك، بدلاً
مـن إغـــــــــلاق الخـط؟ . . . . .
. . . . أيه! . . . . يا حـــبـــيـــبي،
يـا حـــبـــيـــبي! لا تغـــضب. . . . .
. . . . أخـــيـــراً! . . . . كـــلا، كـــلا!
هـذه المرة، أنا. لمستُ السـمـاعـة فـأغلقت الخط.
أغلقت الخط على الفـــور من بعـــد أن قـــالت
ذلـك الـكـلام الـدنـيء. . . . ألـو! . . . . .
تبـــدو عليك الصـــدمـــة! . . . . بلى، بلى،
لقـد أُصبْتَ بصدمـة على أثر مـا سـمـعـتَه من كـلام،
فـــأنـا أعـــرف صــــوتـك. . . . . .
أنـت أُصِبـتَ بـصـــدمـــة! . . . أنـا. . . .
. . . . لكن يا حـــبـــيـــبي، لاريب فـي أنّ
تلك المرأة لئـيـمـة جـداً وهي لا تعـرفك. إنّهـا تعـتـقـد
أنّك مـثـل الرجـال الآخـرين. . . . كـلا، كـلا يا
حـــبـــيـــبي! ليس الأمـــر مماثلاً أبداً. . . . .
. . . . أيّة مـــشـــاعـــر ندم؟ . . . .

ألــــــــو! . . . . دع عـــــــــنــــــــك . دع . لا تفكّر من بعـــد بتلك الحـــمــاقـــة . انتـــهى . . . . .

. . . . كـــم أنـــت ســــــــــــــاذج! . . . .

من أيّ امــرىء كــان . صــادفت أول أمس الشــخــصــيــة التي يبـــدأ اســـمـــهـــا بحـــرف س . . . . .

بحـــــرف س- ب . س . أجل ، هنري مــــارتان . . .

. . . . ســــــــــــألَتْني إن كــــــــــان لــك أخ وإن كـــان هو الذي ظهـــر إعـــلان عن زواجـــه . . . .

. . . . كـــــــــــــــيـــف تـــريـــد أن يـــؤثّر فـــــــــــــــيّ ذلـــــــــــك؟ . . . . . . إنّ

الحـــــــــقـــــــــيـــــــــقـــــــــة . . . .

. . . . مـــــســــــحـــــة عـــــزاء . . . . . .

. . . .

أصـــــــارحك بأنّي لم أدع الحــــــديث يطول . قلت إنّي أنتظر قـــــــدوم أناسٍ إلى بيـــــــتي . . . . لا تبحث عن الظهر في الساعة الرابعة عشرة[1] ، فالمسألة سهلة جداً إنّ الناس يمقتون من يقوم بإهمالهم ، وشيئا فشيئاً أهــمــلــتُ الجـــــــمـــــــيــع . . . . . .

(١) مثل فرنسي معناه : لا تبحث عن المصاعب حيث لا وجود لها .

. . . . . . لم أشأ أن أضيّع دقيقة واحدة من وقتنا . . . . سيّان تماما . بوسعهم أن يقولوا ما يشاؤون . . . . .

. . . . على المرء أن يكون منصفاً . كان وضعنا في نظر الناس غير قابل للتفسير . . . .

. . . . بالنسبة للناس . . . . .

العلاقة بالنسبة للناس تقوم على تبادل الحب أو التباغض . والقطيعة هي القطيعة . نظرتهم سطحيّة على الدوام . وأنت لن تجعلهم يفهمون أبداً . . . . .

أنت . . . . . أنت لن تجعلهم يفهمون بعض الأشياء أبداً . . . . . .

. . . .

. . . . . . أفضل شيء هو التصرّف على نحو ما أفعلُ والاستخفاف بذلك . . على نحو تام (تندّ عنها صيحة توجّع خافتة) إيه!

. . . . . . لاشيء . انا أتكلّم، أتكلّم؛ أحسب أننا نتكلّم مثلما نفعل عادة ثم تعود الحقيقة إليّ على نحو مباغت . . . .

. . . . (تسيل دموعُها) . . . . .

. . . . لمـــــــــــــــاذا
نتـــــيــــه مع الأوهام؟ . . . . . أجـل . . . . .
. . . . . أجـل . . . . كــــــلا! كـــــانـوا
فيما مضى يتقابلون. كان بوسعهم أن يفقدوا رشدهم،
أن ينسـوا عـهـودهم، أن يجـازفـوا بالمسـتـحـيل ويقنعـوا
الذين يعــبـدونهم وهـم يعــانقــونهم ويتـشـبـثّون بـهم.
كـــان بوسع نظرة أن تبــدّل كل شـــيئ. أمـــا بوجـــود
هذا الجـــهـــاز فـــإنّ مـــا انتـــهى قـــد انتـــهى. . . . .
. . . . كن مطمـــئنا. فـــالمرء لا ينتـــحــــر
مــــــــــرتــين. . . . .
. . . . . . قـــــــد يكون ذلـك لمحـــــــاولـة
الـــــــنــــــــوم. . . . .
. . . . . لـن يـكون بـوســـــعي شـــــــراء
مـــــــــــــــدس! . . . .
. . . . أيـــن أجـــــــــــــــدُ
الـقــــوّة لحبّك كذْبةٍ، يا مـــعـــــبـــــودي
الحـــــــــبـــــيــب؟ . . . .
. . . . ولا واحــــــــدة. . . . كـــــــان
عليّ أن أتحلّى بالشـــجـــاعـــة. فـــالكذب في بعض

الظروف مفيد. ليتك تكذب أنت لجعل الفراق
أقل ضني. . . . .
لا أقول إنّك تكذب. أقول: ليتك تكذب
وأنا أعرف ذلك. لو انّك، مثلاً، لم تكن في البيت
وتقول لي. . . . كلا، كلا،
حبيبي! أصغ. . . . . . .
أصدّقُك. . . . . لم أقصد أن
أقول إني لم أصدّقك. . . . . . .
. . . . . لماذا غضبت؟. . . . .
. . . . بلى، أضحى صوتك مقيتا.
أقول باختصار إنّك لو خدعتني عن
حسن نيّة ثم اكتشفتُ ذلك لما شعرت
حيالك إلاّ بمزيد من الحنان. . . . ألو!
ألو!. . . . ألو!. . . . .
(تغلق الخط وهي تقول بصوت خافت وتكرار سريع)
يا إلهي (اجعله يطلبني ثانية. ياإلهي اجعلهُ يطلبني ثانية.
يا إلهي اجعله يطلبني ثانية. يا إلهي اجعله
يطلبني ثانية. يا إلهي اجعله (جرس الهاتف يرن.
ترفع السماعة.) لقد قطعوا الخط. كنت أقول إنك

لو كــــذبت عليّ بنيـــةٍ حـــسنة ثم لاحظت ذلك،
لما شَعَرْتُ حــــــيـــــالك إلا بمـزيـد مـن
الحـــــــنـــــــان. . . . . .
. . . . بـالتـــأكـــيـــد. . . . .
. . . . . أنــــــت جُنِنْتَ! . . . . . .
. . . . . . يا حـــبـــيـــبي. . . . . .
. . . . . . يا حـــبـــيـــبي الـغـــالي. . . . .
. . . . . (تــقــــــوم بـلـفّ الـسـلـك
حــــول عـنقـــهــــا). . . . . .
. . . . . أعــــرف حــــقــــا أنْ لا بدّ منه،
إلا أنّه بـــــشـــع. . . . . أبـــــداً
لن احظى بهــذه الشـــجــاعــة. . . . . .
. . . . أجل. نتــوهّم أننا مــتـلاصـقــان أحــدنا
بالآخــر وبغـتــة يضــعــون أقـبـيــةً وأسيْقَةً
ومدينة بحـالهـا فـيمـا بيننا. . . . هل تتـذكـرّ إيفـون
التي كــانت تتـســاءل كـيف يسـتطيع الصـوت أن
يمرّ عـبـر تعـرّجـاتِ السلك كلّهـا. السلكُ مُلْتَفٌّ الآن
حــول عنقي. وصـــوتك يلتفُ حــول عنقي. . . .
. . . . ينبـــغي على مكتب الهـاتف أن يقطع علينا

الخط بطريق الصدفة. . . . .
. . . . إيه! يا حبيبي! كيف
لك أن تتخيّل أنني أفكّر بمثل ذلك الشيء القبيح؟
أعرف تماماً أنّ هذه العملية لو نُفّذتْ من طرفك
لكانت أيضاً اكثر بشاعة من تنفيذها من طرفي. . . . . .
. . . . . كلا. . . . كلا، كلا. . . . .

. . . .

. . . . في مرسيليا؟
. . . . . . إسمع، يا حبيبي،
بما أنّكما ستكونان في مرسيليا بعد غدٍ مساء،
فإنّي أرغب. . . . . . أخيراً
بودّي. . . . . بودّي أن.
لا تنزل في الفندق الذي كنّا ننزل فيه
عادة. أنت لست مغتاظاً؟. . . . . . .
ذلك أنّ الأشياء التي لا أتخيّلها، لا تغدو
موجودة، أو أنّها تكون موجودة في ما يشبه
مكاناً شديد الغموض فيتسبّب بقليلٍ من الألم. . . . . .
. . . . . أنت فهمت؟. . . .
. . . . شكراً. . . . . شكراً.

أنت طيّب. أنا أحـــبك. (تنهض فــتـــتـــوجّه.
صــوب الســرير وهي تحــمل الجــهـــاز بيــدها)
إذن، هــكـــذا. . . . هــكــذا. . . . .
. . . . . كنتُ أوشك أن أقــول على نحــو آلي:
نــلـتــــقي بـعـــد قـلـيـل. . . . . . .
. . . . . . أشـــكّ فـــي ذلـــك. . . . . .
. . . . . . لـــيـس مـــن يــدري أبــداً. . . . .
. . . . . . إيـه! . . . . هـذا أفـــضـل.
أفـــضل بكـثـــيـــر. . . . . . (تتـــمـــدّد
على الســرير وتحــتــضن الجــهـــاز بين ذراعـــيهـــا)
يا حـــبـــيـــبي. . . . . يا حـــبـــيـــبي، يا مليح
الـوجــــه. . . . . أنـا جــــريئـــة. .
استــعــجل. هيّا. أغلق الخط! أغلق بســرعــة. أغلق!
أحــبك، أحــبك، أحــبك، أحــبك، أحــبك. . . .
. . . .
(تسقط السماعة على الأرض.)

«تسدل الستارة»

جاك أوديبرتي

المسرحية الثالثة

نساء « الثور »

مسرحية من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Jacques Audiberti

Les Femmes du Boeuf

ليست مقوّمات الكتابة أن ترسم فقط إشارات على الورق مستعيناً بريشة أو قلم، إشارات لا تولّد في ذهن القارئ، أو في صندوقه الدماغي، الطنين العقلي للكاتب فحسب، بل خيالات حيّةٍ أيضاً وألواناً وحتى أشكالاً من الأريج. وتجني ثم تطحن، بلا هوادة، ضمن فواصل الكتابة بحد ذاتها، العام بأناسه ومخلوقاته وأزهاره، من أجل أن تحصل على ذلك الدقيق وعلى ذلك الأساس، الذي سينتقي الكاتب فوقه خيوطه وغرزات تجليّاته وحلقاتها...

لا أحد يكتب نثراً. ولا بدّ من جهد جبّار للخروج على الإيقاع المنتظم.

جاك أوديبرتي

الشخصيات:

«الثور»	Le Boeuf
الابن	Le Fils
مدام غورنتران	Madame Gontran
أميلي	Amélie
أصوات	Des Voix...

عرضت هذه المسرحية: نساء «الثور» في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٨ على مسرح الكوميدي فرانسيز (قاعة اللوكسمبورغ) من إخراج جان دوبيكور، وصمّم الديكور والملابس م. بينيه مع لوي سينييه في دور «الثور»، وأندريه فالكون (الابن) ولين نور و(مدام غونترون) ودينيز بيزاني (أميلي) وجانين ديهيلي ونيلّي ديلماس (أصوات. . .).

قام جورج فلاتو بأداء دور «الثور» على موجات الإذاعة الفرنسية.

يجري المشهد بأكمله دونما انقطاع، في قرية من مقاطعة لانكدوك، في الطابق الأرضي من دار الجزّار، الواسعة جداً. تظهر في البداية مدام غونتران، وهي الوكيلة القيّمة على كل شيء، وإن تكن ريفيّة بكل معنى الكلمة، في صالة الدار أو القاعة المشتركة، بصحبة الشابة أميلي لافيد، وهي بنت إحدى بنات عمومة الجزّار لافيد.

مدام غونتران: الدكان كلّها والدار كلّها عابقتان برائحة الدم فقط. ولا يعنيني ذلك على نحو مباشر، إلاّ أنّي أودّ أن أسعى إلى تبديد تلك الرائحة. يقترح بعض الناس استخدام ماء جافيل مع الأشنان. أمّا الشمرة فسوف أقتصر على نبات القضاب المقطّع تقطيعاً جيداً مع الشُّمرة. لكن الشمرة أضحت نادرة الوجود حتى في فصل الصيف. فطراز حياة المدن بدأ يغزونا. نحن هنا، في باربينالس، عند آخر الخط الحديدي تماماً. أمّا درب العربات فيمضي إلى ما وراء الجبل. ها نحن نشيخ والأزهار تولّي، أزهار أيام شبابنا. إلى أين تمضي الأزهار؟ قد يستطيع سان فلوريمون أن يعرف ذلك،

لأنّ سان فلوريمون هو شفيع الأزهار. يبقى عندنا على كل حال البابا: ليون الثالث عشر. هذه حالنا على الدوام!

أميلي لافيد: شاهدته في الملحق المصوّر. كلّه بياض ببياض.

مدام غونتران: البابا يرتدي البياض بشكل دائم، يا صبيّة. إعلمي ذلك. ولقد شاهدتُ أنا من البابوات الكثير. أنا وأمي . . . فالأمور فيما بين العجائز تختلط.

أميلي: إلاّ أنّك لست بعجوز! . . .

مدام غونتران: إنّما يتولاّني إحساس أشدّ بالشيخوخة حين أنظر إليك، يا صغيرتي . . . فيوم جئتُ إلى هنا للمرة الأولى، كخيّاطة مُياوِمة، كنتُ في الثامنة عشرة. أما خالك «الثور»، هكذا نحن ندعوه على كل حال، فكان في العاشرة. كان قد غدا حينئذ شخصيّة هامّة. أمّا يومي كخيّاطةٍ مُياوِمَة، فقد امتدّ أربعين سنة.

أميلي: ولمّا ينتهِ، يا مدام غونتران.

مدام غونتران: قطعاً لا . . . ومن الناس من يُتوفّى سميناً، وآخرون يموتون هزيلين. أما أنا فلم يبق فيّ غير العظام . . . ولست أبغي إلاّ أن أزيل رائحة الدم هذه. فالمكان هنا حسبما يظهر هو الصالة. وليس أدل على

ذلك من تلك الزوارق المعروضة في أقفاص زجاجية، وهذه المطرّزات الصينية، وصورة الماريشال فيكتور. والدم عند الجزّار من طبيعة الأشياء. بل قانون الأشياء. أما أن يجيء الدم حتى يعمّ الصالة. فإن ذلك يملؤني غماً. هذا وإن خالك لأكبر جزّار في المقاطعة، لا بل هو الأكبر والأضخم. إنه يُطعمُ أكثر من أربعين قرية لحماً. أما خيوله التي تقوم بنقل الذبائح فهي جياد نشيطة يقظة، تتغذّى على النخالة النقيّة. وأما اسمه فالمعلم لافيد. وكلمة لافيد في لغة اللانكدوك تعني النعجة. فكيف ينطبق اسم النعجة عليه! لقد أجادوا حين اختاروا لقب «الثور». . . ثور باربينالس. . . بل إنّ لقب الثور صغير جداً عليه وفائق الرقّة أيضاً. . . ينبغي أن يلقب بالغول أو بالرعد الهادر. . . واعلمي بادئ ذي بدء أنه يزن مئة وأربعين كليو غراماً.

أميلي: وممّ توفيت زوجته؟

مدام غونتران: زوجته؟ . . . بل قولي زوجاته. لقد تزوّج ثلاثاً. وتُوُفّينَ منه يا ابنتي. ولكنّ الغلطة ليست غلطته، فرِقَّةُ قلبه ما لها من مثيل. لكنّ دماءه فوّارة وأمزجته فائقة العنف. إن فخذيك معاً، يا حلوتي، يكادان

يقاربان ثخن رقبته. وعندما يكون خارجاً تبدأ الشمس تتعرّق. وإذا زَفَرَ هبّتِ الريح، هبّت الريح على البحر. إن على رجلٍ من هذا الطراز، مهما كان سريره كبيراً، أن ينام فيه وحده... فإيّةامرأة بجانبه سوف تختنق... إنّه يمتصّ الهواء كله... قد تدركين ما أقول... وقد لا تفقهين منه شيئاً... لو أنك ترينه كيف يقتل ثوراً بصفعة واحدة. لست أدري لِمَ أروي لك...

(صوت خوار، وصرير أرضيّة خشبيّة تتكسّر).

أميلي: ولكن، ما هذا؟

مدام غونتران: ذلك هو المسكين. إنه ينهض. فهووحيد ولا بدّ أن يكون في هذه الليلة قد بكى. ذلك أنه يعيش حياة رهبنة رغم ما هو عليه من موفو الصحّة والدم الفوّار...

أميلي: لم أصل إلاّ بالأمس. لكن يبدو لي أن الدار ملأى بالناس وتعجّ بالنساء.

مدام غونتران: إنّ النساء اللواتي يقضي عليهن «الثور» فيزيلهن من قدّامه، ما يلبثن أن ينبتن من على جوانبه. فأمّه قدماتت. ماتت وهي تراه على تلك الضخامة فيما

هي صغيرة جداً. كان يكبر سناً ووزناً، أما هي، فيا لها من مسكينة! كان عليها أن تعود القهقرى بعصابة رأسها وعينيها الزرقاوين وقمطتها المشتراة بأربعة فلوس. وأن تبعد رأسها لتتمكن من رؤيته بأكمله. وعلى قدر ما كان ينتفخ كانت تذوب. كانت تمتلئ به زهواً لكنها تذوب من نفسها خجلاً. أمّا حين تمعن النظر فيه، فيتراءى لها أنها قد أفرطت في الطعام. وتظلّ مكتوفة اليدين. . .
وفي نهاية الأمر حللت أنا محلّها. لقد أنجبت له كل واحدة من نسائه ثلاث بنات. وتناهز البكر، ماريا، السادسة والثلاثين. أما الصغرى لويزيت فقد جدّدت للتوّ مناولتها. فيكون العدد إحدى عشرة.

أميلي : يكون إحدى عشرة؟

مدام غونتران : عُدّي. بنات خالك التسع وأنا وابنتي، يكون العدد إحدى عشرة. بوسعك أن تعدّي. فأنا أيضاً عندي بنت. وهي جافّة بعض الشيء، لأنّ الأفضل بالنسبة للنساء، كما تعلمين، أن يقوم المرء بسقايتهنّ، أما هي فتتولّي ترطيب الأزهار على مذبح الكنيسة.

أميلي : إحدى عشرة امرأة في دار واحدة. إنّ هذا ليعني الكثير من الأعباء والهموم.

مدام غونتران: إحدى عشرة امرأة؟ إنّك لتهذرين. . . قلت لك إن خالك أعظم جزّار في المقاطعة. عَدَدْنا نحن هنا في الدار ثلاثون امرأة من غير أن نعدّ صور المتوفيات المسكينات. وُضعت البُنَيّات أولاً في مدرسة داخلية. أما الآن وقد كَبُرْنَ فكلّهن مقيمات عندنا هنا. لكن «الثور» مزهوّ. فلم يرض لهنّ الخوض في الدماء والحسابات. وهن يُمضين الوقت في المطالعة والخياطة والغناء. وعندنا هنا موظفة للمحاسبة، وطاهية وكوّاءة وخادمتان وثلاث عاملات في محل القصابة. ولكن ليس هذا كل شيء! ليس هذا كل شيء. حين وصل أخوه، خالك الرقيب، قادماً من تونس، تعانقا. تعانق الجزّار والرقيب. وما كان من الرقيب المسكين، والوسام معلّق على صدره، إلا أن سقط ميتاً. لقد كان متزوّجاً. فأخذنا في كنفنا زوجته ميلينا وابنته أونورين. إحدى وعشرون. بلغ العدد إحدى وعشرين. إنتِ تتابعين؟

أميلي: المؤسف أنني لم أحمل معي قلمي الفضّي الجميل لأدوّن الملاحظات.

مدام غونتران: لاحاجة للقلم. فالثور والدار في قلبي وفي رأسي. . . أما الآن وبعد أن شاء سوء الحظ أن يطالكمُ

الحدَاد، وبعد أن ارتحلت أمّكما إلى العالم الجديد، فأَبحرت بعد زواجها الثاني من ميناء دنكرك في الشمال، بادر «الثور» فكفلكما أنتِ وأختك فجئتما إلى هنا. إيه! يا لهُ من جل شهم!

أميلي: اثنتان وعشرون فثلاث وعشرون.

مدام غونتران: الآنسة الموظفة في البريد ومعلّمة المدرسة تقيمان عندنا. وهو يحشوهما بضلعيّات[1] حمر مثل الجمر.

أميلي: أربع وعشرون فخمس وعشرون.

مدام غونتران: ينبغي أن نذكر أنّ المعلمة، وقد رتعت في السعادة، أبقت على أمها معها. الأمهات! البنات! الأمهات! البنات! أن ذلك لأشبه ما يكوت بخرير الجداول. (تضيف متباهية) ست وعشرون.

أميلي: طيّب... ليس العدد أكثر من ست وعشرين.

مدام غونتران: وتلك السيدة القادمة من باريس والتي تتقن التلوين. لقد حلّت عندنا ومعها وصيفتها أو الناطقة باسمها على حدّ تعبيرها. حاملة معها ألوانها من كل شكل وضرب. وقد حسبت بيتنا فندقاً. ربما كان عليّ

(١) ضلعيّة: بضعةُ ما بين أضلاع الذبيحة.　　　(م)

أن أطردها خارجاً؟ . . . ها إنّ العدد قد اكتمل . . . إنني على حقّ حين أقول إنّنا ثلاثون بلهاء داخل حظيرة «الثور».

أميلي: تعدادك خاطئ، يا مدام غونتران، فقد بلغنا ثمان وعشرين.

مدام غونتران: طيب، يا بنيّة! أضيفي الكلبة، تلك التي يدعوها «روسجوا».

أميلي: الكلبة؟ في هذه المرة. . . أخيراً. . . لكن، يا أماه! لم يبلغ العدد إلاّ تسعاً وعشرين.

مدام غونتران: تريد الفتيات تصديق كلّ شيء دفعة واحدة. الرقم ثلاثون. . .

أميلي: إنما الرقم ثلاثون هو الذي يروق لي. فمن هو؟ (يسمع صوت غناء) هل الرقم ثلاثون هو الذي يغنّي؟

مدام غونتران: كلا. . . بل الرقم أربعة عشر. . . إنها فيرجيني. . . ووقع الخطى على الدرج؟ . . . إنها المعلمة. . . وذاك الباب الذي يصفق؟ . . . الثلاث في السرير الثالث. . . وتلك الناي؟ إنها لوسيين. . . لقد احترق حلقها قبل عشرة أعوام حين شربت زيت التربنتين. قد تكون أجمل واحدة من بين الجميع. لقد

اعتقدت المسكينة أنّه عصير الليمون. إنّها قويّة قوّة رجل، وكل ما فيها ينطق بالصلابة، نهداها، وركاها، نظرتها الكفيلة بجعل «الثور» يغضّ الطرف، أما حنجرتها فواهية مثل شبكة العنكبوت. إنْ تكلّمت ماتت. وهي الآن تجيد العزف على الناي، والعزف هو لغتها الوحيدة. (تُسمع أغان ونداءات وضوضاء) إنها خادمة المائدة... وموظّفة البريد... صانعة السُّجُق... ووصيفة المرأة التي ترسم... والكلبة التي تحمل، إن كنت تذكرين، الرقم تسعة وعشرين...

أميلي: يا مدام غونتران، يا مدام غونتران، والرقم ثلاثون! إنّي أتحرّق شوقاً لطول الانتظار. من هي المرأة الأخيرة من بين النساء في دار خالي؟

مدام غونتران: المرأة الأخيرة هي الابن، إبن «الثور». إبن خالك ليس امرأة لكنه ليس رجلاً. إنّه يحلم. ويمشي. ويتثنّى في مشيته على هذا النحو كمن هو عازم على البدء برقصة الخطى الثلاث. لكنه لا يرقص أبداً. أما عمره فعشرون عاماً.

أميلي: إنه من عمري.

مدام غونتران: وهو هشّ الدماغ.

أميلي: وماذا يعمل؟

مدام غونتران: لم يؤدِّ يوماً من عمل قط. فيقوم أحياناً باختيار شجرة ويبدأ الدوران من حولها. وقبل تسعة شهور طلب أن يتحدث إلى «الثور». وكان شكلهما مضحكاً، فالواحد شديد الضخامة والآخر نحيل جداً. لقد قال للثور: «أبتاه، أريد القيام بالحراسة. أريد أن أرعى القطيع. فأنا الكبير وينبغي أن أحظى بالشهرة. فعيّنّي راعياً للخراف. وأراد «الثور» أن يقول له: «أنت مجنون». لكنه تدارك نفسه. وانتفخت أوداجه حتى كادت عروف جبهته تتفجّر. وواصل الصغير كلامه قائلاً: «أعطني الخراف لأتولّى حراستها. وسوف أتقن ذلك على أكمل وجه... وها إنّي أحمل سلاحي والوسام أيضاً». ولقد تأثّر «لثور» من غير شك، وهو يرى ابنه المسكين الأبله وقد عزم على أن يكون ذا فائدة. فأخذ نصيحة الطبيب من جهة ونصيحة مقلاة الشياطين، وأقصد بذلك نفسي، من جهة أخرى. فقلّبنا المسألة من كافة وجوهها حتى استقر بنا الرأي على تركيب ألواح زجاجيّة للكوخ الجبلي المتداعي وأرسلنا الولد إلى هناك على نحو ما كان يرغب، من بعد أن

جهّزنا المكان بسرير ممتاز مع بعض المعلّبات، ومعه الخراف الخمسون والكلبان وغلام قويّ الشكيمة لأجل الحالات الطارئة. وفي غضون يومين، صرف الابن الغلامَ قائلاً إنه قد غدا الآن راعياً حقيقياً وليس بحاجة لأحد. فأخذ «الثور» في البداية يغمغم ساخطاً لكنّه ما لبث أن تفكرّ في الأمر. وخلاصة القول إنّ الابن مقيم في الجبل، صوب «لوزير»، ناحية الموقع الذي قدمت منه تماماً. . . أحياناً يبعث «الثور» خفية برجل، ليراقب الابن من بعيد، كذلك نستعلم عنه بواسطة الصيادين ورجال الدرك.

أميلي: ولكن ما هذه الرائحة المنبعثة، يا مدام غونتران؟ إنها تعبق بشدّة أكثر فأكثر. . .

مدام غونتران: وماذا تريدين للرائحة المنبعثة من عند الجزار أن تكون. إنها رائحة الدم. ومعها أيضاً رائحة الأجساد، رائحة الأجساد الجميلة للأوانس والسيّدات وجسدك أنت أيضاً.

أميلي: لكنَ هناك أيضاً رائحة أخرى. . . تشبه رائحة الخشب المحروق. . . رائحة الخبز وهو في الفرن. . . والشمرة. . . وماء الكولونيا. . . والطبخ الدسم. والعفونة.

(تسمع ضوضاء كبيرة فوق الدرج).

مدام غونتران: لا تنشغلي. إنها رائحة سيّدي. فها هو «الثور» ينزل. (وقع شديد للخطى).

(يدخل المعلم لافيد، الذي يطلقون عليه لقب «الثور» شديد الضخامة، هائل الجثّة طيّب القلب).

«الثور»: طاب نهاركم جميعاً. ها أنذا... هل كل شيء على ما يرام، يا اشبينتي؟ أما أنت، يا ابنة أختي، فأحييّكِ... كلا، لا تقتربي... إذ يمكن لزفرتي أن ترمي بكِ أرضاً... هل نمتِ نوماً مريحاً؟ أنا أقول لكِ، أنتِ هنا في بيتك. أنت في منزلك. أمّك هي أختي. وأنت ابنتي. هذا كل شيء. أنا أحياناً أصرخ... لكن لا تخافي... لا ينبغي أن تخافي أبداً... إنّ التي تتولى الإدارة من بعدي هنا، هي اشبينتي مدام غونتران، ولا بد أنها قالت لك ذلك... هل تعرفين كل الذين يقيمون هنا؟

أميلي: لم يتوفّر لديّ الوقت بعد. ألسنا هنا كثيرات؟ ثلاثون على ما يبدو...

الثور: إيه، أجل... ذلك هو قدري. أتزوّج وأترمّل وأجد نفسي طافحاً بالنساء ووحيداً. أحياناً أبكي... إنّ

دموع الجزّار لا تؤثر في أحد، أما أنا فأعرف كم عبؤها ثقيل. أخيراً. . . سوف أعطيك كل ما تحتاجين. وتغادريننا حين يروق لك. وتلبثين هنا بمقدار ما تشائين. ولا يسعني أن أقول ما هو أفضل.

أميلي: شكراً، يا خالاه. أنت خيّر وشهم وأنا مرتبكة جداً. . .

الثور: قوّتي فائقة، تلك هي المصيبة، مع أنّني لا آكل إلاّ الأعشاب والثوم.

أميلي: يا خالي، هلاّ حدّثتني على الفتى مرسلان ابن خالي، الذي هو من نفس سنّي؟ . . . أذكر، حين كنا صغاراً جداً وشكلنا مضحك، قبل عشرة أعوام أو اثنتي عشر، أنني رأيته في بابينالس يوم عيد الرب. وكان يحمل على كتفه جلد خروف.

مدام غونتران: يا صغيرة، كان عليك الانتظار حتى يبادر خالك أولاً فيحدّثك عليه.

الثور: دعيها. . . دعيها. . . إنها على حق في أن تبوح صراحة بما في نفسها. إن ابني يقوم بدور الأبله. إنه يعمل راعياً. هذا هو الواقع. قد تجدين في هذه القرية وفي القرى الأخرى، أبناء بقالين أو قصّابين عاديين،

وقد تقدموا للبكالوريا كي يصيروا عقداء. أما ابني أنا، فقد أصبح راعياً. وليس في ذلك ما يجعلني أحمر خجلاً. لكن من غير المعقول أن أقول إنني سعيد بهذا الواقع، أليس كذلك؟ علماً بأنّ كل شيء كان في متناول يده... لكن ما العمل؟ فالقوة بكاملها والهيبة كلها واللحم كله، احتفظتُ بها لنفسي، أنا الأب. أما هو فليس لديه من شيء ولا يسري في عروقه إلاّ الدّخان.

أميلي: ألا كم بودّي لو أراه! أين هو؟

الثور: إنه يقيم عادة في ناحية ما، هنالك فوق الصخور، صوب «لوزير» من جهة بريبولس، أي من جيث قدمت تماماً.

أميلي: صحيح أن في تلك النواحي بعض مواقع الرعيان. وليس مستبعداً أن أكون لقيتُ ابن خالي هناك من غير أن أعرفه. بل إنّ واحداً من أولئك الرعيان قد بادلني الحديث. (تقول بحنان) إنه راعٍ وسيم وشاحب جداً وقد استمتعت بلقائه أيّما استمتاع. وأعطاني وردة بلون حجارة الينبوع.

الثور: أما راعينا نحن، فسوف ترينه اليوم وفي هذا الصباح.

لقد أرسلت إلى الجبل بمن يحلّ محلّه يومين. أما والعجوز سيباستيان أمسى عاجزاً عن الوقوف على قدميه فقد استأجرت راعياً لهذا الغرض. فأنا بحاجة للصغير كي يأتي للتوقيع عند الكاتب بالعدل. ذلك أنّ الكاتب بالعدل والمعلّم يرهقان دماغي بنصوصهما. ولقد أعطاني الصغير كلّ الوكالات التي طلبتها. ناهيك بأنّني وإيّاه غير منفصلين. لكنّ الأعمال تتضمّن دوماً بعض النصوص. وسوف يكون على الصغير المسكين أن يأتي ثم يقفل عائداً. وإن كانت تروق لك رؤيته فسوف ترينه. إنّه ليس وسيماً على كل حال. أما أنا، فالضيق يستبدّ بي وأنا أراه راعياً، حتى أوشكت أن ألفظ أنفاسي رغم صحّتي وسُمنتي.

مدام غونتران: يا سيّدتي العذراء! ماذا أرى في الفناء! إنه هو. لا بدّ أن يكون قد سرى الليل بطوله.

أميلي: ألا يشعر بالخوف. أما أن يمشي وحيداً في الجبل، طول الليل . . .

الثور: يا أولياء الله! هذا هو! إنّه الولد . . . إذا ما اقترب منّي مع ما هو عليه من هشاشة فسوف أطرحه أرضاً لمجرّد وجودي بقربه. أما إذا لم أكن موجوداً أو كففت عن الوجود . . . فسوف أتخمّر، وأتبدّد.

أميلي (مفعمة بالسرور): إنه يرتدي معطفاً أزرق اللون. ويحمل بيده غصناً مزهراً. . . وذاك خروف يتبعه وعلى جبهته شيء من القش.

مدام غونتران: يبدو لي أنه قد كبر.

الثور: يا اشبينتي، قو. . . قولي رأيك، هل أستقبله على الفور؟ أتعتقدين أنه ليس من خطر عليه؟ إنه فرخ صغير بلا حماية. بل هو بُنَيَّةٌ بلا شارب.

مدام غونتران: إنه عشير الصخور. وهي تمنحه القوّة. لا تخش شيئاً، إيّها المعلم. فهو لن يشعر بالخوف منك.

الثور: انتبهوا.

(الابن يدخل)

الابن: أسلّم على الجميع. وصلت من عند خرافي. خرافي على أحسن ما يرام، وأنا كذلك. من عساها تكون هذه الآنسة الجديدة تماماً؟.

الثور: هذه أميلي ابنة عمتك، أميلي لافيد، من منطقة البريبولس. لقد ارتحلت أمّها المسكينة مع الشّمول التي هي عروس الموت. والمسألة مسألة عشق. . . فلا تتعمَّق أكثر.

أميلي: يا ابن الخال، لقد لعبنا لعبة البناء يوم كنّا نأكل سوياً خبز الأبازير. ألا تتذكّر؟

الابن: آه! الذاكرة بالنسبة لي هي على نحو ما تعلمين . . . وعقلي خفيف . . . لكنّي لا أجد في ذلك ما يضيرني .

الثور: وماذا الآن، أيّها الصغير؟ هل من جديد في الجبل؟ ألا تشعر بالبرد؟ وهل لديك كل ما يلزم؟ لقد طلبت أن يزوّدوك بشيء من شراب الحديد والسكر الأحمر والأخفاف الدافئة . . . وأنت على كل حال لم تنزل سيراً على قدميك؟

الابن: كلاّ . . . فقد ركبت العربة فأوصلتني إلى لاغاريغ .

الثور: هلاّ قُلتَ لي . . . لا، لا، إبقي يا أميلي . . . بوسعكِ أن تسمعي . . . أنت من العائلة . . . هلاّ قلتَ لي، ولا تنزعج إن كنتُ لا أُعبّرُ عن الأشياء تعبيراً حسناً، فهذا الحملُ الثقيل من الدم المحتقن في حلقي يضايقني أحياناً، إن كنتَ عازماً على المضيّ في حراسة خرافك فترة أطول؟ تبدو نظراتك أكثر ثباتاً مما سبق ويداك أكبر . فالهواء النقي عاد عليك بالنفع . . . ألست راغباً . . . حاول أن تفهم الحياة قليلاً . . . أنا ذو مكانة مرموقة . . . إنّ رجلاً مثلي . . . لا يشرّفه أبداً أن تكون راعياً . . . وفي آخر المطاف . . . لِمَ لا تتزوّج؟ أصبحت شاباً بالغاً . وبرهنت على رجولتك . وعرفت كيف

تتحمّل المسؤوليات. وليس في المقاطعة كلها عائلة واحدة تبدي تردداً حيال الانتساب إلينا.

الابن: إنّ خرافي تتولّى حمايتي أكثر مما أتولّى حمايتها. وهي لن تسمح لأيّة أنثى إنسان بالاقتراب. وأنا في الأعالي، وسط النجوم على أحسن ما يرام.

الثور: لكن بحقّ السماء! الزّمن يمضي، أيّها الراعي اللعين! والطبيعة... حين تُمضي أنت جلّ وقتك في الطبيعة... إلا تتحدث الطبيعة إليك؟ لم يُصنع الزواج للكلاب ولا للجبابرة. لكن أنت... أمّا وأنا مُرتَهَنٌ على نحو ما أنا عليه بسبب طبعي العنيف، فإنّ من الممكن أن أمضي في سبيلي بين لحظة وأخرى. عندئذ تجد نفسك أمام الأثاث والممتلكات والأعمال، ومصالحي في الجزائر والمكسيك، والإيجارات... أنت وحدك ستغوص في ذلك كلّه وتغرق... تزوّج، يا وليدي، تزوّج... فالرعاة، والعزوبة! ذلك شيء لم يعد مفهوماً. تزوّج، ما دمت قادراً على الزواج، لا سيما وأنك في مثل خفّة المزمار. (ينتحب). وسوف تكونان معاً، أنت وامرأتك، عصفورين، يستطيع أيّ غصن أن يحملهما.

الابن: أبتاه الثور، أنا لم أقل قط ولم أفعل البتة ما يمكن أن يسوءَك. لكن عليك أن تعرف حقاً من أنا. النساء، ها، ها، ها، ها! ما عساي َأن أفعل بهنّ؟ الدار هنا طافحة بهن وتفوح منها رائحة دم نتنة. فالدم يسيل أينما كان. أما هنالك بين الصخور فليس غير الشمس والهواء النقي. كل حجر وفوقها خيط صغير من نور.

الثور: أعرف حق المعرفة ذلك الموّال. أعرفه... ناهيك بأنّك لست راعياً حقيقياً. إذ يتوفّر لديك كلّ ما يلزمك حتى نبيذ البوردو ولسان القط[1]. فإيّاك أن يستبدّ بأبيك الغضب...

(يزفر بشدة)

الابن: أبتاه، اسمعني. لا أريد من امرأة... فأنا أعرف حوريّة.

الثور: تعرف حوريّة؟

الابن: أعرف حوريّة، أجل. حوريّة حسناء.

الثور: حوريّة... ألست بعض الشيء.

الابن: ليس بك من حاجة لأن تتعوّذ فتلمس جبهتك. أنا أعرف حوريّة.

---

(١) بسكويت طويل. (م)

الثور: وما معنى قولك هذا؟

الابن: وليست هي نفسها في كل مرة. فأنا أراها من بعيد في ثوبها الأبيض الذي يتحول إلى الأزرق أو الأسود، حسب النهار، بل حتى إلى الأخضر، مزيناً بشقائق النعمان الحمراء. وهي تقترب من الكوخ الجبلي مقبلة من الدروب الصعبة. فترتفع يدها... على هذا النحو... من بعيد. وأهبّ أنا لملاقاتها، أما حين أصل فأجدها قد طارت وسط رنين جلاجل... مثل جلاجل البريك[1] تماماً... وأجد مكان قدميها أربع حبّات من الفراولة موضوعة فوق ورقة كرمة. أو أجد ثلاث زهرات لؤلؤية مثل زهرة الربيع التي تنمو هنا في حديقتنا.

الثور: يا للولد المسكين... يا للمعوّق المسكين... سيتوجب علينا الذهاب به إلى طبيب في مونبوليية.

الابن: وذات مرة تركت لي الحورية ساعة، وهي ساعة ذهبية صغيرة.

الثور: هل تريد أن تعرف حقيقة نفسك؟ أنت أحمق. أفضّل أن أقول لك ذلك. ولا يهمّني إنْ كنتَ ستتألّم.

---

(١) عربة بأربع عجلات يجرّها جوادان.

الابن: أما أنا. فآكل حبّات الفراولة وآخذ الزهرات اللؤلؤية وأرقد فوق الصخرة وأستسلم للنوم. لكني، قبل ذلك، أضع إلى جانبي وردة ينبوع من الحجر الملوّن هدية للحورية. وحين أستيقظ تكون الوردة قد اختفت. وهذا دليل على أن الحورية رجعت. كما أنني أحسّ على فمي بنكهة الياسمين. وتكون يداي عابقتين برائحة المسحوق، مسحوق الرز، وعلى جسدي كلّه...

الثور: يا وليدي المسكين.

الابن: ماذا! «يا وليدي المسكين». «لكن ماذا بشأن الساعة؟ ساعة الحورية؟ هل تعتبرها هزلاً؟ أليس لها من دلالة؟ هاك، خذ الساعة وانظر إليها.

الثور: هاتِ لأرى. أين عثرت على هذه؟

الابن: الحورية...

الثور: صه! ليأخذك الشيطان أنت وحوريتك... فهل أضحيتُ أنا المجنون في نهاية المطاف؟

الابن: ولكن ليست هذه الساعة وحدها فقط!

الثور: ليست هذه الساعة وحدها فقط؟ ماذا تقصد بقولك هذا؟

الابن: هذا مفهوم.

الثور: تعال. أرني ما في جيوبك! أفرغ جيوبك! هيا أسرع، قبل أن يفور دمي. ما هذا؟... مقراض للأظافير؟... وقلم من الفضة. ومشط. وشيء لتزيين الوجه...

الابن: هذه اسمها رشاشة بودرة. فالحورية باحت لي بذلك.

الثور: ورباطة ساق زرقاء. ورافعة للنهدين من علامة سان جورج... وقصائد شعرية موجّهة لك، وأنت أيها التنبل لا تجيد الكتابة! ومشبك!... وجورب من الحرير... لا شيء إذن غير اللوازم النسائية!... ولكن، ألف لعنة على إبليس! هذا هو المشبك الذي أهديته أنا للمحاسبة بمناسبة يوم عيدها... والساعة تذكّرتها الآن... إنها ساعة المستخدمة في البريد... إيه! فالمسألة كلها قذارات في قذارات!...

مدام غونتران: أيها «الثور»، على رسلك، حاذر أن يتعكّر مزاجك... أما المشابك والساعات فمتوفرة لدى البائع، كما تعلم...

الابن: لكنّ ذلك كله ليس من عند البائع. فالحوريات...

الثور: آه. إذا ما واصلتَ أنت الكلام فسوف أطيح برأسك.

ولقد صرعتُ، كما تعلم، من هم أقوى شكيمة منك بكثير. فحاذر أن تحيد عن الصواب لأنني لم أتغير . . . (ينتحب) أنا الذي أعيش هنا وحيداً بلا امرأة، وحولي من النساء ثلاثون، لكنّهن للهزل فقط. وجلّ ما يفعلنه، هو الإنفاق علي حسابي، سواءٌ كنّ بناتي أم بنات أخي وأخواتي أم كلّ اللواتي يرغبن في ذلك. وبينما أهيم أنا مضنىً في الصحراء، يدّعي هو، هذا الماجن، هذا العربيد، هذا القوّاد، أنه يريد أن يصبح راعياً، لتقوم من بعد نساء داري كلّهن، واحدة في إثر أخرى، باللحاق به وملاقاته هناك فوق المرج.

مدام غونتران: بين الصخور . . .

الثور: فوق المرج! إذا ما بادرته بصفعة، قضيت عليه. وذا ما ارتدعتُ، لفظتُ أنفاسي من الغيظ.

الابن، بعناد: إنها حورية. إنها حورية. متغيّرة وحسناء. إنما أنا أقول الحقيقة.

مدام غونتران: أكظم غيظك، أيها «الثور». فالمسألة ليست بذات قيمة. ولن يفيدك الغضب في شيء. فهو ما يزال فتياً.

الثور: وأنا، ألست بدروي فتياً، مع كل ما في عروقي من دم،

وما يعتمل في جسدي من رومستيك[1]؟ فتُوتّي كامنة هنا وهنا وهنا. إنها في جسدي كله. إنها تخنقني. إنها تقتلني. إنها... أنا... أما هو، هذا القذر، فبينما أنا أرسل إليه النبيذ الفاخر والأسماك الشهية، بل مدفأة للأقدام أيضاً، إذ يستقبل نسائي، ولا يقدّم من نفعٍ إلا النظر إلى القمر. إنّ واحدة من أشدّ سورات غضبي قد بدأت.

الابن: أنا راعٍ إلى حد ما، هذه حقيقة. أقصد أنّي على شيء من البساطة. لكنني يا أبتي، لا أريد مع ذلك أن يستبدّ بك الغضب... أؤكّد لك إنها حورية... أقسم لك على ذلك... حورية حقيقية... تظهر مساءً، أو صباحاً، حسب الظروف... أما أنا، فلا دخل لي في ذلك... جلّ ما أعرفه، أنها تأتي. وأن ذراعيها تفوحان برائحة عجينة النوغا[2] البيضاء. وأنّ ساقيها مثل جداول من لبن. وأنّ مجرّد التفكير في ذلك...

الثور: يا لغضبي الشديد، يا لغيظي، يا لفوران دمي! لا، لن تمرّ المسألة هكذا! فهؤلاء الحوريات كلهن، والنساء

---

(١) رومستيك – قطعة لحم من كفل البقرة.

(٢) نوغا: حلوى بيضاء معجونة بالفستق والجوز.

كلهن، والفتيان كلهن قد سخرن مني على ما يبدو. وما من واحدة، ليس هنا من واحدة تستطيع أن تلومني على شيء... أيّ شيء... لا بكلمة... ولا بحركة... أما هو، في تلك الأثناء. لكن سيعلم الجميع من أنا... الأب! الثور! رب البيت!... هلّموا! الجميع إلى الأسفل. (يصيح ناحية الدرج) فلينحدرن جميعهنّ، جميعهنّ! الباريسية مع ألوانها! البنات، بنات العمومة، المقيمات، المستخدمات! المركب كلّه! المركب كلّه!

(تتجاوب أصوات النساء، يقطعها نشيد الناي للفتاة الخرساء)

ماذا يجري؟ إنه هو، إنه الابن! ولكن ما الذي حصل؟ الابن هنا... أنا عليّ أن أذهب إلى مدرستي... لا يسعني أن أتأخّر... لا وقت لدميّ الآن لذلك... السيد لافيد في سورة غضب عارم.

الثور: إصغينَ، يا زمرةً من... أتحدثُ إليكنَّ بادئ الأمر... وأنا في حالة غضب عارم... أنتنّ عصابة من... من...

صوت الباريسية: لكن أستميحك عذراً... ماذا دهاك؟ أنا لا أحتمل.

الثور: أنتِ، أيتها الباريسية، تقيمين عندي، فيما بيننا، ولم أعرف حتى الآن شكل ما تحملينه من مال. ولا ألومك على ذلك، لكنّك سوف تتحملين ما تتحملينه. فهنا، أنا الكل بالكل. إذن... الشابات... والمسنّات... والسمراوات... والأخريات... وحتى الكلبة، آه! روسجوا، كم اشتقت إليك، طول يومين في الشهر الأخير... إذا... الجبل... ماذا؟ إلى هناك أذن كنتنّ تتوجّهن. الآن فهمت... فهمت... فعلى الدوام، كانت واحدة متغيبة... فإنت، يا معلمة المدرسة. لا تختبئي وراء لِداتِك، لقد ذهبت إلى الجبل، بالتأكيد.

صوت: كان ذلك ضرورياً. كنت أُعِدُّ دفتر الأعشاب. وهو مقرر في المنهاج.

الثور: وأنتِ يا عاملة البريد، أجيبي!

صوت: يوم الأربعاء الماضي... إيه! طيّب... أصيب الساعي بالتواء مفصلي... وجاءت رزمة بريدية لمزرعة البلوطات الأربع. عندئذ سلكت الدرب.

الثور: لا داعي للكلام على الباريسية. فلديها كل الأعذار بسبب مشاهد الغروب. وأنتِ، أيتها المحاسبة.

صوت: يوم الأحد الماضي، وأنا أُعدِّدُ الغيمات، تحت تأثير العادة! وإذ بي قد وصلت. . .

الثور: طيّب! لا بأس. . . وأنت أيتها الخياطة؟

صوت: الريح سلّكتني[1]. (حولّت وجهتي).

الثور: وأنتِ، يا ماريا؟

صوت: المطر. . .

الثور: وأنتِ، يا ناتالي؟

صوت: فكرة. . .

الثور: وأنتِ؟ أجل، أنتِ يا صانعة السجق. بذراعيك اللتين تشبهان السجق؟

صوت: زهر الجنتيانا. . . وأزهار الربيع.

الثور: وأنتِ؟

صوت: حلم. . .

الثور: وأنتَ

صوت: عزفَ على الناي.

الثور: وأنتِ؟

صوت: ربما. . .

الثور: وأنتِ؟

---

(١) في الكلام تورية خاصة باللغة الفرنسية. لأن الفعل aiguiller يعني تسليك إبرة الخياطة، ويعني أيضاً تحويل الاتجاه. (م).

صوت: أربع مرات. . .

الثور: أربع مرات! وأنتِ؟

صوت: حتى أتعلّم. . .

الثور: وأنتِ؟

صوت: حتى أنسى. . .

الثور: وأنتِ؟

صوت: كل ليلة. . .

الثور: وأنت، يا فاني الكوّاءة، كلا، لا تجيبي. عُدْنَ كلكنّ، أنتِ والأخريات. عُدن بسرعة ألى أنفسكن. عدن إلى بطونكن الرطبة. (يلتفت ناحية أميلي) امضي أنتِ أيضاً، أيتها الصغيرة، مع ينبوعك وصخرته. (يلتفت صوت مدام غونتران) وأنتِ، يا اشبينتي، هلاّ انصرفتِ.

مدام غونتران: لكن لا أريد لك أن تغتمّ، بسبب ما هذرت به كل هؤلاء البلهاوات، أو بسبب الكشف الذي قدمه لك غريب الأطوار هذا. يا غاستون، أقْسِمْ لي على ألاّ تُلحقَ أيّ أذى.

الثور: اطمئني. لن أفعل به شيئاً. (يلبث الثور وحيداً مع ابنه). لن أفعل بك شيئاً. إلا أنّك أنت، قد فعلت بي.

لكن لندع ذلك. ها أنت إذن غدوت الآن كبيراً. الرجل ابن المرأة. فأمّه تُباشره وعشيقاته يُنْجِزْنه. أنتَ رجل. أنت رجل ناجز.

الابن: أنا راع في الجبل أمسك زهرة بأسناني. سأعود إلى الجبل تحت الكواكب حيث كل شيء نقي.

الثور: إيه! لا تضحكني. فبوسعي أن أقهر الضحك. تريّث قليلاً! فلديّ فكرة، يا بنيّ... إنّها فكرة ثور.

الابن: ولكن ما الذي فعلته حيالك؟ لا تنظر إليّ على هذا النحو. ماذا ستفعل بي وأنت تحمل هذه السكين؟

الثور: إفتح أصابعك. اضغط على المقبض. هل رأيت. أنت تمسك بها. وأنت قادر على ذلك. لقد بقيت في يدك. وضعتُ في يدك مفتاحاً. إنه مفتاح الخزنة. سوف تتحمّل أنت، يا ولد، من الآن فصاعداً، عبء الميزان.

الابن: ولكن ليس من شيء، بالنسبة لي، يعدل القمر والهدوء...

الثور: لقد! لقد! لقد! لقد لمستَ اللحم الأبيض. فلكَ الميزان والنّصل والمفتاح. ستكد سعياً مخوّضاً في الدم، وسط القضاة والأرقام. لقد لمست اللحم الأبيض وتُوَيْجَاته الحمراء. فالمسه حتى الأعماق. واستمتعت بصحبةَ

المحاسبة. فامضِ للغوص في دنيا الحسابات. ومن بعد صانعة السجق عليك أن تخرق دكان السجق. كلا! كلا! إحتفظ بهذه السكين. فبوسعك، إن شئت، أن تعلوني بها.

الابن: أبتاه . . . بابا، حبيبي . . .

الثور: أما أنا، فوداعاً، إنّني مرتحل. سأكون فقيراً. سأصبح ناحلاً. سأجرّب حظّي بحثاً عن سقف يأويني. وقد أتعاطى تأليف الأغاني، فمن يدري؟

الابن: لكنّك لن تتخلى عن قسائم الضرائب ولا عن البهائم ذوات القرون.

الثور: سوف أتضايق! يبدو أنهم يجمعون عمّالاً في ناحية غارابيت. لأنهم يشقّون قناة للخط الحديدي. وسوف يستخدموني من فورهم. سأقيم مع أترابي في أكواخ خشبية مثل أكواخ زنجبار. قلت لك مثل أكواخ زنجبار! وبعد أن أنتهي من قضيّة زنجبار، سأيمّم وجهي شطر باريس. سيكون حذائي مليئاً بالثقوب. أثناء الليل، سأقف أمام المنازل المشادة بالحجر أتأمّلها وأقول: «يا لكم من بهائم». أما أنت، يا سيدي، فسوف تصبح مستشاراً عاماً. سيكون لديك منجماً من الذهب، وتأكل الاسكالوب. يا روكفلر! ماذا تقترح؟

الابن: لكنك قلت لي من توك. . .

الثور: كلا. فأنا الآن أتحدث إلى نفسي.

الابن: أنا سأجيبك. إنّ النجوم لا تُقيتُ أبداً سواءٌ شاهدتها من على الجبل أم من العاصمة. أما أن تقذف بنفسك من علٍ في الاستقلالية أو في الفناء، فهل تعرف إلى أين سيؤول بك الكلام المعسول؟ بوسعك أن تبيع ربّاطات في المعارض. فمهنة البائع الجوّال فيها حرية وانطلاق.

الثور: الربّاطات، ورافعات النهدين من علامة سان جورج، والاسفنج والدبابيس مع كل اللوازم البيئية. إنّ رأيك لصائب، أيها الخليع. فأنت كريم المحتد خلفاً عن سلَف. وقد جئت لتكون جزّاراً ضخماً مثل الذراع. أما أنا، فيوماً أكون في ليون وفي الغد تجدني في بارلودوك، ومن كثرة التجوال. . . والفتيات، والجداول. . . سأكون مغرقاً في الضحك وأنا أستقبله، ذلك الفارس الأخير القادم إلى موعد الإنسان، والذي يقتات باللّحم الفاسد، الموت.

« ستار »

جان جيرودو

المسرحية الرابعة

أبوللون دوبيلاك

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Jean Giraudoux

L'Apollon de Bellac

غداً يتولاك إحساس بالخفّة، فتبتسم مبتهجاً من غير سبب، ويعمد ساعاتّي إلى تنسيق الفصول والمواقيت والسخط والعذوبة داخل ذهنك: ذلك أنّ المسرحية كانت جيدة. في بعض الأحيان، ألمح في الشارع وأنا أركب الحافلة، رجلاً مسناً بديناً يتأبط ذراع صبية رشيقة الحركة. مشيتهما مكهربة، وكلّ منهما يحنو على رفيقه بوجه وضاء. فتتولاني الثقة في أنهما قد شاهدا بالأمس مسرحية جيّدة. لكن دعِ المسرحيّة جانباً تجد أنّهما يَعيان اليوم كلّ شيء. يعيان الطقس الجميل والحياة وأوراق شجر الدلب وآذان الجياد. . . كانت المسرحيّة مكتوبة بجلاء، فسرى أسلوبها فوق النفوس المشوّشة بأعباء الحياة طيلة الاسبوع، مثلما تسري المكواة فوق الملابس، فتغدو كلّها ملساء. . .

جان جيرودو

الشخصيات حسب ظهورها على خشبة المسرح

السيد دوبيلاك	Le Monsieur de Bellac
الحاجب	L' Huissier
أنييس	Agnés
الأمين العام	Le Secrétaire général
السيد دوكراشتون	Monsieur de Cracheton
السيد ليبيدورا	M. Lepédura
السيد رازموت	M. Rasemutte
السيد شولز	M. Schulze
الرئيس	Le Président
الآنسة شفردان	Mademoiselle Chévredent
تيريز	Thérése

قدّم لوي جوفيه وفرقته عرضاً لمسرحية «أبوللون دوبيلاك» في ١٦ حزيران ١٩٤٢ على مسرح ريودي جانيرو البلدي، تحت عنوان «أبو للون دومارساك».

وعُرِضت المسرحيّة لأوّل مرة في باريس، من قبل نفس الفرقة وتحت العنوان ذاته، على خشبة مسرح «الأتينيه» في ١٩ نيسان ١٩٤٧.

قاعة الانتظار في مركز المخترعين الكبار والصغار.

المشهد الأول

أنييس. الحاجب. السيد دوبيلاك.

أنييس: هنُا مركز المخترعين الكبار والصغار؟

الحاجب: هنا تماماً.

أننيس: بودّي أن أُقابل الرئيس.

الحاجب: هل الاختراع صغير أم متوسط، أم كبير؟

أنييس: لاأدري بمَ أجيبك.

الحاجب: صغير؟ إنه من اختصاص الأمين العام. عودي يوم الخميس.

السيد دوبيلاك: ومن قال لك أيّها الحاجب إنّ اختراع الآنسة صغير على ذلك النحو.

الحاجب: وما تدخّلك فيما لايعنيك؟

السيد دوبيلاك : إنّ الطابع المميز للمخترع أن يكون متواضعاً. فالزّهو من اختراع غير المخترعين. وتضيف الآنسة للتواضع الخلاق، تواضع جنسها اللطيف. لكن مايدريك إن كانت ستعرض عليك اختراعاً كفيلاً بإحداث انقلاب في العالم!

أنييس : ياسيدي . . .

الحاجب: إن الرئيس هو الذي ينظر في مامن شأنه إحداث انقلابات في العالم. ويستقبل المراجعين كل يوم اثنين من الساعة الحادية عشرة حتى الثانية عشرة.

السيد دوبيلاك : ونحن في يوم الثلاثاء!

الحاجب: ليس الأمر في يدي، مالم تكن الآنسة قد اخترعت مايجعل من يوم الثلاثاء متقدِّماً على يوم الاثنين.

السيد دوبيلاك: ياللفوضى! فالبشرية تنتظر، وهي في حالة من الغمّ، اختراعاً يسمح بتطبيق قوانين جاذبية النجوم على حياتنا اليومية، في ميادين المرسلات البريدية واندمال الحروق . . . وقد تكون الآنسة . . الآنسة، ماإسمك؟

أنييس : الآنسة أنييس.

السيد دوبيلاك : وقد تكون الآنسة أنييس حملته إلينا . . .
كلاّ ، عليها أن تنتظر حتى يوم الاثنين!

الحاجب : أرجوك أن تلتزم الصمت . . .

السيد دوبيلاك : لن ألتزم الصمت . سأصمت يوم الاثنين . وصنف الخضار الوحيد! قارّات خمس تتحرّق عاقدة الأمل على صنف الخضار الوحيد الذي سيستهزىء بالتخصص المتمثل في الكرّاث والعنب والمقدونس ، والذي سيصبح اللحم والخبز العالميين ، والنبيذ والشوكولاته ، ويهبنا الاشنان والقطن والعاج والصوف على المُراد والخاطر . والآنسة أنييس نفسها تأتي به . وإنّ الذي عجز باراكليس وتوربين عن تخيله ، قد قامت هي باكتشافه . أما بذور صنف الخضار الوحيد هذا ، فمحفوظة هناك في مكان دافىء في حنجرتها ، تنتظر توقيع شهادة الاختراع من رئيسكم ، لتنطلق فتنْتَشِ وتنتشر . لكن لا ، يجب عليها الانتظار حتى يوم الاثنين .

أنييس : ياسيدي . . .

الحاجب : السجل فوق الطاولة . فلتدوّن اسمها ليوم الاثنين!

السيد دوبيلاك : أجل، هاك الواقع! ففي الساعة الأولى من يوم الاثنين، يتقدم الأغبياء الذين ابتكروا المسمار من غير رأس أو الصمغ بالموسيقى، فيستقبلهم الرئيس فوراً، أما البشرية البائسة فتواصل طول أسبوع، الغوص حتى الأرداف في وحل مزارع الرز، وإرهاق عيونها وهي تغرق بين بذور الفجل البيتي وبذور الفجل البري، وعلاج جروحها بكشاطة البطاطا، بينما صنف الخضار الوحيد ينتظر هنا... والقبة السماوية!... إن الآنسة أنييس لن تدوّن اسمها...

الحاجب : لايهمني الأمر.

السيد دوبيلاك : ماذا تقول؟

الحاجب : قلت: لايهمني... ألم تفهمني؟

السيد دوبيلاك : بلى. و «برنار باليسي» قد فهم بدوره، حين أجابه حاجب الملك، بعد أن تقدّم بطلب إعانة مالية: لايهمني، فأرغمه على أن يحرق في فرنه الخاص كل أثاث بيته من طراز هنري الثاني...

الحاجب : أثاثه من طراز هنري الثاني: ذكّرتني بما عليّ من إعداد لقاعة المجلس (**يخرج**).

المشهد الثاني

أنييس . السيد دوبيلاك

أنييس : أشكرك ياسيدي . لكنني لم أبتكر صنف الخضار الوحيد .

السيد دوبيلاك : أعرف ذلك . فأنا قد ابتكرته .

أنييس : إنّي أبحث عن عمل . هذا جلّ مافي الأمر .

السيد دوبيلاك : هل أنت ضاربة آلة كاتبة؟

أنييس : ضاربة آلة؟ ماهذا العمل؟

السيد دوبيلاك : هل تجيدين الاختزال؟

أنييس : لاعلم لي بهذا .

السيد دوبيلاك : هل تتقنين لغات أجنبية أم فن المراسلات أم الأرشفة؟ أوقفيني على اختصاصك .

أنييس : لو مضيتَ في تعداد مفردات قاموس الأعمال لما قاطعتك أبداً .

السيد دوبيلاك : ماأنتِ إذاً؟ متبرجة أم وفيّة أم شرهة، عذبة أم متوقدة أم ساذجة؟

أنييس : هذا في الواقع هو الحقل الذي أقع ضمنه.

السيد دوبيلاك : لابأس. فهو يَعِدُ بمستقبل مشرق.

أنييس : كلا. فأنا أخاف من الرجال. . .

السيد دوبيلاك : أيّ رجال؟

أنييس : حين أراهم أتخاذل. . .

السيد دوبيلاك : تخافين من الحاجب؟

أنييس : أخاف من الجميع. من الحجّاب والرؤساء والعسكريين. وحيثما لاقيت رجلاً، انتابني إحساس سارقة في مخزن كبير وهي تشعر بأنفاس المراقب تلفح عنقها.

السيد دوبيلاك : سارقة ماذا؟

أنييس : فتستبدّ بي الرغبة في أن أتخلّص بأيّ ثمن من الحاجة المسروقة وأن أقذفه بها وأنا أصرخ : دعني أهرب.

السيد دوبيلاك : أيّة حاجة؟

انييس : إني لاأتساءل ماهي. إني أخفيها. فأنا خائفة.

السيد دوبيلاك: لاشك في أنّ بزّتهم هي التي تؤثّر فيك؟ أو ألبستهم وسراويلهم؟

أنييس: أتيح لي أن ألاقي سبّاحين. كانت سراويلهم على الأرض. لكنّ العبء ظلّ يثقل صدري.

السيد دوبيلاك: قد يقتصر الأمر على أنّهم لايروقون لك، ليس إلاّ.

أنييس: لاأظنّ ذلك. فعيونهم الشبيهة بعيون الكلاب تروق لي، كذلك الشعر على أجسادهم، وأقدامهم الكبرى. بل إنّ لهم أعضاء خاصّة بهم تستأثر بعطفي، كتفاحة آدم أثناء الطعام على سبيل المثال. لكن، ماإن ينظروا إليّ أو يكلّموني حتى أجد قواي قد خارت.

السيد دوبيلاك: ألا يروقُ لك أن لاتخار قواك من بعد؟

أنييس: ماذا تقول؟

السيد دوبيلاك: ألا يروق لك أن تقتاديهم على هواك، وأن تحصلي منهم على كل مبتغاك، فتجعلي الرؤساء يغوصون والغائصين يرتقون؟

أنييس: وهل هناك وصفات؟

السيد دوبيلاك: وصفة واحدة لاتخيب!

انييس : ولِمَ تقول لي ذلك! مادمت رجلاً . . .

السيد دوبيلاك : تجاهليها تبقَ حياتك مُنَفِّرة! إعملي بها تصبحي ملكة العالم!

أنييس : ملكة العالم! إيه! وماذا ينبغي أن أقول لهم! . . .

السيد دوبيلاك : أليس فيهم من يصغي؟

أنييس : لاأحد.

السيد دوبيلاك : قولي لهم إنهم وسيمون!

أنييس : أقول لهم إنّهم وسيمون وأذكياء ومرهفو الحس؟

السيد دوبيلاك : كلا! إنّهم وسيمون. ذلك أنّهم يتدبّرون أنفسهم فيما يختصّ بأمور الذكاء والقلب. إنّهم وسيمون . . .

أنييس : للجميع؟ للذين يتمتعون بالموهبة والعبقرية؟ هل أقول لعضوٍ في الأكاديمية إنّه جميل؟ لن أجرؤ أبداً . . .

السيد دوبيلاك : حاولي حتى نرى! للجميع! للبسطاء والمسنّين والنفّاجين. قوليها لأستاذ الفلسفة تحصلي على شهادتك. قوليها للقصّاب تجديه قد خبّأ لك أجود أصناف اللحم. وللرئيس هنا تحصلي على وظيفة.

أنييس: لكنّ ذلك يتطلّب صداقة حميمة حتى أجد المناسبة لأقول لهم ذلك . . .

السيد دوبيلاك: بل بادريهم بالقول فوراً. قولي ذلك من أوّل نظرة، إذا خانك صوتك. وليكن ذلك منذ اللحظة التي سيسألك فيها عن سبينوزا أو يقتطع لك طلبك من اللحم.

أنييس: لابد من الانتظار كي ألقاهم بمفردهم! أي أن أكون بمفردي مع الواحد منهم.

السيد دوبيلاك: قولي لهم إنّهم وسيمون وهم في حافلة الترام، وفي قلب قاعة الامتحان وفي دكان القصاب وهي غاصّة بالزبائن. لأنّ الشهود، على العكس من ذلك، سيكونون بمثابة ضمانة لك!

أنييس: وماذا أقول لهم إن لم يكونوا وسيمين؟ وتلك هي، مع الأسف، الحال الأكثر شيوعاً!

السيد دوبيلاك: هل أنت محدودة التفكير، ياأنييس؟ قولي للدميمين ولمعوجّي الساقين وذوي الدّمامل، إنّهم وسيمون . . .

أنييس: لن يصدّقوا ذلك!

السيد دوبيلاك: سيصدقون كلُّهم. والجميع يعتقد ذلك مسبقاً. فكلّ رجل، حتى الأكثر دمامة، يتعلل بومضة ويُنمي داخله سِراً يصله مباشرة بذات الجمال. جلّ مافي الأمر أنّه سيسمع بصوتٍ عالٍ، والكلمة التي ترددها مُجاملتُه على مسامعه بصوت خافت. أمّا الذين لايصدقون، إذا وجد من لايصدق، فسوف يكونون الأكثر اغتراراً. فهم يعتقدون أنّهم دميمون، لكن هناك امرأة بوسعها أن تجدهم وسيمين، فيتشبثون بها. فهي بمثابة النظارة السحريّة بالنسبة لهم، والجهاز المنظم لعالم ذي عيون شوهاء، فيلازمونها أبداً. وحين ترين امرأة محاطة في حلّها وترحالها بهيئة أركان من المريدين، فاعلمي أنّ ذلك ليس مرده إلى أنّهم يجدونها جميلة بل لأنها قد قالت لهم إنّهم وسيمون...

أنييس: آه، هناك نساء إذن يعرفن الوصفة من قبل؟

السيد دوبيلاك: يعرفنها معرفة مغلوطة. إنّهن يواربن. فيقلن للأحدب إنّه كريم وللمصاب بالعدة الورديّة إنّه عطوف. كل هذا بلا طائل. لقد عرفت امرأة خسرت الملايين، من لآلىء وعقود ألماس، لأنّها قالت لرجل

أعوج القدم إنّه يمشي بسرعة. كان ينبغي أن تقول له، وينبغي أن تقول لهم إنّهم وسيمون... هيّا...
فالرئيس ليس لديه يوم محدّد لسماع من يقول له إنّه جميل...

أنييس: كلا. كلا. سوف أعود. دعني أولاً أتمرّن. لي ابن عم لابأس بشكله. وسوف أتمرّن بصحبته.

السيد دوبيلاك: سوف تتدربين على الفور. وعلى الحاجب!

أنييس: على هذا المسخ؟

السيد دوبيلاك: ليس للمسخ مثيل في حقل التدريب. ومن بعده الأمين العام. إنه ممتاز أيضاً، وأنا أعرفه، بل هو أكثر بشاعة ومن ثم الرئيس...

(يظهر الحاجب، يتردد ثم يدخل قاعة المجلس)

أنييس: لايمكن لي أن أبدأ بالحاجب أبداً.

السيد دوبيلاك: طيّب، لابأس. ابدئي بهذا التمثال النصفي!..

أنييس: تمثال من هذا؟

السيد دوبيلاك: ليس لهذا من أهمية. إنه تمثال الرجل. وكلّه آذان صاغية.

أنييس : إلا أنّه بلا لحية . وليس مايمنحني الثقة بالرجال غير اللحية . . .

السيد دوبيلاك : طيّب ، تحدّثي إلى أيّ كان ، إلى أيّ شيء إلى هذه الكنبة أو إلى ساعة الحائط تلك !

أنييس : لكنهما من الأشياء المؤنثة .

السيد دوبيلاك : إلى هذه الفراشة[1] ! هاهي تقف على يدك . لقد تخلصت من أزهار الياسمين والورود وجاءت لسماع الثناء والمديح . هيّا .

أنييس : ألا كم هي جميلة !

السيد دوبيلاك : خاطبيها مباشرة .

أنييس : كم أنتِ جميلة !

السيد دوبيلاك : أترين : إنها تهز جناجيها . زخرفي كلامك قليلاً . زينيه قليلاً . بم تزهو هذه الفراشة على نحو خاص؟

أنييس : بمشد خصرها على ماأحسب . وبخرطومها .

السيد دوبيلاك : هيا إذن ! ألا كم هو جميل مشدك ! . .

(١) الفراشة بالفرنسية مذكّر : Le Papillon (م).

أنييس : كم هو جميل مشدك، يافراشة! أنت ترتدين مخمل جنوة! كم هو جميل هذا الأصفر وهذا الأسود. أنا لن أصدّق أبداً أنّ زهرة مثلك ذات خرطوم! فهذه مدقّة.

السيد دوبيلاك : هذا جيد جداً. هاك الحاجب. أبعدي الفراشة.

أنييس : إنّها تتشبث!

السيد دوبيلاك : قولي لها إنّك تفضلين اللون الأحمر. أما الآن، فاصغي إليّ. استخدمي طريقة الفراشة ذاتها مع الحاجب، لكن حول ما يماثل المشد والخرطوم لدى الحاجب، فذاك مؤكد.

أنييس : دعني أحدثه على الطقس أولاً. أنظر إليه. ياإلهي!

السيد دوبيلاك : كلا، لتكن كلمتك الأولى هي الكلمة المقصودة، من غير استهلال ولا مقدمة.

أنييس : أيّة كلمة؟

السيد دوبيلاك : وسوف تتعثرين وتتخبطين من بعد، لكن لايُهم. فالكلمة قد قيلت!

أنييس : أيّة كلمة؟

السيد دوبيلاك : وهل أعيدها على مسامعك مئة مرة؟.. كم أنت وسيم!...

المشهد الثالث

أنييس الحاجب

أنييس: بعد كثير من التردد . كم أنت وسيم!

الحاجب: ماذا قلت؟

أنييس: قلت: كم أنت وسيم!

الحاجب: هل يقع لك مثل هذا كثيراً؟

أنييس: بل هي المرة الأولي في حياتي. . .

الحاجب: تقولين لواحد رأسه مثل رأس الغوريلا، إنه جميل؟

أنييس: قد لاتكون جميل هي الكلمة المناسبة. فأنا لاأحكم على الناس تبعاً لصفاء شكل المنخرين أو انحراف العين. أنا أحكم على الشكل الكلي.

الحاجب: إنّ ماتقولينه لي إذن يمكن إجماله كالتالي: تقاطيعك كلها قبيحة أما شكلك الكلي فجميل. .

أنييس: إذا شئت! لكن دعني وشأني. وإيّاك أن تظن أني أسعى إلى تملق حاجب قذر مثلك فأقول له إني أجده جميلاً.

الحاجب: اهدئي! اهدئي! . . .

أنييس: إنها أول مرّة أقول فيها هذا الكلام لرجل. ولن أعيده أبداً من بعد.

الحاجب: أعرف أن الفتاة في سنك تقول مايجول بفكرها. لكن لم تسيئين التعبير على هذا النحو؟

(يظهر رأس السيد دوبيلاك وهو يشجع أنييس)

أنييس: أنا لاأسيء التعبير. أنا أجدأنّك وسيم فأقول إنّك وسيم. وقد أكون مخطئة. فالذوق غير متوفر للجميع.

الحاجب: أنت لاتجدينني جميلاً. فأنا أعرف النساء. إنهن لا يرين شيئاً. وما يمكن أن يكون فيَّ مقبولاً لايرينه قط. فماذا فيّ من جميل؟ خيالي؟ . . إلا إنك لم تلحظيه . . .

أنييس: خيالك؟ آه! هكذا تظن! حين رفعت سلّة الورق، لم ينحنِ خيالك معك؟ كما أنّك وضعت خيالك في جيبك حين عبرت القاعة لتذهب الى المجلس؟

الحاجب: أنت ترينه الآن لأنني اجتذبت أنظارك إليه . . .

أنييس: أنت على حق تماماً. فلست جميلاً. كنت أحسبني أراك فرأيت خيالك.

الحاجب: قولي إذن: ياللخيال الجميل! ولاتقولي ياللحاجب الجميل!

أنييس: لن أقول شيئاً أبداً.

الحاجب: لاتغضبي. فمن حقي أن أنذرك. فأنا أيضاً، لي بنت، ياصغيرتي. وأعرف ماحقيقة البنات في سنّك. ولما كان خيال الرجل يروق لهن على نحو مباغت، فانّهن يجدنه جميلاً. يجدنه جميلاً من قدميه حتى رأسه. فالخيال الجميل نادر في واقع الأمر. أمّا أفضل ماقدّمه اليابانيون فكان بواسطة الخيالات، وهو مادعي بالظلال الصينية. الخيال شيء محسوس. ولكل امرىء خياله حتى الممات. والهيكل العظمي من بعد له خياله. لكنّ هؤلاء الحمقاوات لايفرّقن بين الخيال والجسم، وإذا قام الأحمق الآخر فأصاخ السمع قليلاً، فقد انتهى الأمر. إنّ الغبيات سيفسدن الحياة . . . كما أنّ المرء لايحيا مع الخيالات، يابنيتي!

(يظهر رأس السيد دوبيلاك)

أنييس: أنت وسيم حين تغضب! ولن تستطيع إقناعي بأنّ هذه الأسنان هي أسنان خيالك؟

الحاجب: هذا صحيح. فحين يتولاني الغضب، أكشف عن الشيء الوحيد الكامل لدي، وأقصد أسناني. أنا لاأدخن. وليس لي من فضل. ولاأدري إن كنتِ لاحظتِ أنّ الناب مزدوج. ولاأقصد الناب المستعار. بل الأيمن... هاك إنّ الأمين العام يرن الجرس... سأسعى لأجعله يستقبلك... سأقول له إنّك ابنة أختي.

أنييس: كم خيالك جميل حين تنتصب! حتى ليقول الرائي إنه تمثال المفكر لرودان...

الحاجب: أجل، أجل. هذا يكفي. لو كنتِ ابنتي لتلقيت صفعة مناسبة.

المشهد الرابع
أنييس . الحاجب . السيد دوبيلاك

السيد دوبيلاك : هذه بداية .

أنييس : بداية سيئة . فقد نجحت مع الفراشة أكثر مني مع الحاجب .

السيد دوبيلاك : ذلك أنّك تصرين على إضافة فكرة الملاطفة الى فكرة الجمال . فأنت مثل كل النساء . فالمرأة التي تجد السماء جميلة هي امرأة تلاطف السماء . فلا توكلي الكلام ليديك أو لشفتيك أو لخدك ، بل لدماغك .

أنييس : كان على وشك أن لايصدقني .

السيد دوبيلاك لأنّك كنت تواربين . لقد تغلب عليك بخياله . ولست مهيأة تماماً بعد للقاء الأمين العام .

أنييس : كيف أتمرّن ! فها قد وصل .

السيد دوبيلاك : حاولي معي . . .

أنييس : هل أقول لكَ أنتَ إنكَ وسيم ؟

السيد دوبيلاك: وهل المسألة شاقة إلى هذا الحد؟

أنييس: كلا، أبداً.

السيد دوبيلاك: أمعني التفكير فيما ستقولينه...

أنييس: لستَ قبيحاً على الإطلاق، حين تسخر مني على هذا النحو...

السيد دوبيلاك: النتيجة ضعيفة. فأنت تواربين. أنت تواربين.. ولم حين أسخر؟ ألستُ جميلاً خارج ذلك؟

أنييس: آه. بلى! أنت رائع!

السيد دوبيلاك: هاك! هاك! لقد وصلت... فليست يداكِ اللتان تتكلمان.

أنييس: لكنهما، بحضرتك، تتمتمان بعض الشيء.

السيد دوبيلاك: هذا رائع!

أنييس: حجم جسمك جميل. وقلما يهمني الرأس. لكن خط جسمك الخارجي جميل.

السيد دوبيلاك: قلما يهمك الرأس. ماذا تقصدين بذلك؟

أنييس: ليس أكثر من رأس المفكر لرودان.

السيد دوبيلاك: إنّ قيمة أقدامه أكبر بكل تأكيد... أصغي، ياأنييس. إنّ إشاراتك الى تمثال شهير لفكرة

ذكية، ولكن هل مفكر رودان هو التمثال الوحيد الذي تعرفينه؟

أنييس : الوحيد الى جانب فينوس ميلو. لكنّ هذا الأخير لايقدّم لي أية فائدة حيال الرجال.

السيد دوبيلاك : سوف نرى. يبقى من الضرورة بمكان، على كل حال، أن تضاعفي استشهادك. أشيري إلى تمثال العبد لميكل أنجلو. أو قولي تمثال أبوللون دوبيلاك.

أنييس : أبو للون دوبيلاك؟

السيد دوبيلاك : أجل. ليس له من حدود. فأنا الذي استخرجته من أجلك في هذه اللحظة، من التربة والشمس القديمتين. ولن يأتي من أحد لينازعك فيهما.

أنييس : وكيف شكله؟

السيد دوبيلاك : كان أبي جميلاً جداً... ألا كم أنا غبي! أحسنت، لقد أوقعتِ بي...

انييس : لم أسعَ للإيقاع بك. فأنت الذي علمتني الوصفة. وأنا معك صريحة.

السيد دوبيلاك : هاكم. لقد فَهِمتُ.

يدخل الحاجب. فيتخفى السيد دوبيلاك في إحدى الثنيات.

الحاجب: سيأتي الأمين العام إلى هنا ليراك، دقيقة واحدة، ياآنسة. ولا داعي لأن تجهدي نفسك. فرؤية خيال مماثل تقتضي منك القيام بزيارة الى «متحف الإنسان»[1].

(يخرج. فتقول أنييس للسيد دوبيلاك وقد مدّ رأسه)

أنييس: هل سمعت. الوضع رهيب!...

السيد دوبيلاك: واصلي التدريب.

أنييس: مع من؟ مع ماذا؟

السيد دوبيلاك: مع كلّ ماهو موجود هنا. فالأشياء أيضاً لاتصمد في وجه من يقول لها إنها جميلة... حاولي مع الهاتف...

(تتحدث الى جهاز الهاتف ثم تلمسه)

أنييس: كم أنت جميل، ياحبيبي. أيها الجهاز الصغير...

السيد دوبيلاك: لاتستخدمي يديك..

أنييس: هذا يعينني كثيراً!

---

(١) متحف تأسس في قصر شايو في باريس عام ١٩٣٧، وجرى تخصيصه لعلوم العراقة والإناسة (البحث في الأصول الإنسانية وتطور الجنس البشري..)

السيد دوبيلاك: تحدّثي الى الثريا[1]! فيَدُكِ لن تطالها. . .

أنيس: كم أنت جميلة، ياحبيبتي، أيتها الثريا العظيمة! تظنين أنك جميلة أكثر وأنت مضاءة؟ لاتقولي ذلك. . قد يكون هذا واقع حال الثريات الأُخر. وحال الشمعدانات والمصابيح الغازية. أما أنت فلا. انظري، هاهي أشعة الشمس تتراقص فوقك. أنت الثريا الشمسية. المصباح الكروي والنجمي بحاجة للإضاءة. أما أنت فلا. هاك ماأرمي إليه. أنت جميلة مثل كوكبة من النجوم، بل مثل جمال الكوكبة، لو أنها بدل البقاء معلقة على شكل ثريا مزيفة في سماء الأبدية بمصابيحها المبعثرة، تحولت إلى هذا التشكيل البديع من المصابيح البيضاء الرائعة، وقسائم زاهية من الورق المقوى، وأقراص بللورية صنعت في مقاطعة الفوج، ورسوم جبال توزعت منسقة بانتظام لتغدو لك وجهاً وجسداً.

تضاء الثريا من تلقاء ذاتها.

السيد دوبيلاك: أحسنتِ!

(١) الثريا بالفرنسية مذكّر: Le lustre (م).

المشهد الخامس

أنبيس . الأمين العام . الحاج . السيد دوبيلاك .

الأمين العام: دقيقة واحدة، ياآنسة. لديّ دقيقة واحدة . . . مابكِ؟

أنبيس: أنا؟ لاشيء . . .

الأمين العام: مابكِ، لم تنظرين إليّ على هذا النحو؟ هل تابعتِ محاضراتي في كلية الفنون والمهن حول المخترعات في الأحلام؟ هل تعرفيني؟

أنبيس: آه، كلا! بل على العكس . . .

الأمين العام: على العكس؟ ماذا يعني على العكس؟

أنبيس: كنت أتوقع رؤية أمين عام، على مثل ماهم عليه في العادة، مخلوق محدودب الظهر أو ممتلىء البطن أو أعرج أو هزيل، ووقع نظري عليك!

الأمين العام: أنا مثل ماأنا عليه.

(يظهر رأس السيد دوبيلاك)

أنييس : نعم. أنت وسيم.

الأمين العام : ماذا تقولين؟

أنييس : لاأقول شيئاً. لم أقل شيئاً.

الأمين العام : بلى. قلتِ إنني جميل. سمعتُ ذلك بوضوح وعليّ أن أقول لك إن هذا الأمر يثير لديّ شيئاً من الدهشة. فلو كنت جميلاً، لقيل لي ذلك من قبل.

أنييس : يالهن من حمقاوات؟

الأمين العام : من هي الحمقاء؟ هل هي أختي، أم أمي، أم ابنة أختي؟

أنييس : سيدي الأمين العام، بلغني عن طريق صديقة لأحد أعضاء مجلسكم، وهو السيد ليبيدورا . . .

الأمين العام : دعي السيد ليبيدورا وشأنه. فنحن نتحدث على جمالي. أنا اختصاصي في الحُلم، ياآنسة. ويقصدني كلّ الذين لايتوصلون الى اختراعاتهم إلاّ في الحلم. وقد استطعت أن أستخرج من قلب الأحلام اختراعات مدهشة مثل القداحة - الشوكة أو الكتاب الذي يُقرأ ذاتياً، وهي مخترعات كانت ستظل من دوني أضغاث

أحلام. ولو قلت لي في الحلم إنني جميل لفهمتُ.
لكننا في حالة يقظة. وهذا ماأهبه على الأقل. اسمحي
لي أن أقرص نفسي حتى نتأكد. وأن أقرصك.

(يمسك بيدها).

أنييس : آخ!

الأمين العام : وقد احتفظ بيد أنييس- نحن لانحلم. لم قلت
لي إذن إنني جميل، فذاك مالاأفهمه؟ ألكي تنالي حظوة
لدي؟ سيكون هذا التفسير سمجاً. هل قصدت
السخرية؟ لكنّ نظرتك لبقة وكلامك يأتي...

أنييس : قلت ذلك لأنني أجدك وسيماً. وإذا كانت السيدة
والدتك تجدك دميماً، فهي وشأنها.

الأمين العام : إنّ في قولك دميماً لشيء من التجني، كما لن
أرضى بأن يكون انطباعك عن أمّي غير مؤات. فمذ أن
كنتُ في الخامسة وأمي تنظر إلى يديّ على أنهما يدا أحد
الأساقفة.

أنييس : وإذا كانت أختك...

الأمين العام : لقد أسأتِ التقدير بالنسبة لأختي. وإذا كانت
تعرف تماماً أني لستَ جميلاً، فقد ظلت تصر دوماً على
أني أمثل نموذجاً معيناً. وقد قام مؤخراً أحد أصدقائنا،

وهو مختص بالتاريخ الإيطالي، بتحديد هوية ذلك النموذج فقال إنّه يدعى غالياس سفورزا. وإنّ الشبه كبير الى حدّ يثير الالتباس.

أنييس: أنت تشبه غالياس سفورزا. غير صحيح البتة! بل تشبه أبو للون دوبيلاك تلك هي الحقيقة.

الأمين العام: أبو للون دوبيلاك؟

أنييس: ألا ترى ذلك؟

الأمين العام: إلاّ إذا كنتِ شديدة التمسك برأيك، ياآنسة! فأنت تعلمين أنّ نموذج غالياس نموذج غريب. ولقد شاهدتُ منحوتات...

أنييس: لكنّ الشبه مع أبوللون دوبيلاك وهو لابس! ذلك أنني أُبدي تحفظاتٍ على هندامك. فأنت ياسيدي الأمين العام ذو هندام سيء. وأنا صريحة. لكنك لن تجعلني أقول غير قناعاتي. فأنت حقاً من الرجال الوسيمين، مثل بولانجيه ونيجنسكي. أما ثيابك فتختارها من الأسواق الشعبية.

الأمين العام: يالهذا الذي أسمعه! ومن فم شخصية فتية تقول لمن تقابله للوهلة الأولى إنه جميل!

أنييس: لم أقل هذا إلا لرجلين فقط طول حياتي. وأنت الرجل الثاني.

الأمين العام: من المؤكد أنّه مامن أحد يشبه الآخر، وأنا، وياللأسف، أدنى من سواي. **(يقول للحاجب)**. ماذا تريد. ألا ترى أننا مشغولان؟ **(الحاجب وقد دخل)**.

الحاجب: هؤلاء السادة أعضاء المجلس يصعدون الدرج. هل أقوم بإبلاغهم؟

الأمين العام: ياآنسة، إن المجلس يستدعيني. فهل تتكرّمين بإدخال السرور على قلبي بقدومك غداً لنواصل هذا الحديث الممتع؟ لاسيما أنّ ضاربة الآلة الكاتبة التي تعمل في مكتبي، لاتكفّ عن ارتكاب الأغلاط حتى بدأتُ أفكر في استبدالها. وأناعلى ثقة من أنك أنت مبدعة في فنّ الضرب على الآلة الكاتبة.

أنييس: كلا، ويالّلأسف. فأنا لاأجيد غير العزف على البيانو.

الأمين العام: لابأس. فهذه معرفة أكثر ندرة بكثير. هل تجيدين الإملاء؟

أنييس : بشكل بطيء .

الأمين العام : ذلك أفضل . لأن تلك التي ذكرتها كانت تنطلق بسرعة قصوى حتى كأنها تلقنني درساً .

أنييس : وأعيد قراءة كتابتي على نحو سيّء .

الأمين العام : هذا ممتاز . فقد كانت تلك تمثّل إفشاء الأسرار . إذن إلى اللقاء غداً ياآنسة . فهل توافقين؟

أنييس : أوافق وأنا ممتنة ، لكن لي شرط واحد .

الأمين العام : وتضعين شروطاً على رئيسك؟

أنييس : بشرط أن لاألقاك بهذه السترة البشعة . لأنّ من الأمور التي تتجاوز قدرتي على الاحتمال ، أن أتخيّل هذين المنكبين المتناسقين بانسجام ، وهذه النَغَفَةُ تغلفهما .

الأمين العام : لديّ بزّة من الحرير الهندي . عسلية اللون لكنها صيفية . وقد أُصابُ بالزكام إذا ماارتديتها .

أنييس : عليك أن تختار : إما نعم أو لا . أما أنا فأهيمُ بالحرير الهندي البيج .

الأمين العام : غداً نلتقي . . . ستقوم أختي وأمي بإزالة البقع عنها عصر اليوم . سوف أرتديها .

(يخرج. يظهر رأس السيد دوبيلاك).

أنييس: كيف ترى؟

السيد دوبيلاك: لابأس. لكنك تواربين بشكل دائم.

أنييس: لكن يدي كانتا بعيدتين. ولقد لقيت في تثبيتهما بعض العناء.

السيد دوبيلاك: لاتضيعي الوقت. فالرجال القبيحون يصعدون الدرج. تدربي أيضاً...

أنييس: مع أول واحد منهم؟

السيد دوبيلاك: معهم جميعاً.

المشهد السادس

أنييس .. الحاجب . أعضاء المجلس . السيد دوبيلاك .

الحاجب : وهو يعلن وسط القاعة أسماء الأشخاص الذين يجتازونها - السيد دوكراشتون .

أنييس : ألا كم هو وسيم!

السيد دوكراشتون : بصوت خفيض- يالك من بُنية رائعة .

ثم يدخل قاعة المجلس

الحاجب : السيد ليبيدورا . . .

السيد ليبيدورا : وهو يقترب من أنييس - طاب يومك ، يامليحة . . .

أنييس : وأنت ، ماأجملك!

السيد ليبيدورا : وكيف عرفت ذلك؟

أنييس : من البارونة شاغروبوا ، صديقة زوجتك . فهي تجدك فاتناً .

السيد ليبيدورا : آه! البارونة شاغروبوا تجدني فاتناً؟ أبلغيها سلامي ريثما القاها بنفسي لأحييها. الواقع أنها ليست في عيش هانىء، بصحبة البارون. أما زالت مقيمة في ضاحية فولني؟

أنييس : وفي المنزل رقم ٢٨. سوف أقول لها إنك مازلت جميلاً جداً.

السيد ليبيدورا : لاتبالغي كثيراً . . . **(يضيف بصوت خفيض)** إنها تقطر عذوبة. **(يدخل قاعة المجلس)**.

الحاجب : السيدان رازموت وشولز.

أنييس : ألا كم هو وسيم!

السيد رازموت : هل يسعنا أن نعرف ياآنسة من هو المقصود بقولك؟

أنييس : لينظر كلّ منكما في وجه الاخر وسوف تعرفان.

(يتبادلان النظر)

السيد شولز والسيد رازموت : إنها لرائعة!

(يدخلان قاعة المجلس. يظهر رأس السيد دوبيلاك)

أنييس : يبدو عليك الأسى. أليس الوضع على مايرام.

السيد دوبيلاك : بل الوضع فائق الجودة . لقد أفلت الشيطان من عقاله كان عليّ أن أتوجس من اسمك . فمطالعاتي من القرن الثامن عشر كانت ستذكّرني أنه يمكن للساذجات أن يتحولّن بين عشية وضحاها إلى مردة جبابرة . . .

(يقول الحاجب معلناً)

الحاجب : سيادة الرئيس ! . . .

المشهد السابع

أنييس . الرئيس . الآنسة شيفردان .

الرئيس : إذن ، أنت الظاهرة الفريدة؟

أنييس : أنا الآنسة أنييس .

الرئيس : ماذا فعلتِ بهم ، ياآنسة أنييس؟ فهذه الدار التي أتولى رئاستها ، كانت حتى صباح اليوم راكدة آسنة تحت طبقة درنة من الكآبة والكسل . وجاءت لمسة منك فلم أعد أعرفها . فالحاجب أضحى على درجة من الكياسة حتى إنه ليحيي ظلّه على الجدار . أمّا الأمين العام فينوي حضور الجلسة وقد شمر عن ساعد الجد . ومثلما تظهر بقع الشمس في فصل الربيع ، أخذت المرايا تبرز من جيوب هؤلاء السادة . فالسيد لوبيدورا لايني يتأمل مزهواً تفاحة آدم الناتئة في عنق السيد لوبيدورا . والسيد

رازمـوت ينظر بغـبطة إلى الشـؤلولة في وجـه السـيـد رازموت. فـمـاذا فـعلت بهـم؟ إنني لأشـتـري وصـفـتك بالـثـمن الذي تطلبينه. لأنهـا لاتقـدر بثـمن. مـاذا قـلت لهم؟

أنييس: كم أنتم وسيمون؟

الرئيس: ماذا؟

أنييس: قلت لهـم، بل قلت لكل واحـــد منهـم: كـم أنت وسيم!

الرئيس: عن طريق البـسـمـات وحـركـات الغنج وإشـارات الوعود؟

أنييس: كـلا، بل بصـوت عـال ونبـرة واضـحـة... كـم أنت وسيم!

الرئيس: أشكرك نيـابة عنهم، فـالأطفـال يقـومـون على هذا النحو بشدّ نابض دميتهم الآلية فتمتلىء بالحركة. وهاقد امتلأ رجالي الدمى لتوهّم بطعمٍ جديد للحياة. اسمعي هذا التـصـفـيق. لقـد طرح السـيـد دوكـراشـتـون، للتصويت، شراء مرآة بثلاثة وجوه لتعلق فوق المغسلة. فياآنسة أنييس، شكراً لك.

أنييس : عفواً. لاداعي لذلك.

الرئيس : وماذا بشأن الرئيس. ياآنسة؟ لِمَ لاتقولين شيئاً للرئيس؟

أنييس : أقول إنّه جميل؟

الرئيس : أيكون السبب أنّه لايستحق ذلك حسب رأيك؟

أنييس : كلا، بالتأكيد.

الرئيس : أم لأنّك أثرت اليوم غرور الرجال بما فيه الكفاية؟

أنييس : حاشا، ياسيدي الرئيس. فأنت تعرف ذلك حقّ المعرفة.

الرئيس : كلا، بل إني لأجهله.

أنييس : السبب أنّه ليس مايدعو لأن أقوله لك. السبب أنّك وسيم!

الرئيس : كرري قولك، أرجوك.

أنييس : لأنّك جميل.

الرئيس : فكرّي جيداً، ياآنسة... فاللحظة حاسمة. هل أنت واثقة تماماً من أنك تجدينني جميلاً.

أنييس : أنا لاأراك جميلاً. أنت جميل.

الرئيس: هل أنت على استعداد لإعادة كلامك أمام شهود؟ أمام الحاجب؟ فكري. فعليّ اليوم أن أتخذ سلسلة من القرارات يمكن أن تضعني على طرفي نقيض تبعاً لكوني جميلاً أو دميماً.

أنيس: أنا على استعداد للتكرار والإثبات بكل تأكيد.

الرئيس: لكَ الشكر، ياالهي. **(ينادي)** ياآنسة شيفردان!

(الآنسة شيفردان تدخل)

الرئيس: ياشيفردان، منذ ثلاثة أعوام وأنت تقومين بالمهام العليا كسكرتيرة خاصّة. ومنذ أعوام ثلاثة، لم يمرّ صباح ولم ينقضِ عصر، من غير أن يكون وجودك في مكتبي داعياً لإثارة الغثيان في نفسي. وليس ذلك فقط بسبب العبوس الذي يتلبسك مثلما تتلبس الطحالب جذع شجرة الكستناء، ناهيك بأن ملمس الجذع يغدو أنعم بكثير. وإنّما لأن شكلك الدميم جعلني أميل إلى الظن أنّك كريمة. ولكنك تضعين قطعة الفرنك في صحيفة المستول الأعمى لتأخذي بدلاً عنها قطعة الفرنكين. إياك أن تنكري. فهو الذي أخبرني بذلك. أما شارباك النابتان فقد حملاني على الاعتقاد بأنك حنون رؤوم. وإذ يتبين

لي أنّ النباح المحزن الممزق الذي يطلقه كلبي فوكس حين يغفو على طاولتك، والذي كنت تعزينه الى أحلامه حول مطاردة الفهود، إنما هو ناجم عن قرصاتك. لقد تحملت العيش ألف يوم مع مخلوق يمقتني ويزدريني ويجدني دميماً. ذلك أنك تجدينني دميماً، أليس كذلك؟

الآنسة شيفردان : بلى. وتشبه القرد.

الرئيس : لابأس. لكن أصغي الآن. إنّ عينيّ الآنسة تبدوان من الوهلة الأولى، أحسن استعداداً للنظر من عينيك. فليس في أجفانها إحمرار ولا في الحدقة من شحوب ولافي هدبها من غَمَص. الشمس بنورها تشع فيهما وصفاؤهما في صفاء مياه الينبوع. فكيف أنا، حقيقة، ياآنسة أنييس؟

أنييس : وسيم! وسيم جداً!.

الآنسة شيفردان : أيّ غشٍ هذا!

الرئيس : اخرسي، ياشيفردان. ألقي عليّ نظرة أخيرة. ألم يُعَدِّلْ هذا التقييم غير المغرض لفتنتي كرجل، شيئاً من تقييمك؟

الآنسة شيفردان : إنما ديَدنَكُ الهزل .

الرئيس : لقد أخذتُ علماً بذلك . والمشكلة في نظري تتلخص على النحو التالي : لديّ الخيار في أن أمضي نهاري بصحبة مخلوقة مفزعة تجدني دميماً أو برفقة إنسانة رائعة تراني جميلاً . فاستخلصي النتائج واختاري بدلاً عني . . .

الآنسة شيفردان : ستحل هذه المعتوهة محلّي؟

الرئيس : ومنذ هذه اللحظة . إن كانت راغبة في ذلك .

الآنسة شيفردان : ياللعار ! سأصعد لإعلام الآنسة .

الرئيس : أعلميها . وأنا أنتظرها بكل حزم .

الآنسة شيفردان : يَحْسُنُ بكَ أن تتبعني إن كنت حريصاً على سلامة مجموعة الآنية الصينية التي تَقْتَنيها .

الرئيس : لقد سلّمت بفقدان مجموعتي من الآنية . وأنت لمستِ ذلك بنفسك .

(الآنسة شيفردان تخرج)

أنييس : إنني لآسفة ، ياسيدي الرئيس .

الرئيس : هنئيني . فقد وصلتِ مثل ملاك ، في اللحظة الحاسمة من حياتي . ذلك أنني أحضرت لتلك السيدة ،

التي هددتني الآنسة شيفردان بها، خاتم الخطوبة . . . إنه هذا الخاتم الماسيّ . . . فهل يروق لك؟

أنييس : كم هو جميل؟

الرئيس : إن الأمر لمدهش؟ فأنا كنت أراقبك. ولقد قلت على الخاتم كم هو جميل بنفس القناعة التي قلتيها لي! فهل هو باهت وكله بشاعة؟

أنييس : إنه لرائع. وأنت أيضاً.

(يُسمعُ صوت تيريز قادمة)

الرئيس : يجب أن أكـون كـذلك من قـبل لكن بدرجـة أقل بقليل : هذه هي تيريز.

المشهد الثامن

أنييس . الرئيس . تيريز . السيد دوبيلاك .

الرئيس : عليّ أن أجري التعارف بينكما!

تيريز : هذا التعارف ليس له من حاجة ولا مستقبل مطلقاً . . . اخرجي ، ياآنسة!

الرئيس : سوف تحل أنييس محل شيفردان وتلبث هنا .

تيريز : أنييس؟ وتتلفظ في غضون عشر دقائق باسم الآنسة ، هكذا مجرداً؟

الرئيس : إنه مجرد ونقيّ طاهر . وذاك هو امتياز خاص بهذا الاسم[1] .

تيريز : وهل في وسعنا أن نعلم لماذا تحل أنييس محل شيفردان؟

الرئيس : لأنّها تجدني جميلاً .

(١) اسم «أنييس Agnés » يعني بالفرنسية : فتاة بريئة .

تيريز: هل أصبحتَ مجنوناً؟

الرئيس: كلا بل أصبحت جميلاً.

تيريز: أتعرف كيف كنتَ في هذا الصباح؟

الرئيس: في هذا الصباح كنتُ رجلاً أحنفَ بعض الشيء، ممتقعَ اللون، رخوَ الفك. كنتُ مثل ماكنتِ ترينني.

تيريز: ولاأزال أراك.

الرئيس: نعم. لكنّ أنييس تراني أيضاً. وأنا أفضّل نظراتها. وآمل على الأقل أن تظلّ تراني بنفس الجمال، رغم وجودكِ هنا.

أنييس: بل ينبغي أن أقول إنّ الانفعال قد زادك جمالاً أيضاً!

تيريز: يالها من وقحة!

الرئيس: هل سمعتِ! أنا لم أوحِ إليها بما ذكرته. إنّ الانفعال يزيدني جمالاً، حسبما تقول أنييس. ومن الواضح أنني لو كنت بالقرب من أنييس نائماً أو غاضباً أو أتصبب عرقاً، لرأت أنييس أن الإغفاء أو الغضب أو التعرق، تزيدني جمالاً أيضاً. أنت تبتسمين ياأنييس؟

أنييس: أجل. وإنه لجميل وجود رجل ذكي وجريء.

تيريز : ليس من شك في أنّ هذا يجعله شبيهاً بتورين وبايار الى حد الالتباس .

أنيس : كلا ، بل السيد الرئيس من نمط كلاسيكي أكثر : إنّه يشبه أبوللون دوبيلاك ، ليس إلا .

تيريز : أيّة امرأة هي هذه المرأة! فهذا خطأ .

الرئيس : أيّة امرأة! إنّها المرأة الحقيقية! إسمعي كلامي جيداً ياتيريز ، وللمرة الأخيرة . ماوُجدتُ النساء في هذا العالم إلا ليقلن لنا ماتقوله لنا أنيس . وهنّ لم يُنتزعن من صميم أضلاعنا ، لينصرفن الى شراء الجوارب الرخيصة ، أو رفع أصواتهن بالشكوى من سوء نوعية منظفات الأظافر ، أو لقول النميمة بحقّ أخواتهن النساء . إنهن على الأرض لكي يقلن للرجال إنهم وسيمون . أما اللواتي ينبغي عليهن أكثر أن يقلن للرجال إنهم وسيمون ، فهن الحسناوات . بل هن اللواتي يقلن ذلك على كل حال . وهذه المرأة الفتية تقول لي إنني جميل . وذلك لأنها جميلة . وأنت ترددين أنني دميم . فكنت دوماً أشك في ذلك . إلا أنك أنت البشاعة عيناً! .

(السيد دوبيلاك يخرج من مكمنه)

السيد دوبيلاك : أحسنتَ! أحسنتَ!

تيريز : ومن هو هذا المجنون الآخر؟

السيد دوبيلاك : أحسنتَ، أيها الرئيس. ومعذرة على تدخلي. لكن كيف لي أن أضبط نفسي؛ والجدال هذا ينفذ إلى شغاف الحياة الإنسانية! فمنذ آدم وحواء وحتى أنطونيوس وكليوبترا مروراً بشمشون ودليلة، ومشكلة علاقة الرجل والمرأة باقية على حالها، عالقة بين الجنسين. وإذا ماتوصلنا اليوم الى حلّها بصورة نهائية فإن نفعها الكبير سيعم البشرية.

تيريز : ونحن حسب رأيك على هذا الدرب سائرون؟ أو لايمكن تأجيل الحلّ حتى يوم غد؟ ذلك أني في عجلة من أمري، أيّها السيد. فهم ينتظرونني فوق من أجل وضع فراء ثوب الخطوبة!

السيد دوبيلاك : نحن على الدرب. وهاهو الرئيس قد طرح المشكلة بكل روعة وبهاء.

أنييس : بكل روعة وبهاء!

تيريز : تقصدين أن تقولي، دون ريب ياآنسة، إنه طرحُ رجل رائع؟

أنييس : لم أقل ذلك، لكن بوسعي أن أقوله. فأنا أقول ماأفكّر فيه!

تيريز : يالك من كاذبة!

الرئيس : أنا أمنعك من شتم أنييس!

تيريز : بل هي التي تشتمني.

الرئيس : إنّها تشتمك إذ تقول إنني جميل! هاأنت تكشفين عن أعماق نفسك!

السيد دوبيلاك : لم تكذب أنييس في قولها للرئيس. وكليوباترا قالت الحقيقة لقيصر ودليلة قالتها لشمشون. فالحقيقة هي أنّهم كلهم وسيمون. إنهم، رجالاً، وسيمون دوماً. والمرأة التي تقول ذلك لهم لاتكذب.

تيريز : هذا يعني باختصار أني أنا الكاذبة!

السيد دوبيلاك : بل أنتِ العمياء. إذ يكفيك في واقع الأمر أن تنظري الى الرجال في حركتهم وسكونهم لتجدي أنهم وسيمون. ولكل واحد جماله، بل جمالاته. له جماله الجسدي: إن ضخام الجثة يقفون بثبات على الأرض. أما الذين يتخلّعون في مشيتهم فإنما يتدلّون من السماء. وله جماله الطارىء: فالأحدب فوق قمة

نوتردام رائعة تتدفق جمالاً قوطياً . وحسبك أن تأتي به الى هناك . ولديك أخيراً جمال المهنة . فناقل الرياش له جماله كناقل رياش . وللرئيس جماله كرئيس . ولايقع الخلل إلا إذا تبادلا ، فأخذ ناقل الرياش جمال الرئيس وأخذ الرئيس جمال ناقل الرياش .

أنييس : لكننا لسنا هنا بصدد حالة مماثلة .

تيريز : كلا : فشكله بالأحرى شبيه بشكل لاقط أعقاب السجائر .

الرئيس : ياتيريز ، إني لأعرف خيراً منك حقيقة مزاياي الجسدية !

تيريز : أنت دميم .

الرئيس : اخرسي .

تيريز : أنت دميم . وكل كياني يصرخ بكَ قائلاً ذلك . أما هذه المرأة فإنها ترغم فمها على النطق بالأكاذيب . وأما أنا ، فكلّ مافيّ يجأر بالحقيقة : قلبي وعروقي وذراعاي وحتى ساقاي .

الرئيس : فم أنييس أصدق من عظم ساقك . .

السيد دوبيلاك : لقد صرَّحت بقولها للتو .

تيريز : ولكن لِم يقف الجميع ضدي! وما الذي قد صرحت به!

السيد دوبيلاك : بخطيئتك! بجريمتك! فكيف تريدين للرئيس أن يكون جميلاً وهو داخل ديكور قبيح وسحيط لايني يكرر على مسامعه أنّه دميم!

الرئيس : ديكور! أحسنتَ، فأنا قد فهمت!

تيريز : ماذا فهمت!

الرئيس : ذلك الضيق الذي كان يستبد بي، ليس في حضورك فقط، بل بوجود كل مايمثّلك أو يخصكِ. بوجود ثيابك وحاجاتكِ. إنّ رؤية ردائك المنسي فوق مسند كنبة كان يقّصر عمودي الفقري عشرة سنتمترات. فأنّى تكون لي أبعاد حقيقية؟ ثم ألقى جواربكِ فوق منضدة فأشعر أنّ إحدى ساقيّ أمست أقصر من الأخرى. وأرى مبرد أظافيرك على المائدة فأحسّ أن أصبعاً من أصابعي قد قطعت: وكانت تلك الأشياء كلها تقول لي إنني دميم. فساعتك الدقاقة المصنوعة من عقيق جبال الألب تردّد ذلك القول على مسامعي ثانية ثانية. وكذلك يفعل تمثال الماجن المائت الرابض على رخام الموقد! فلِم كنت أحس

بالبـرد وأنا أرى الى النار تتـوقّد؟ ذلك أنّ تمثـال الماجن المائت الذي جـئت به، كـان وهو يحـتـضـر، يردد إنني دمـيم. فـلابدّ أن يتـوارى بدءاً من مـسـاء اليـوم. ولن أصـغي بعـد الآن إلاّ لما يقـوله اللهب عن حـقـيقـتي وعن شكلي.

تيريز: إلاّ أنّك لن تمسّ تمثال الماجن المائت بسوء.

الرئيس: بل سـيُلْقى به إلى الصـهـر مع مـابعـثـرتِ حـولي من سقط متاع كهيئة محلّفين. مع تمثال غلامك الفلورنسي بفـخذيه المغلفين بالجلد واللذين كـانا يشـتمـان فـخذيّ، ومع تمثال راقصتك الهندية بثيابها الخُضْرْ كلون الضفادع والتي كانت بسرّتها المكشوفة تستهزىء من سرّتي. بل سـأتخلص من مـقـاعـدك التي تعـود بطرازها الى عـهـد المديرين. فتنجيدها الخشن كان يسبب حكّة لقفـاي قائلاً له إنني دميم. سأرمي بكل ذلك في سوق المبيعات.

تيريز: إلاّ أنك لن تبيع مقاعدي من طراز عهد المديرين.

الرئيس: طيّب؟ سـوف أهبـهـا. والآن كـيف الوضع عندك، ياأنييس؟

أنييس: مقاعدي؟ إنها من القطيفة.

الرئيس : شكراً، ومرحى للقطيفة . وماذا على المائدة؟

أنييس : لديّ أزهار على المائدة . وهي اليوم ورود .

الرئيس : شكراً . ومـرحى للورود! شكراً ومـرحى لأزهار الستـارية والخروع البـرّي! ومـاذا تضعين فـوق رخـام الموقد؟

أنييس : مرآة .

الرئيس : شكراً للمـرايا . شكراً للانعكاسـات . شكراً لكل مـامن شـأنه أن يعكس لي من بعـد صـورتي أو صـوتي . شكراً لأحواض الأزهار! شكراً للصدى .

تيريز : تركتُ أوسكار فلقيت نرسيس .

السيد دوبيلاك : إنّ نرسـيس الوحيـد المذنب هو ذلك الذي يرى الآخرين دميمين . وإني لأسـألك، ياسيـدتي، أنى للرئيس أن يجد شيئاً من الإلهام لأماليـه أو ملاحظاته، والنظرات المسلّطة عليه لاتعرف التسامح!

الرئيس : لم أدبّج خيرة رسائلي الدورية إلا تحت نظرات كلبي المسكين لاغير .

السيد دوبيلاك : ذلك أن عين الكلب عين أمـينة تـراك على حقيقتك . ولو كان أسداً لألهمك رسائل أكثر فصاحة .

لأن الأسد يرى ثلاثة أمثال القياس الطبيعي وببروز مزدوج .

تيريز : لاتواصل كلامك . وإلا وضع أسوداً في شقتنا .

الرئيس : لن أضع فيها من أسد . لكنّ حصان الماجن المائت ، وضفدعة الراقصة الهندية ، سيخرجان مقذوفاً بهما من النافذة .

تيريز : إذا ماأصبتهما بسوء ، فأنا سوف أغادر المنزل .

الرئيس : الأمر عائد لك .

تيريز : ولكن ماهي حقيقة هؤلاء الجلادين في نهاية المطاف! فأنا قد منحتك حياتي ومواهبي من غير ما تردد . إني أشاطرك سريراً طرّزتُ غطاءه بنفسي وسوّيت صوفه بيديّ . فهل تنزلق عن سريرك؟ لم يوضع على مائدتك البتة شواءٌ محروق . ولاقُدمت إليكَ قهوةٌ على غير أصولها . وأنت بفضلي واحد من الرجال القلائل الذين يستطيع المرء أن يؤكد إن منديل جيبه نظيف دوماً ، وإنّ جواربه غير منقوبة عند أصابع قدميه ، ألا قُلْ إذا كانت منقوبة ، وإن فراشات العثّ تحوّم عبثاً ، مع اقتراب فصل الشتاء ، فوق بزّاتك بحثاً عن بقعة زيت أو دهن تسمح

لها بأن تحط . . . فما حقيقة هذه المقاضاة التي تتهمون فيها النساء والتدبير المنزلي!

الرئيس: تبقى كلمة واحدة. هل تقولين لي إنني دميم لأنك تجدينني دميماً أم أنَّ ذلك بدافع من اللهو أو التشفي؟

تيريز: بل لأنك دميم.

الرئيس: طيب. واصلي . . .

تيريز: ثم نبقت هذه المرأة فانظر إليها. إنّ المرء ليميز من النظرة الأولى قسمة الرجل الذي سيعيش معها. سيكون خفّاه محدبي النعل نحو الداخل. ويكون لديهما قطاعة ورق واحدة يتنازعانها ليلاً أثناء القراءة في السرير. أما مصباح المطالعة في السرير فيضاء ويُطفأ من عند الباب. ملابسه لن يجري تفتيشها أبداً بقصد الكشف عن نقاط الضعف فيها. ستمر أيام يصابُ فيها بمغص معوي من غير أن يأخذ الدواء المناسب وسوف يشعر بالبرد من غير سخّانة ويهاجمه البعوض من غير أن يكون لديه نبتة الليمونية لطرده . . .

الرئيس: وأنت يا أنييس، هل تقولين إنني جميل لأنك تجدينني جميلاً أم لأنك تسخرين مني؟

أنييس : بل لأنك جميل .

تيريز : تزوّجيه إذن ، مادمت تجدينه جميلاً ! فأنت تعرفين أنّه غني !

أنييس : قد يكون من أصحاب الملايين . فلن يمنعني ذلك من أن أجده جميلاً .

تيريز : وماذا تنتظر أنتَ حتى تقدم إليها يدك؟

الرئيس : لن أنتظر شيئاً أبداً . فأنا أُقدمها إليها . ولا ينتابني أيّ أسف . لاسيما وأنّ المسيح قد فضّل المجدلية .

تيريز : خذيها فأنا أتخلى عنها . خذيها إن كنت تهوين الشخير ليلاً .

أنييس : أنتَ تشخر ! ياله من سعد . فأنا أخاف من الصمت إذا ماأصابني الأرق .

تيريز : وقد تهوين الرُّضَفَ الناتئة أيضاً .

أنييس : أنا لاأحب الساقين المتماثلتين جداً ، على كل حال . ولاأحب العكاكيز أيضاً .

تيريز : والصدور الشبيهة بصدور الأفاقين .

أنييس : إيه ، ياسيدتي ! أيّ كذب هذا ! فأنا متشددة جداً بالنسبة للصدور .

تيريز : أليس صدره صدر أفّاق؟

أنييس : كلا ، ياسيدتي . بل صدر محارب بطل .

تيريز : وجبهته هذه ، إنها جبهة مسلوع[1] ، إنها جبهة عمدة؟

أنييس : كلا ، مطلقاً! إنّها جبهة ملك .

تيريز: هذا يفوق طاقتي على الإحتمال . وداعاً . سألجأ إلى عالم تسوده الدمامة .

الرئيس: بل ستحملينها معك . فهي لاصقة بك ، تكسو روحك وتغشي على عينيك . . . **(تيريز تخرج)** . أما الآن ، ياأنييس ، فأرجو أن تقبلي هذا الخاتم الماسي ، ليكون عربوناً لمستقبل سعيد . أما وقد تكرّمت فقارنت جمالي بجماله ، فسوف أسعى أنا أيضاً لأن أضيء وأتلألأ أمام ناظريك . سأطلب منك الانتظار دقيقة واحدة ، ريثما أعلن على المجلس نبأ خطوبتنا . أيها الحاجب ، قم بالإغارة على كلّ مافي الدائرة الثامنة[2] عشرة من أزهار الكاميليا لنضعها في عرى ستراتنا . أما أنت ياسيدي ، فأرجو منك ، وأنا المدين لك بالكثير في

(١) - مصاب بتضخم الغدة الدرقية . (م) .

(٢) - الدائرة الثامنة عشرة من مدينة باريس ، وفيها يقوم مركز المخترعين . (م) .

هذا اليوم، أن تقبل الدعوة إلى مائدتنا . . . عانقيني، ياحلوتي أنييس . . . هل ترددين؟

أنييس : وأتردد أيضاً في النظر إلى خاتمي الماسي .

الرئيس : إلى اللقاء بعد قليل، ياأنييس، فأنا أسعدُ الرجال!

أنييس : أنت أجملُ . . .

(الرئيس يخرج) .

المشهد التاسع

أنييس . السيد دوبيلاك . الرئيس . الحاجب . أعضاء المجلس .

السيد دوبيلاك : منصب وزوج وخاتم من الماس! أضحى بوسعي أن أتركك ياأنييس . فلم يعد ينقصك من شيء .

أنييس : بلى .

السيد دوبيلاك : ألا تشبعين . . .

أنييس : أنظر إلي . ألم أتغيّر منذ هذا الصباح؟

السيد دوبيلاك : أنتِ أكثر انفعالاً بقليل ، وأكثر تألقاً بقليل وأكثر حناناً بقليل . . .

أنييس : هذا بسبب غلطتك . فقد ظللت أكرّر كلمتك حتى تحولت إلى رغبة . فلم أرغمتني على أن أقول لهؤلاء الرجال الدميمين جداً إنهم وسيمون؟ فالرغبة تستبد بي لأن أقول لشخص جميل حقاً إنّه جميل ، فأنا بحاجة لهذه المكافأة وهذه العقوبة . فأتني به .

السيد دوبيلاك : النهار جميل والخريف جميل .

أنييس : إنهما بعيدان عني كل البعد . فنحن لانلمس النهار بأصابعنا ولانحتوي الخريف بين ذراعينا . وبودي أن أقول لأجمل شكلٍ إنساني إنّه جميل .

السيد دوبيلاك : وأن تلاطفيه بعض الشيء؟

أنييس : وأن ألاطفه .

السيد دوبيلاك : لديك أبوللون دوبيلاك . . .

أنييس : إلا أنّه غير موجود!

السيد دوبيلاك : إنّك لتبالغين في الطلب . ذلك أنّه الجمال الأسمى سواءٌ وُجِدَ أم لم يوجد .

أنييس : الحقّ معك . فأنا لاأرى جيداً إلا ماألمسه . ولا أتمتع بخيال .

السيد دوبيلاك : علمي فكرك اللمس . وافرضي أنّه يقع لنا مايقع في المسرحيات ذات التقاليد ، وماينبغي أن يقع في حياة تحترم نفسها . . .

أنييس : أن تصير جميلاً على نحو مباغت؟

السيد دوبيلاك : شكراً . ذلك هو على وجه التقريب . . . وأنّ إله الجمال نفسه قد زارك هذا الصباح . ناهيك بأن

ذلك قد يكون صحيحاً. وأنّه زادك تألقاً، وأثار شجونك وسبب لك الضيق . . . وأنه كشف عن نفسه على نحو مباغت . وأنّه أنا . وأنني أتجلى لك في حقيقتي وبهائي . أنظري إليّ، ياأنيس . أنظري الى ابوللون دوبيلاك .

أنييس : سأغمض عينيّ من أجل أن أراك . أليس كذلك؟

السيد دوبيلاك : إنك لتدركين كل شيء . نعم ، وياللأسف!

أنييس : تكلموا . كيف شكلكم؟

السيد دوبيلاك : خاطبيني بصيغة المفرد . ذلك أن أبوللون يتطلب الاحترام الأسمى .

أنييس : كيف شكلك؟

السيد دوبيلاك : سأذكر التفاصيل ، طبعاً؟ هاك : قامتي تساوي القامة الإنسانيةمرّة ونصف المرّة . رأسي صغير وهو يساوي سُبع جسمي . المهندسون أخذوا من شكل كتفيّ فكرة الزاوية القائمة . أمّا انحناء حاجبيّ فأوحى لديانا بفكرة القوس . أنا عار . والصاغة استلهموا فكرة الدروع من هذا العري .

أنييس : ولك أجنحة عند قدميك؟

السيد دوبيلاك : كلا، فالذي له أجنحة عند القدمين هو هرميس دوسان اريكس.

أنيس : أنا لاأتوصّل إلى رؤيتك، ولاأرى عينيك ولاقدميك . . .

السيد دوبيلاك : لقد أحرزتِ الغلبة بشأن العيون. ذلك أنّ عيني الجمال خاليتان من العيب. وعيناي هما من الذهب الأبيض والحدقتان من الغرافيت. ولم تأتِ فكرة الموت للناس إلا في عيني الجمال. أما قدما الجمال فرائعتان. فهما ذلك الشيء الذي لايمشي ولايطأ الثرى ومانالته لطخة قط. وما احتُبس البتة. أما الأصابع فحلَقية رشيقة. الأصبع الثاني يتقدم كثيراً على الأول، أما التقوّس فقد أوحى للشعراء بفكرة المدار وفكرة الكرامة. والآن هل أضحيتِ ترينني؟

أنيس : على نحو باهت. ذلك أن عينيّ المسكينتين هما من العقيق والاسفنج. وأنت تعرّضهما لخطر فادح. فهما غير مهيّئتين لرؤية الجمال الأسمى. بل من شأنه أن يلحق بهما ضرراً جسيماً.

السيد دوبيلاك : إلا أنّ قلبك سيحقق نفعاً.

أنيس : أشك في ذلك. فلا تبالغ في الاعتماد عليّ أيّها الجمال الأسمى. فأنت تدري أني أحيا حياة بسيطة. فنهاري متواضع. وكلما قصدت غرفتي كان عليّ أن أصعد خمسة طوابق وسط الغبش والروائح الشائطة. وعليّ دوماً أن أستهل عملي أو فترة راحتي بمقدّمة الطوابق الخمسة هذه ناهيك بأنني أشعر بالعزلة التامة! ويسعفني الحظ أحياناً برؤية قِطٍّ ينتظر أمام أحد الأبواب فألاطفه. وزجاجة حليب منقلبة فأجلسها. وإذا ماشممت رائحة غاز أنذرت ناطورة المبنى. هنالك منحني بين الطابقين الثاني والثالث درجاته مائلة بفعل الضغط والقِدَم. حين تبلغ ذلك المنحني تفقد الأمل. أما أنا فيختلّ توازني عند ذلك المنحني وألهث من الجهد وأنا أفكر بالذين أسعدهم الحظ فهبت الرياح بما تشتهي سفنهم. تلك هي حياتي. مقدّماتها الظل والجسد المتعب والمنهك. وذلك هو إدراكي: إنّه قفص أحد الأدراج. أما إذا ترددت في تخيلك على نحو ماأنت عليه، ففي التردد حماية لي. فلا تحمل عليّ في نفسك.

السيد دوبيلاك: سوف تصبحين من بعد إحدى السعيدات في هذا العالم، ياأنييس.

أنييس: أجل. فماسحات الأقدام في قفص الدرج هنا، تحمل الأحرف الأولى للأسماء. والحواجز ذات تشبيكات زجاجية على شكل أزهار أو طيور تنفتح فيها كوىً للتهوية. وليس من درجة تتخلخل. والمبنى لايهتز أبداً أو يترنح تحت قدميك بسبب الحركة في المدينة. غير أن الصعود إليه بصحبتك سيكون أكثر مشقة أيضاً. وعليه فلا تجعل مهمتي فائقة الصعوبة. انصرف إلى الأبد! ألا ليتك كنت رجلاً وسيماً حقيقياً من لحم ودم، إذن لاحتويتك بين ذراعي! واهتصرتك بقوة! أنا أراك في هذه اللحظة على نحو ماينبغي أن تكون تقريباً، نابضاً جمالاً، بوركيك الضيقين الذين أوحيا للنساء بالرغبة في آن واحد يلدن صبياناً، وشعرك المجعد عند رأس وجنتيك مما أوحى اليهن بالرغبة في أن يلدن البنات، وهذه الهالة حول رأسك جاءتهن بفكرة البكاء، إلا أنك أعظم ألقاً وطول قامة من أن يتسع درجي لك. فالذي لايمكنني احتواؤه وضمّه الى صدري فوق درجي ليس

من نصيبي. سأنظر إلى خاتمي الماسي. بل يمكن للخاتم الماسي أن يستخدم المصعد. فامضي، ياأبوللون. وتوارَ حينْ افتح عيني.

السيد دوبيلاك: إذا ماتواريت، فسوف تعثرين على كائن بشري متواضع مثلك، ذي إهاب حول العينين والجسد.

أنييس: تلك هي قسمتي. وأنا أفضلها. فدعني أعانقك ثم توار. **(يتعانقان)**

السيد دوبيلاك: انظري. لقد انصرف أبو للون وأنا ماضٍ..

أنييس: كم أنت وسيم!

السيد دوبيلاك: ياعزيزتي أنييس.

أنييس: ماأجمل الحياة في الإنسان، لاسيما إذا مارأى المرء الجمال في شكل حجري.. وأنت تتركني ظناً منك أنني سأتزوج من الرئيس؟

السيد دوبيلاك: إنه رجل طيب. وهو غني. فوداعاً.

أنييس: لكنك ستغدو غنياً بدورك. فأنا سأوعز إليه بدفع الثمن المناسب لاختراعك صنف الخضار الوحيد. فابقَ!

السيد دوبيلاك: إنه لَمّا يُنْجز تماماً. فبزرته ماتزال غير مرئية. أما ساقه فتضاهي السرو طولاً وطعمه بطعم حجر الشبّه. سوف أعود بعد أن يكتمل تماماً.

(يتوارى في لحظة ظهور الرئيس وهو يضع زهرة كاميليا في عروته)

أنييس: هل تقسم على ذلك.

السيد دوبيلاك: بل في نفس الصباح وسوف نقوم ببذاره معاً. أقسم لك على ذلك.

أنييس: سأشتري الحديقة.

الرئيس: ياأنييس، أنا أحمل لك نبأً طيباً. لقد انتشى المجلس غبطةً حين جاءه الخبر أنّ صراع الأجناس قد حُلّ أخيراً، فاتخذ قراراً باستبدال سجادة الدرج المخططة ببساط من صنع دوبيه، يشبه البلاط في تقطيعاته، والحواشي مزينة برسوم عجمية. وهذه هدية منه بمناسبة خطوبتنا. لكن كيف هذا! أنت هنا وحيدة! أليس صديقنا هنا؟

أنييس: لقد غادر للتو.

الرئيس: ناديه. ليأتِ فيتناول الغداء معنا... هل تعرفين اسمه؟

أنييس : اسمه . . . أبوللون .

الرئيس : لدى الباب - ياأبوللون ! ياأبوللون ! **(يصل أعضاء المجلس والحاجب وكلّهم يزينون صدورهم بأزهار الكاميليا)** نادوا معي ! ينبغي أن يرجع !

الحاجب فوق الدرج ، السيدان رازموت وشولز عند النوافذ ، السيد دوكراشتون عند أحد الأبواب - ياأبو للون! ياأبو للون! **السيد لوبيدورا ، يقول لأنييس وهو داخل** - هل أبوللون هنا؟

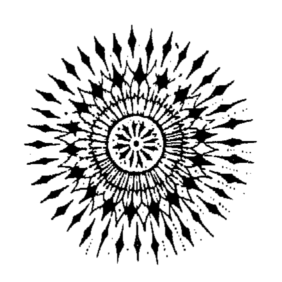
أنييس : كلا . . لقد مضى . . .

يسدل الستار

الفهرس

- المسرحية الأولى :
اثنا عشر رجلاً في حالة غضب ٣
ريجينالد روز
الشخصيات ٥
- المسرحية الثانية :
الصوت الإنساني ١٢٩
جان كوكتو
الشخصية ١٣١
مقدمة : بقلم الكاتب ١٣٣
الديكور ١٣٧
- المسرحية الثالثة :
نساء الثور ١٨١
جاك أوديبرتي
الشخصيات ١٨٤
- المسرحية الرابعة :
أبوللون دوبيلاك ٢١٧
جان جيرودو
الشخصيات ٢٢١

٢ط ٠١/ ٥/ ١٩٩٨



طُبِعَ في مَطَابِع وزارة الثَّقافَة

دِمَشق ١٩٩٨

سِعرُ النُّسخَة داخِل القُطر

١٧٥ ل.س

في الأَقطَار العَربيّة مَا يُعَادِل

٣٥٠ ل.س